

ماذا يفعل  
الناس بعد الستين؟

# اليسار

رأية المستضعفين في الأرض

■ اليسار / العدد التسعون / أغسطس ١٩٩٧ م / ربيع أول ١٤١٨ هـ / الثمن جنيهان مصريان ■



حقيقة الحلول الحكومية لقضية المستأجرين

حلف الأطنطبي يتوسع جنوبا وشرقا

هل كان مؤلفو ( التوراة ) محرفين للتاريخ ؟

أوروبا للأغنياء فقط .. ستار حديدي ضد شعوب العالم الثالث

الجنس في محاكم التفتيش

عال عال ..  
قوات الجنرال  
يوسف والى  
وصلت لغاية هنا



## فى هذا العدد

- \*\* لليسار در ..**  
**\*\* أطفال مصر**  
 أطفال مصر بين التشريع والحماية..... عمرو كمال حموده ٥  
 الأطفال الكادحون..... فيفان قواد ٨
- \*\* مصر**  
 أسئلة وإجابات حول العلاقة الايجابية..... عريان نصيف ١٠  
 حلول الحكومة للقضية المتأجرين..... خالد البلشى ١٦  
 ماذا يفعل العامل بعد سن الستين؟..... محمد جمال إمام ٢٠  
 التنمية الاسمنسية والحرسانية للوطن..... أحمد محمد صالح ٢٤
- \*\* هموم**  
 قطار السن العربية المشتركة..... أحمد محمد صالح ٢٩
- \*\* إسلام لا كهانة**  
 من يطفى الشمس..... خليل عبد الكريم ٣٢
- \*\* العرب**  
 رسالة القدس: حول الاستيطان..... حنا عميرة ٣٣  
 رسالة حيفا: خصخصة الاداعة والتلفزيون..... نظير مجلى ٣٥  
 المقاطعة الشاملة..... حسن علام ٣٧  
 رسالة دمشق: السياسة السورية..... حسين العودات ٤١  
 رسالة الاردن: مقاطعة الاخوان للانتخابات..... صلاح يوسف ٤٣
- \*\* العالم**  
 رسالة واشنطن: الاطلنطي يتوسع جنوبا..... سمير كرم ٤٦  
 رسالة موسكو: مكان تحت شمس التاتو..... أحمد الخسيس ٥١  
 رسالة ألمانيا: سار حديدي ضد شعوب العالم..... نبيل يعقوب ٥٤
- \*\* فكر**  
 صورة الاشتراكية فى ظل العولمة..... محمود أمين العالم ٥٧  
 إلى أين تتجه الحركة الاشتراكية..... على المماس ٦١  
 التخلص من التبعية..... خليل حسن خليل ٦٨  
 وصية فرعون..... نبيل يعقوب ٧٠
- \*\* أرشيف اليسار**  
 شحاته هارون..... رفعت السعيد ٧٢
- \*\* رحيق السنين**  
 الجنس فى محاكم التفيش..... سمير حنا صادق ٧٥
- \*\* فن**  
 النظرية والممارسة بين التواصل والانقطاع..... أحمد يوسف ٧٧
- \*\* بين × شمال**  
 أمينة النقاش ٨٣
- \*\* مداخلات**  
 اليسار وحركة الجماهير..... عبد الغفار شكر ٨٥
- \*\* فن تشكيلي**  
 إعادة اكتشاف فن المتوسط..... فاطمة إسماعيل ٨٧
- \*\* مشاغبات**  
 دفاتر البقالين وحسابات المؤرخين..... صلاح عيسى ٩٠

EBRARY ALEXANDRIA

رئيس التحرير:  
 حسين عبد الرازق  
 المشرف الفني:  
 أحمد عز العرب  
 المستشارون:

ابراهيم بدرأوى  
 أحمد نبيل الهلالي  
 د. خليل حسن خليل  
 د. رفعت السعيد  
 صلاح عيسى  
 عادل غنيم  
 عبد الغفار شكر  
 عبد الفتى ابر المينين  
 محمد وفاء حجازى  
 محمود أمين العالم  
 شارك فى التأسيس:  
 د. فؤاد مرسى

اليسار: متر ديمقراطى يصدر عن  
 حزب التجمع الوطنى التقدمى  
 الوحدوى فى اليوم الأول من كل  
 شهر.

ALYASSAR 1 KARIM EL  
 DAWLA ST TALAAT  
 HARB SQ  
 CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة

مصر: ٢٤ جنيها للأفراد و ٦٠ جنيها  
 للهيئات.

الوطن العربى: ٥٠ دولارا  
 أمريكيا أو مايعادله.

العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو  
 مايعادله.

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة  
 بريدية إلى إدارة المجلة.

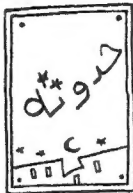
الادارة والتحرير: ١ شارع كريم  
 الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١

٥٧٨٦٢٩٨ - فاكس: ٥٧٥٩٢٨١

FAX: 5786298

كله حمام يا فندم ...  
حبسنا الناس كلها ...  
صافيش رأى بعد كده  
هيعكر مزاجله أو يضايقله



لأول مرة لا تنشر اليسار افتتاحية العدد موقفنا " رغم أن هناك قضايا كثيرة كانت في حاجة إلى إعلان الرأي والموقف . مثل التعديل الوزاري الأخير ، وبيان الجمعة الإسلامية حول وقت العنف .. الخ . ومع ذلك اختار رئيس التحرير أن يعتذر عن موقفنا " لينفج مكانا لموضوعات عديدة توفرت لهذا العدد . بعضها مؤجل من أعداد سابقة .

لقد صدروا العدد بموضوعين عن أضفان مصر وهناك موضوع ثالث للأستاذة زوية رفعت للعدد القادم لما لهذا الموضوع - من وجهة نظرنا - من أهمية مستقبلية . وتوالت بعده القضايا المصرية العربية والعالمية الهامة . وقد يكون مفيدا أن نلفت النظر إلى عدد من القضايا المطروحة في هذا العدد . أولا قضية حلف الأطلسي التي يتناولها سمير كرم من واشتظون وأحمد الحميسي من موسكو . والموضوع الثمير المتعلق بعلم الآثار والذي يشكك في كثير من المقولات اليهودية وكذلك المناهضة المصرية لموضوع العلاقة بين المالك والمستأجر لعرمان نصف وخالد البشبي.

ويستحق نبيل يعقوب منا تحية خاصة على متابعته الدقيقة العميقة لما يجري في ألمانيا - وينعكس بالضرورة علينا - وأيضا اهتمامه بالجديد الذي ينشر ويناقش في أوروبا كلها .

وتعود أمانة النقاش إلى تحرير باب بين × شمال " بعد غيابه لفترة أغضب القراء . ويشمل " فكر " مساحة واسعة في هذا العدد بمساهمات متنوعة من محمود أمين العالم ، والكاتب السوداني على العباس . ود . خليل حسن خليل .

ورغما عنا بغيب باب " الرياضة فقد اختفى في ظروف غامضة الصديق حسن عثمان واختفى معه الباب . ونأمل أن يعود إلينا في العدد القادم .

اليسار



جانب من المحاضرين



## أطفال مصر بين التشريع والحماية

الاستغلال الانساني من ناحية أخرى.

ويتجسد الحرمان الانساني في أن الطفل العامل أو طفل الشارع إنما هو محروم من اللعب ومحروم من العلم ، والاحصاءات تذكرنا بأن نسبة التسرب من المدرسة في ازدياد كلما تقدمنا في المراحل التعليمية بحيث يحدث الانقسام في الأمة عند الفصل الدراسي الثاني الاعدادي عندما يكون التسرب والهروب من المدرسة كاملا. ساعات عمل الطفل العامل.. طويلة ، وهناك جوانب امتدادية لحرمانه الانساني وهي الفقر وسوء التغذية وضعف البصر وتدنى مستوى الصحة العامة إلى أقصى حد.

أما عن الظاهرة الثانية وهي «الظلم الاجتماعي» ، فالطفولة العاملة مستغلة

أطفال الشوارع، ثم عقب على المحاضرتين الدكتور عادل عازز مستشار هيئة الأمم المتحدة. ثم أعقب ذلك عروض سينمائية تسجيلية عن الموضوع ثم تجربتان ميدانيتان هما: تجربة مشروع رعاية أطفال الشوارع بجمعية قرية الأمل ، ثم تجربة مشروع الرعاية الجزئية للطفولة العاملة بمركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية.

### الأطفال الكادحون: ظاهرة عمل الأطفال في مصر

يقول الدكتور أحمد عبد الله في محاضرته أن مجتمعنا أصبح يتعامل «بالقسوة» في كل منحنى ومن ضمن ذلك التعامل مع الأطفال وعلى الأخص الطفولة العاملة. وهنا نجد أنفسنا أمام ظاهرتين: الحرمان الانساني من ناحية ثم

يوم الثلاثاء ٢٧ مايو ١٩٩٧ عقدت ندوة هامة نظمتها المركز القبطي للدراسات الاجتماعية بمدينة نصر تحت عنوان «أطفال مصر بين التشريع والحماية» اشترك فيها واحد وعشرون جمعية أهلية ومركزاً وهيئة مهتمة بقضايا الطفولة في مصر.

وتضمن البرنامج محاضرتين: الأولى للدكتور أحمد عبد الله عن «الأطفال الكادحون: ظاهرة عمل الأطفال في مصر» والثانية للدكتور عماد صيام عن «الطفولة المنتهكة : ظاهرة



عمرو كمال حموده

كثفة اجتماعية لها مكان في العملية الاجتماعية، ولقد اذنى من المستلزمات الضرورية غير مكفولة. ناهيك عن التمتع بأى حقوق للمواطنة مثل الانتخاب أو المشاركة في التغيير.

\* فالطفل العامل يقوم بعمله لمدة تقرباً ما بين ٩ إلى ١٣ ساعة عمل يومياً في القطاعات الصناعية، في حين أن ساعات العمل المنصوص عليها في القانون هي ست ساعات.

\* وهو يتعرض لمخاطر تفوق ما يطبق وتصل إلى حد الانحطاط الانساني (عمل عبودي / بغاء).

\* لا يحصل على أجر عادل، وإلّا يحصل على ثلث أو ربع الأجر المفترض، مع حرمان من التأمين الصحي أو الحق النقابي أو التأمينات الاجتماعية.

وإذا كان التقدير الدقيق لحجم عمالة الأطفال عليه خلال بين أجهزة الدولة والباحثين في مصر فإن الدكتور أحمد عبد الله يؤكد أنها قُتل ١٢٪ من طاقة العمل في مصر أي حوالي ٢ مليون طفل عامل .. وضيف أن معدل تطور الظواهر الاجتماعية في تصاعد تراكمي وسيتعكس ذلك على المزيد من التدهور لظاهرة الطفولة العاملة.

ويرصد الباحث حدوث بعض التغيرات الطفيفة منذ اثني عشر عاماً في مجال التعامل مع الظاهرة .. ولكن التقدم لا يسير في جميع المجالات، فالخطورة تزداد وتتفاقم بالنسبة لمعالجة الأطفال في الزراعة.

وفي رأى د. أحمد عبد الله أن قانون الطفل الحالي، إنما هو قانون عقوبات للطفل، ينظر له كشخص له خطورته على المجتمع، وهي نظرة طبقية من الشرع بالتأكيد وقد لفت نظره أن اللجنة التي درست مشروع القانون لم تتضمن باحثين اجتماعيين! وفي رأيه أن القانون يحتاج للتغيير، كما أن المشروعات الموجودة للتعامل مع الطفولة العاملة ضئيلة ولها دلالة رمزية فقط مثل مشروع قرية الأمل أو مشروع الكشافة أو مشروع الرعاية الجزئية لمركز الجبل.

## الطفولة المتهكّة : ظاهرة أطفال الشوارع

يقول الدكتور عماد صيام في تعريفه لطفل الشارع، بأنه الطفل الذي لا مأوى له (يعيش ٢٤ ساعة في الشارع) وهو بلا أسرة وليس له سقف يعيش تحته وبلا أى وسيلة للكسب أو العيش ويعتمد على التسول أو جمع المخلفات وقد يضطر للسرقة. ويقول أيضاً، إننا أمام ظاهرة يحاول المجتمع جاهدًا التستر عليها.

وقد عجز الباحث عن معرفة الرقم الحقيقي لعدد أطفال الشوارع.. والرقم التقديرى الذى وصل إليه هو ستة آلاف طفل في القاهرة وحوالى ثلاثة عشر ألفاً في القاهرة الكبرى . وإذا أخذنا في الحسبان أن ٥٠٪ من عدد الأسر في مصر تعيش تحت خط الفقر ، فيمكننا القول بأن عدد أطفال الشوارع على مستوى الجمهورية هو ثلاثة أرباع مليون طفل.

والرعاة، الذى يأتي منه طفل الشارع هو الانهيار الأسرى أولاً (٧٧٪ من أطفال الشوارع جاءوا من أسر متفارة، ومفككة وشديدة الفقر وبسودا العنف). والمؤشر الثانى وجود ١٥٠ ألف طفل سنوياً لا مكان لهم في العملية التعليمية ناهيك عن ضعف العملية التعليمية وضعف المنافع مما يساعد على التهرب ، من المدرسة والتحول للشوارع.

وانتقد المحاضر قانون الطفل الحالي الذى يقوم على فلسفة عقابية تعتبر طفل الشارع مشروع مجرم، في حين أن إحدى دوائر محكمة النقض اعتبرت وضع الطفل في مؤسسة رعاية الأحداث «مصادرة وحسب للحرية».

وانتقد أيضاً الوضع الحالي لمؤسسات رعاية الأحداث التي تحولت لأكاديميات تقوم بتخريج المجرمين. ويرصد د.عماد صيام الأخطار التي يتعرض لها أطفال الشوارع على مدى الساعات الأربع وعشرين يوماً بعد يوم.. (١) خطر ادمان المخدرات. ويلجأ

إليها الطفل ليخفف من حدة الحرمان العاطفى. بل يلجأ لما هو أسوأ وهو «شد الكلبة» وهي نوع من الفراء رخيصة الثمن) الكوريجينيه ونصف) وهي تدمر على الفور الجهاز التنفسي والجهاز العصبي، والمخدرات تساعد طفل الشارع على أن يكون في حالة غيبوبة عندما يتعرض للإذعان البدني سواء من الكبار أو رجال الشرطة.

(٢) خطر الاغتصاب الجنسي (٣) خطر الاصابة بالأمراض التناسلية أو الجلدية أو الصدرية.

(٤) خطر تحويله إلى مجرم تحت ضغط المجرمين الكبار.

(٥) خطر التعرض لعنف وإيذاء رجال الشرطة.

(٦) خطر الحرمان العاطفى والاحساس بالذونية وتحول مشاعره نحو العدوانية تجاه المجتمع.

ويستأهل المحاضر عن دور المنظمات غير الحكومية لتخفيف وطأة الانتهاكات لأطفال الشوارع ؟ ويرى الحل في أن يكون لدينا برنامج قائم على:

(١) الكفاح الطويل الأمد لمحاربة الفقر في مصر عن طريق تشكيل مجموعات ضغط حقيقية على الدولة لتحقيق مهامها ودورها في مجالات الرعاية الصحية والتعليمية.

(صحيح أن قانون الطفل قد صدر ولكن لا يحصل به لان الدولة لم تصدر حتى الآن لائحته التنفيذية).

(٢) الضغط من أجل إصلاح قضائي في هذا المجال.

(٣) الضغط من أجل إصلاح جنري وحقيقي لمؤسسات الأحداث.

(٤) إصلاح النظام التعليمي بشكل أساسي.

(٥) قيام المنظمات غير الحكومية بتسجيل الأطفال الشرديين عن طريق قاعدة للبيانات مستغرفة.

(٦) تبني مشروعات لرعاية هؤلاء الأطفال (على غرار مشروع قرية الأمل).

## الحوار والتعليقات

ثم دارت مناقشات واسعة وتعليقات من الحضور أبرزها ما قالته أ. ابتهاج رشاد من مركز المعصمية التي طالبت بتضامن الجمعيات والتعاون فيما بينها والتنسيق على المستوى المحلي لدعم دورها وأنشطتها.

أما سهام نجم من مركز المرأة الجديدة فقد نادت بمشروع لكفالة التعليم وأكدت على أهمية التنسيق والتضامن بين الجمعيات ، وذكرت أنه في الجيزة ٩٨٪ من الاناث أميات وأن عملية بيع الأطفال في أحياء الجيزة الفقيرة تعتبر ظاهرة كبيرة حيث يباع الطفل بـ ٧٠٠ جنيه وتعرض الأم لأقصى درجات التهديد إذا امتنعت عن البيع.

وتساءل الدكتور علاء غنم عن نقطة هامة وهي: على من تقع مسؤولية السياسة الاجتماعية في مصر بعد تراجع دور الدولة. وأشارت أ. فطوم حجاج من جمعية حواء المستقبل إلى أهمية تشكيل مجموعة ضغط على الوسائل الاعلامية والوسائل التعليمية لانقاذ الطفل المصري من الساذجة والتفاحة التي تقدم له ونوثة بتجربة الجمعية في العشوائيات وكذلك برنامج شروق في المحافظات كما تحدث آخرون عن أهمية القروض الدوارة.

وأغلب المناقشات عرض لتجربتين هامتين وهما تجربة قوية الأمل لرعاية أولاد الشارع في شرح وال للواء عياد الوهاب فريد ، ثم تجربة الرعاية الجزئية لمركز الجيل ، عرضتها الاستاذة منى صادق سعد المديرية التنفيذية للمشروع ، وتلمح مدى الصعوبات المالية التي تواجه المشروعين.

### كلمة لايد منها

إن اهتمام المركز القبطي للدراسات الاجتماعية بالتحضير والدعوة وإنجاز هذه الندوة تأتي في عمل المركز الهادئ الراقى التميز في تحليل الواقع المصري المعاصر في شتى ظواهره وجوانبه ومقاومة التخلف وخلق مناخ فكري وثقافي من شأنه رفع الوعي العام وتمكين الاحساس بالمسؤولية الحضارية. وقد شعر الحضور بالجو الدافئ والبساطة في المكان ، الذي يعتبر نموذجاً للعمل الاجتماعي والثقافي الحلال.



في الندوة: عادل عازر، أحمد عبد الله، عماد صيام، سمير مرقس



وأشار في معرض تعقيبه لعدة مؤشرات: «بحسب تقديرات وزارة الصحة المصرية، فإن المواطن في مصر مخصص له ٤٩ جنيتها (واحد واربعمون ) فقط في العام للرعاية الصحية، في حين أن تكلفة المعيشة قد ارتفعت بنسبة ٣٢٣٪. «إن ١٨٪ من الاناث من ضمن أطفال الشارع.

\* الأميرة تصرف على كل طفل ١٠ إلى ١٢٥٪ على التعليم من ميزانيتها الشهرية أي أن التعليم أصبح خاصاً تماماً.

(٧) تقديم مساعدات واضحة للأمر شديدة الفقر لا تقتصر على المساعدات المالية ولكن الاستشارات والمساعدة الفنية والنفسية والاجتماعية، وألا يترك الأمر لكاتب التوجيه المعنوي بوزارة الشؤون الاجتماعية (الدنيا ٨٢ مكتباً على مستوى الجمهورية، أى يخدم المكتب الواحد ١٠٠ ألف حالة!!!).

### ليس هناك إدراك لخطورة الظاهرة

وفي تعقيب الدكتور عادل عازر أشار إلى أن الملل والضجر قد أصابه من كثرة البحوث التي تعاملت مع الظاهرة بالتشخيص والتحليل وتقديم الحلول ، حتى أنه رصد ٤٧ بحثاً منذ عام ١٩٩٤ حتى الآن ولا يحدث أى تحرك مقابل في المجتمع. ورغم تضامته مع د. أحمد عبد الله بأن بعض التغيير قد حدث، إلا أنه يرى أن هذا التغيير بطيء ولا يسير في الاتجاه الصحيح. ويقول «الأمر خطير بالفعل .. وليس هناك إدراك كاف لخطورة الظاهرة من قبل الحكومة المصرية.. ولا توجد سياسة اجتماعية للحكومة المصرية على الرغم أن السياسة الاجتماعية هي جزء من الأمن القومي».

# الأطفال الكادحون

## ظاهرة عمل الأطفال في مصر



د. أحمد عبد الله

## تأليف: د. أحمد عبد الله: عرض فيفيان فؤاد

الزراعة كمرحلة جمع المحاصيل، وبذلك يصيح الحديث عن منع عمل الأطفال في الزراعة (في إطارها التقليدي) بمثابة دعوة البلد إلى الانتحار، وإن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تساهم في تقليل ظاهرة عمل الأطفال في الزراعة هي إدخال التكنولوجيا الحديثة والميكنة في كل مراحل الانتاج الزراعي.

ويفرق الكاتب بين عمل الأطفال وعمالة الأطفال في مجال الزراعة:

لا يعد هذا العمل في إطار نظام القيم الفلكلوري في المجتمع، نوعاً من «عمالة الأطفال» بل هو أقرب لأن يكون نوعاً من «عمل الأطفال» الذي لا يتضمن دلالات تشير لوقوع استغلال على الأطفال. وهو جزء لا يتجزأ من ذات حياة الفلاحين والبلد.

ثم يحدد بعد ذلك «عمالة الأطفال في الريف» بثلاثة معايير: العمل الدائم (إذا اتنا لا نستطيع أن نعتبر ظاهرة عمل أطفال المدارس الموسمي في الزراعة بمثابة عمالة للأطفال في الزراعة)

-خطورة العمل - انخفاض الأجر.  
-العملة الأساسية هي الفقر  
تؤكد كل الدراسات والأبحاث التي أجراها الباحث وغيره من الباحثين إن الفقر الاقتصادي والتعليمي هو السبب الأساسي لظاهرة عمالة الأطفال في مصر. وفي مرتبه تالية تتأثر عدة عوامل أهمها:

-الحرف والصناعات التقليدية التي تعتمد على الأطفال.  
-القيم الاجتماعية التي تثقل عمل الأطفال كأم طبيعي.  
-أعمال الأسر الامية في تسجيل أطفالهم في المدارس.  
-التراخي في تطبيق قوانين العمل الخاصة بعمل الأطفال.

## التشويش الاحصائي

بالنسبة لتحديد الحجم الحقيقي لعمالة الأطفال في مصر سواء في مجال الزراعة في الريف أو في بعض الحرف والصناعات التقليدية في الحضر.

فإن الأرقام الاحصائية تنسم بالتشويش وعدم الدقة كمادة مشكلة الانصاء في مصره فهل يمكن أن نصدق الأرقام التالية بعد

والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناية، تحت عنوان: «عمالة الأطفال في مصر» ، قام به خمسة من خبراء المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناية د. عادل عازر، ناهد رمزي.. وآخرون.  
إلا أن الكاتب يسجل تحفظاً رئيسياً على هذا النشاط البحثي، إنه يتم في إطار تجريبي ولم يتم طبعه وتوزيعه بطريقة شعبية صالحة للجمهور حتى الآن، كذلك فإن الباحثين المحليين الذين يرون إن دورهم الأساسي هو العمل البحثي لا العمل الاجتماعي الفاعل، وهم في نفس الوقت يعملون تحت مظلة المنظمات الدولية، الا اني بحكم اوضاعها لا ترغب في إثارة حفيظة السلطات القومية، لم يستطعوا تكوين نواة عملية «لمجموعة ضغط» لمعالجة تلك الظاهرة.

## بين عمل الأطفال وعمالة الأطفال - Child work - Child Labour

إن عمل أطفال الريف في مجال الزراعة ظاهرة قديمة جدا في إطار النمط التقليدي والبدائي للانتاج الزراعي في مصر، بحيث يصبح الطفل عماداً رئيساً في بعض مراحل

أحمد عبد الله الذي عرفناه كفاعل في العمل السياسي من خلال الحركة الطلابية في السبعينات وكواحد من أهم أقطابها، يتقدم إلينا اليوم من خلال كتابه «الأطفال الكادحون» بوجه آخر كفاعل في المجتمع الأهلي، وكمدبر لمركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية، لتقديم مساهمته البحثية وأيضاً العملية في قضية اجتماعية هامة هي عمل الأطفال في مصر.

الاهداء:

إلى نوسة (فاطمة الساسي) الياسمين الصغيرة ذات العشرة أعوام التي صعدت روحها إثر حادث إليم فور أن انتهت من العمل في مزارع الياسمين!!

في البداية يترك المؤلف قد الاهتمام بالبحث والدراسي بظاهرة عمل الأطفال (وخاصة في الحضر)، ظاهرة حديثة نسبياً بدأت في منتصف العقد الماضي، وإن حفل البحث في هذا الموضوع قد بدأ بدراسة للدكتور أحمد عبد الله حول عمل الأطفال في مدينتي مصر القديمة نشرت منظمة العمل الدولي بالأمم المتحدة عام ١٩٨٨. ثم توالى الاهتمام البحثي بالموضوع بعد ذلك من أطراف عديدة إلى أن وصل للثروة بالشروع البحثي المشترك بين منظمة اليونيسف



أن كان ١٩٥ مليون طفل يعملون في مصر عام ١٩٨٤ ، أصبح ١٣٣ مليون طفل عامل في عام ١٩٨٨ ، ثم أصبح نصف مليون فقط في سنوات التسعينات ومن ثم تنخفض عمالة الأطفال كنسبة من إجمالي القوة العاملة من ١٠.٨ ٪ عند بداية العقد ١٩٨٤-١٩٩٤ إلى ٧.٢ فقط عند نهايته .١٤

## أبعاد الاستغلال في عمالة الأطفال

يوزج الكتاب حالات الاستغلال في عمالة الأطفال في الآتي:

- ١- أنها وضع الحرمان من اللعب والذهاب إلى المدرسة.
- ٢- أنها وضع يتسم بانخفاض الأجر بالنسبة للعمل المنجز.
- ٣- أنها وضع من الاستبعاد من المتع بالفوائد الإضافية (التأمين ، التقاعد ، .. الخ).
- ٤- أنها وضع يتسم بالتعرض لمخاطر العمل.

-ويحوي الكتاب دراستين ميدانيتين قام بهما الكاتب، الأولى على الأطفال العاملين في مداخل مصر القديمة في منتصف الثمانينات، والثانية على الأطفال العاملين في مداخل ورش الفخارية بمصر القديمة في منتصف التسعينات.

وتؤكد الدراسة الأولى الأطروحة القائلة بأن «الفقر» هو السبب الرئيسي في ظاهرة عمل الأطفال، كما إن التكليف الفعلية للعملية التعليمية قد ارتفعت بشدة بسبب انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية حيث تراوح بين ١٣٪ و ٢٥٪ من دخل أسر العينة وهو ما يندرج مستقبلاً بالمزيد من العرض بالنسبة لعمل الأطفال ويتحول التعليم إلى امتياز اجتماعي غير متاح إلا للقادرين».

أما فيما يتعلق باوضاع الاستغلال فيبدو واضحاً أن الأجور الزهيدة التي يحصل عليها الأطفال حيث تتراوح بين ربع وثالث الأجر الذي يحصل عليها العمال الكبار، ولا يحصل الطفل على أي فوائد إضافية مثل التأمينات لأنه طبقاً للقانون فإن هؤلاء الأطفال لا يعملون!، كذلك

ساعات العمل الطويلة بالنسبة لطفولتهم متوسط ٩.٧ ساعة يومياً، ولا يحصلون إلا على يوم واحد عطلة أسبوعية غير مدفوع الأجر.

أما الدراسة الثانية فقد ركزت اهتمامها على أطفال الفخارية حيث أثبتت الدراسة أنهم الأسوأ بالمقارنة إلى الأطفال العاملين في المداخل أو في الورش من حيث شروط العمل في أماكن شديدة التلوث، أو ظروف معيشتهم أو حالتهم الصحية وأفاقهم الذهنية.

**مكافحة عمل الأطفال في مصر:**  
حكومة ، وأهلياً ، ودولياً  
الحكومة بين دورها «التفتيشي»  
وأصدار القوانين ودورها في  
مكافحة الظاهرة:

بدأ الاهتمام الرسمي بمواجهة مشكلة عمل الأطفال بزيادة منذ عام ١٩٨٨ ، مع تشكيل لجنة وزارية تضم ١٤ عضواً للدراسة القضية، وانتهاءً بإنشاء «وحدة عمل الأطفال» عام ١٩٩٤ بوزارة العمل (وإن تكن هذه الوحدة ملحقة بوزارة العلاقات الدولية بالوزارة ، كما لو كان الغرض منها الاستهلاك الدولي أكثر من الاهتمام القومي الأصلي).

وفي سياق دور الحكومة يرصد الكاتب عدة عوامل تجعل تطبيق القانون الخاص بعمل الأطفال ومكافحة الظاهرة لتقليلها محدوداً للغاية:

-«ضرورات الفقر والانتاج كآليات كافية» لترير موقف الحكومة الميال للتغاضي عن وجود الظاهرة حتى وقت قريب.

-«تشرعات» العمل التي تتسم بالليونة تجاه تشغيل الأطفال بشكل عام .

-أداء نظام التفتيش الروتيني وضعفه أمام أصحاب العمل وقلة عدد المفتشين.

-ويقم الكاتب دور الحكومة .. بأن دورها في إصدار القوانين والتفتيش ، يتوقف على دورها كفاعلة في مكافحة الظاهرة وتقليصها.

أما على المستوى الأهلي، يعتقد د. أحمد عبد الله إن هناك دورين يمكن للنشطاء في العمل الأهلي لهما الأول: دور الموازنة للدفاع عن ما يؤمنون به من مبادئ وسياسات والتحرك كجماعة منضبطة لدفع الحكومة للحركة في اتجاهات تتسق مع مواقفهم.

الثاني هو الرعاية الإنسانية والتعليمية والطبية والتربوية.. الخ «لتخفيف الشروط المعيشية السيئة، والاستغلال في العمل ، والمعاونة البدنية والنفسية التي يشعر بها أولئك البشر الصغار العاملون. إنها ليست بهذا مؤسسياً قوياً ولكنها بالأحرى مجموعة من مشاريع الرعاية الصغيرة المتناثرة بهدف مساعدة بضعة مئات، وعلى أحسن الأحوال بضعة آلاف من الأطفال العاملين.

**أما على المستوى الدولي:**  
-هناك صراع بين القوى الداعية لمقاطعة السلع المنتجة بواسطة عمل الأطفال (معظمها غربية حكومية وغير حكومية) والقوى الداعية لرعاية الطفولة العاملة دون استخدام سلاح المقاطعة الذي سيؤثر تأثيراً سلباً على اقتصاديات الدول النامية كما قد يؤدي لتدهور أحوال الطفولة العاملة وتحولها لطفولة مشردة وتبقى القدرة على تحقيق التوازن بين المعايير الدولية والحقائق القومية والحلية إنما تمثل تحدياً للأطراف المعنية بقضية الطفولة العاملة حكومية كانت أم أهلية.

وفي نهاية الكتاب يقدم الكاتب مجموعة من المقترحات المستقبلية الواقعية من أهمها:

-تأسيس مراكز رعاية جزئية للطفولة العاملة.

-التطبيق الصارم للقانون.

-تشجيع أصحاب العمل على تشغيل العاملين البالغين بدلاً من الأطفال وذلك بتأسيس نظام للحوافز والتسهيلات الاقتصادية والمالية لأصحاب الأعمال.

-التعويض المالي عن دخل الطفل العامل (بنسبة ٥٠ - ٧٥ ٪) لتلك الأسر التي تكون مضطرة لإرسال أبنائها إلى العمل ، ويمكن تبرعه من الصندوق القومي لرعاية الطفولة العاملة.

-إنشاء «صندوق قومي لرعاية الطفولة العاملة» من الرسوم المدفوعة من أصحاب الأعمال والتبرعات المحلية والمعونات الدولية لدعم مراكز الرعاية الجزئية للطفولة العاملة ومساعدة الأطفال العاملين وأسرها.



## أسئلة مطروحة ومحاولات للإجابة

### حول مشكلة العلاقة الإيجارية الزراعية



صدور قانون الإصلاح الزراعي بأكثر من ستين عاماً. فمع التطور الاقتصادي الدولي وتكريس النظام الرأسمالي عالمياً. كان من الصعب أن يستمر احتكار الدولة في مصر للملكية الأرضية.

وبالفعل قلقت تقر- لأول مرة منذ آلاف السنين- حق الملكية الفردية للأراضي الزراعية في مصر اعتباراً من عام ١٩٩١.

وابتدأت منذ هذا التاريخ مرحلة جديدة من مراحل علاقة الفلاح المصري بالأرض. وهي مرحلة لم تكن أقل قسوة وظلماً عما سبقها من صور لعلاقات الإنتاج الزراعي. فممارسة الحق في الملكية الفردية للأرض الزراعية لم يكن- في الواقع- سوى لصالح فئات محدودة قليلة العدد ولكنها تتمتع بنفوذ اجتماعي وسياسي كبير. سواء من كبار المتنفعين بالأراضي في المرحلة الأسبق. أو أفراد الأسرة الحاكمة واتباعهم. أو المتعاونين مع الاحتلال الأجنبي. أو المغامرين الأجانب الذين تملكوا الأراضي مقابل ما أغرقوا به مصر/ الحديوي من

دخلت قضية العلاقة الإيجارية الزراعية- اعتباراً من الشهر الماضي- مرحلة حادة وخطيرة. نتيجة بدء عملية نقل الهيازمات من مستأجري الأراضي إلى ملاكها بكل ما يعنيه ذلك من توترات اجتماعية وأمنية في معظم أنحاء الريف المصري. ومع اقتراب موعد النفاذ الفعلي للمرحلة النهائية من القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢- والتي تقضي بحق المالك بإرادته المفردة في إخلاء المستأجر من الأرض منذ أكتوبر ١٩٩٧- تزداد بظيعة الحال حدة الترقب والتوتر بكل انعكاساتها على المجتمع المصري بأسره.

من أجل ذلك- ومن منطلق الحرص ليس على حقوق المستأجرين فحسب ولكن على المصالح العليا الزراعية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية- للفوز- سوف نتطرق مرة أخرى لهذه القضية المجتمعية الهامة. محاولين بأكثر قدر من الموضوعية الإحاطة بإبعادها الرئيسية -التاريخ والواقع والمخاطر والحلول- من خلال محاولة للإجابة عن العديد من التساؤلات التي أصبحت تشغل الحياة الاجتماعية السياسية والإعلامية وخاصة مع تفجر الموضوع في الفترة الأخيرة.

أولاً- هل كان قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٢ هو سبب هذه المشكلة؟

بالفراة المضروعة -وليست المتخصصة- للتاريخ المصري. يتأكد أن هذه المشكلة قائمة في الريف- بل المجتمع- المصري. قبل

عريان نصيف

ديون.

وكان من الطبيعي أن يلجأ هؤلاء الملاك إلى نظام تأجير الأرض - كمنظم غالب للاتاج الزراعي واستغلال ملكيتهم- نتيجة عدم خبرتهم بالزراعة وهرولهم من تحمل مخاطر انتاجها بالإضافة إلى هجرة أغلبهم إلى الحياة المرفهة في المدن.

وبدأت بالتالي مرحلة جديدة من الاستغلال الشرس للفلاحين ، فلقد كانت صور العلاقة الاجبارية تتمثل إما في وسائل شديدة التخلف والظلم للفلاحين (مثل المزارعة ونظام الزرعة الواحدة) ، أو في الإيجار النقدي الذي كان يستنفذ الفلاح-ماديا وصحيا- ولا يترك له فائضا أكثر من حد الكفاف الذي لا يمكن يمكنه حتى من تجديد قوة عمله.

ولعل هذا الاستغلال الاجتماعي والفقر الطغى للفلاحين ، بالإضافة إلى دخول العمل السياسي إلى كبروف الفلاحين الفقراء ، تمتزجا بالعنصرية الخاصة للحقل المصري من خلال ارتباط طلائع وقيادات طبيعية من الفلاحين- وأبنائهم المثقفين- بالحركة البصرية والفكر الاشتراكي وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية- قد أدى إلى ادراك ووعي الفلاحين بمدى ما يحق بهم من ظلم وقهر حاولوا مواجهته- دفاعا عن حقهم في الأرض والحياة الإنسانية الكريمة- في هاتهم العنيفة في اواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات في-بهوت- كفور نجم- السرو، ساحل سليم، الهدارى، ميت فضالة، أبو الفيض، دراوة ... والعشرات من قرى مصر في وجه بحري والصعيد.

ولقد كان هذا الاستغلال البشع للفلاحين المستأجرين- لصالح تضخم الربح العقاري وزيادة الأرصدة المالية في البنوك الأجنبية والتصدير في وسائل الحياة المرفهة لكبار الملاك- موصفا انتقادا أو هجرا أو نقالا للعدد من لأحزاب والقوى السياسية ومثقفى ومفكرى مصر بدرجات متفاوتة.

ولعله من أرقى صور التعبير عن رفض هذا الظلم:

« ما كنته الأستاذ خالد محمد خالد -أحد كبار العلماء- في كتابه « من هنا تبدأ» عام ١٩٥٠. وثلاثة الأثاني هي الإيجارات الزراعية . إن هذه العقود التي تبرم كل عام بين المالكين والمستأجرين لتحمل بئر كل سطرورها أشنع مأساة. وهي صكوك موت حقا يوقتها الفلاح

وهو كاره صاغر ».

هوما أدركه -وعبر عنه بشجاعة- الألب هنري غيروط في كتابه « الفلاحون » وإن الدولة مستولنة عن بؤس الفلاح لأنها وحدها تستطيع علاج حالته، لكن الحكومة والبرلمان يتشكلان من كبار الملاك، ومن ثم يجب تغييرهم؟.

ثانياً: هل انتحار الإصلاح الزراعي المصري للمستأجرين ضد الملاك؟.

أزعم أن الإصلاح الزراعي المصري- في قضية العلاقة الاجبارية - لم يكن متحازا بشكل مطلق للمستأجرين ضد الملاك، وإلا لكان قد قام بتصفية ملكية الملاك العقاريين (الذين لا يبدلون أي جهد ولا يقومون بأي دور في العملية الانتاجية الزراعية سواء بأنفسهم مباشرة أو بالاستثمار الرأسمالي للأرض ملكهم)، كما فعلت الكثير من الدول- مع اختلاف أنظمتها السياسية والاقتصادية- ومنها اليابان الرأسمالية في ظل الاحتلال الأمريكي، ولكنه كان حريصا على إقامة حالة -قانونية وواقعية- من الاستقرار الاجتماعي في الريف من خلال :

١) حماية المستأجرين العاملين بالأرض، بما يلي:

حق المستأجر -ورثته العاملين بالزراعة- في الاستقرار بالأرض طالما لم يخلف بآى التزام جوهري جده القانون أو العقد.

حضانة عائد مجز للمستأجر يتناسب مع عمله وأسرته طوال العام الزراعي.

« اعتبار عدم تعديل الإيجار النقدي إلى إيجار بالمزارعة ، قاعدة قانونية من النفاذ العام التي لا يجوز الاتفاق على مخالفتها ولو برضا الطرفين، لما حملته تلك الصورة من صور الإيجار من استغلال كبير للفلاحين.

٢) الحرص - في نفس الوقت- على مصالح الملاك المؤجرين، من خلال:

« ضمان حق المالك في الحصول على ريع ملكيته للأرض حتى لو لم يكن يربطه بها أى علاقة إنتاجية.

« تقنين حق في طرد المستأجر في الحالات التالية:

أ- تأجير الأرض من الباطن أو التنازل عن الإيجارية للغير أو مشاركته فيها.

ب- تبوير الأرض أو تجريفها أو الباء عليها أو عدم زراعتها.

ج- التخلف عن الوفاء بالأجرة كلها أو بعضها، عن السنة الزراعية بأكملها أو بأى

جزء منها.

د- اذا زادت حيازة المستأجر أو ملكيته- هو وزوجته وأولاده القصر -عن خمسة أفدنة بخلاف المساحة المطلوب إنهاء العقد بالنسبة لها، في الوقت الذي لا تزيد فيه حيازة المؤجر أو ملكيته- هو وزوجته وأولاده القصر- عن خمسة أفدنة أو عن نصف ما يحوزوه المستأجر.

ولعل هذه القواعد التي نص عليها المرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢- بشأن تنظيم العلاقة الاجبارية الزراعية- تؤكد بوضوح أن « الإصلاح الزراعي المصري لم يكن متحازا ضد الملاك ، بقدر ما كان حريصا على علاقة إيجارية متوازنة بين مصالح طرفيها من أجل زيادة الانتاج الزراعي وحماية الاستقرار الاجتماعي.

ثالثاً: هل كانت هناك ضرورة اجتماعية لتعديل قواعد العلاقة الاجبارية؟.

بعد مرور أربعين عاما على صدور قانون الإصلاح الزراعي ، مع كافة التغيرات التي لحقت بالمجتمع المصري، كانت هناك مشاكل حقيقية جادة وحادة بين الملاك والمستأجرين للأراضي الزراعية تستوجب ضرورة إجراء بعض التعديلات على القواعد القانونية للعلاقة الإيجارية.

« فإلزام يشككون من مسألة القيمة الاجبارية، ومن عدم تمكنهم -فعليا- من التصرف في أرضهم بالبيع -بسر السوق- نتيجة أن أرضهم مؤجرة .

« للمستأجرين يعانون من تحميل الملاك على طرفهم من الأرض -مصدر دخلهم الوحيد- بوسائل مختلفة يشرب أغلبها التدليس وعدم الشفافية. وبدلا من محاولة الاستيابان الحقيقي للواقع الفلاحي/ الزراعي في هذه المرحلة وإجراء التعديلات الواجبة على ضوء الموازنة الجادة بين حقوق المستأجرين ومصالح الملاك من ناحية ، والحرص على الانتاج الزراعي والاقتصاد القومي من ناحية أخرى- ولقد تقدمت بعض الأحزاب ويشكل خاص التجمع بمشروعات قوانين كاملة تراعى كافة هذه الاعتبارات متكاملة -بدلا من ذلك صدر القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢.

ولعل أهم ما تضمنته هذا القانون ، يتمثل فيما يلي:

١- ما نصت عليه المادة ٣٣/ مكرر ج، من رفع القيمة الاجبارية دفعة واحدة إلى



سامون الهببى



ضياء الدين داود



ابراهيم شكرى



خالد مجيب الدين

العملية الابحار ما لا يقل عن خمسة أفراد. فمعنى ذلك أن هناك ما يزيد على ٦ ملايين مواطن منتج مهددون بالقذف بهم إلى الظلام. حيث أنهم -خلاف الملاك- ليس لهم أى مهنة أخرى سوى الزراعة ولا يحصلون على أى دخل إلا من خلال عملهم بالأرض المؤجرة. (٢) تدهور الانتاج الزراعى واتساع المجاعة الغذائية والحصولية.

استنادا أيضا إلى الأرقام والاحصاءات الرسمية والحكومية فقط، فإن مساحة الأرض المؤجرة بالنقد وكافة صور الابعار الأخرى تبلغ -وفق الاحصاء الزراعى الأخير عام ١٩٩١- ٧٧٧٠٤٣٠٠ ر. فداناً، وتصل مساحة الأرض المؤجرة بالنقد فقط- بناء على ما ورد بتقرير قطاع الخدمات الزراعية والمتابعة بوزارة الزراعة فى ١٩٩٦/١٢/٩ ٨٢٧٠٢٦٨ ر. فداناً.

ونظراً لما هو مدرك- ومثبت رسمياً فى تقارير المؤسسات السياسية والحيثية القومية- فإن الأراضي الزراعية المحصية فى الدلتا والوادي . قد نقصت بفعل مائتا التجريف والبناء خلال العقودين الأخيرين، حوالى مليون فدان.

فإن المساحة المؤجرة من الأرض الزراعية تزيد على ٢٥٪ من جملة المساحة المتزعة. ولا شك أن تطبيق المرحلة النهائية من القانون بطرد المستأجرين

الملاك والانتاج الزراعى والأمر الاجتماعى على التفصيل التالى:

(١) القذف بـلايين المستأجرين إلى البطالة والظلام.

بعيدا عن محاولات د. يوسف والى وبعض السادة المسترلين للتهوين من شأن التصفية قلن تستند فى تحديد عدد عقود الابعار -وبالتالى حجم المستأجرين- إلا لمصدر واحد ، وهو الحزب الوطنى الحاكم الذى حدد- استنادا على الاحصاءات الرسمية-فى صلب مشروعه لتنظيم العلاقة الابحارية والمنشور بمجلة الأهرام الاقتصادى فى ٢٤ فبراير ١٩٨٦، أن عدد العقود الابحارية المسجلة بالجميعيات التعاونية هى مليون ، ٢٩٧ ألف، ٩٤٤ عقداً.

وإذا كان د. والى يعترض على هدد الاحصائية مؤكداً أنه قد حدثت خلال المدة من ٨٦ وحتى الآن حالة حراك فى هذا المجال يتحول جانب من قطاع المستأجرين إلى ملاك لنفس الأرض المؤجرة. فهو على حق، ولكن سيادته يتناسى أنه قد حدثت فى نفس هذه الفترة الزمنية تحولات أخرى تفرق نسبة هذا الحراك وتزيد من عدد عقود الاعار تنسبة عوامل الوراثة وتمتعت الملكية بالنسبة للملاك «بمسنداد عبود الابعار -إلى وريثة المستأجرين العاملين بالزراعة ، بما أدى إلى أن عقود الابعار- رغم هذين المتغيرين لا تقل عن مليون وربع عقد.

وحيث أن المستأجر -وخاصة بعد انتشار البطالة وعدم تعيين الخريجين بعول من عائد

٢٢ مثل الضريبة العقارية (بدلاً من ٧ أمثال لصريفة) اعتباراً من عام ١٩٩٢.

٢- ما تضمنته المادة/٣٣ مكرز ، بانتشاء عقود الابعار الزراعية بانتشاء السنة الزراعية ١٩٩٧/٩٦. أى حق المالك -بإرادته المنفردة-فى طرد المستأجر من الأرض اعتباراً من أكتوبر ١٩٩٧.

.. ومع معاناة المستأجرين من رفع القيمة الابحارية بهذه النسبة الكبيرة والمباغتة، وخاصة مع اقتران ذلك بالارتفاع الرهيب والمتوالى فى اسعار مستلزمات الانتاج وقوائد القروض من يك النسبة والانتشار الزراعى- وقد لما يسمى بسياسة تحرير الزراعة وتصفه الدور التعاونى وترتد الصلاح نهياً لماقيات الاستيراد وآليات السوق السوداء وتحكم المحتكرين لجميع مراحل عملية الانتاج الزراعى- إلا أن الخطر الأكبر إنما يتمثل فى اقرار حق الملاك فى اخلاء المستأجرين من الأرض، وفقاً للمادة ٣٣/ مكرز من هذا القانون

رابعا: ما هو الهجوم الحقيقى لمخاطر تنفيذ المرحلة النهائية من القانون؟.

تتمثل المرحلة النهائية من القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢- وهى التى تتيح للملاك الحق فى طرد المستأجرين -حال نفاذها، العديد من المخاطر والاهدارات الكبيرة. ليس تجاه المستأجرين فقط بل بالنسبة أيضا لصغار

من الأرض، سوف يؤدي إلى البائس- وخاصة مع عدم قدرة صغار المزارعين (وهم أغلبيتهم) على زراعة أرضهم بأنفسهم- إلى البائس التالية:

«إهدار الأرض الزراعية وتحولها -بكافة صور التحايل على القوانين- إلى مشروعات سياحية وترفيهية وإسكانية.

\* أن بعض المستأجر- رغم بقائه في الأرض- رحلته تحت سيف التهديد بالطرده، مما يؤدي -نفسياً وعملياً- إلى ضعف الانتاج الزراعي.

\* تجميع ملكية الأراضي- الحالية من المستأجرين- من خلال شرائها من صغار الملاك لتنتقل إلى الشركات الاستثمارية الكبيرة -العلة أو الأجنبية- التي لن تراعى طبيعة الحال زراعتها بالمحاصيل التقليدية والاستراتيجية الضرورية لغذاء الشعب كالتفاح، أو اللازمة للرفاء باحتياجات الصناعة الوطنية كالقطن، ولكن سيتم استثمارها بالمحاصيل التصديرية ذات الربحية الأعلى.

.. وإذا كنا نشكو اليوم من الفجوة الغذائية والمصرفية -وخاصة بالنسبة للفقير الذي نستورد منه- بشروط الاستغلال الأمريكي أساساً، ما يقرب من ستة ملايين طن سنوياً، فإنه في حالة نفاذ القانون وتداعياته سوف يتضاعف حجم هذه الفجوة بكل ما يعنيه من:

\* المزيد من ارتفاع أسعار المحاصيل الغذائية وعلى كاهل جماهير المستهلكين.

\* تروى الأوضاع بالنسبة للصناعات القائمة على الزراعة (كالسكر والغزل والنسيج)، أو المرتبطة بها (كالأسمدة).

\* الضغوط الاقتصادية -وبالتالي السياسية- على مصر- ولعل الموقف الأمريكي الأخير يقطع ما يسمى بالمعونات الأمريكية عن مصر للضغط عليها بخصوص بعض القضايا الإقليمية والعالمية التي أرائى الصديق الأمريكي أن لمصر بالنسبة لها مواقف مستقلة عن السياسة الأمريكية، ما يؤكد -لن لم يكن قد تأكد بعد- المخاطر الاقتصادية والسياسية للاعتماد على الخارج وخاصة بالنسبة للاحتياجات الغذائية.

(٣) الأضرار بالمصالح الحقيقية



ابراهيم بدراري

جمال بدردي

الطائرين لهم من مجال عملهم ومصدر دخلهم الوحيد.

ب- بالتحاق عدة ملايين جدد إلى جيش البطالة فلا بد أن تنوع الميزان من الأراضي الاجتماعية الخطيرة من جريمة وغش وأرهاب .. الخ.

خامساً : ما هو موقف كل من الأحزاب والقوى السياسية والاجتماعية من القضية؟

سنحاول -في هذا المحور من محاور الموضوع- الرصد بلا تعليق على موقف هذه المؤسسات مع التركيز على مؤسستين بالذات، وهما: الحكومة وحزب التجمع .. حيث أن لكل منهما رؤية متكاملة (نهجا وحلولا) لهذه القضية الهامة.

حزب الأحرار:

-كفانا ظلماً للملاك حوالى نصف القرن.

-يجب على الحكومة عدم العدول عن القانون أو تأجيل تطبيقه.

- الخضوع لابتزاز الشيوعيين واليساريين المطالبين بالتراجع عن القانون أو تأجيل تنفيذه، له نتائج وخيمة على الاستثمار.

-على الحكومة أن تتخذ الإجراءات ضد مشيرى الشعب والذين يجمعون توقيعات الفلاحين.

(المجزوءة دعيس)- نائب رئيس الحزب- جريدة مايو في ٩ / ٩ / ٩٧.

-كل ما جاء به القانون الجديد هو وضع نهاية لحالات الانعاز التي كانت قائمة في حق الملاك في ظل القانون القديم.

-جاء القانون الجديد ليقم علاقات متوازنة بين من يملك الأرض وبين من يتعامل معه من المستأجرين.

- تسعين في المائة من الأرض الزراعية في مصر يزرعها أصحابها بأنفسهم أو بطريق المشاركة ولن يطبق القانون إلا على ١٠٪ من الأراضي.

-هذا هو العدل الذي جاء متأخراً.

(صلاح قبضايا- رئيس تحرير جريدة الحزب والاحرار) في ٩٧/٩/٩٧.

حزب الوفد:

-صدر هذا القانون لكي يشعر المالك أنه مالك حقيقي.

- دعوى البعض بأن المستأجر سيضار

## لصغار الملاك

حوالى ٦٠٪ للأرض المزروعة هي لصغار الملاك (٥ أفدنة فأقل) وغالبيتهم الساحقة لا يستطيعون زراعة أرضهم بأنفسهم لامتناعهم لأعمال أخرى ولعدم اقامة النسبة الأكبر منهم في القرى ولعدم خبرتهم بالعمل الزراعي، بالإضافة إلى الارتفاع الكبير في تكاليف عملية الانتاج الزراعي في هذه المرحلة.

وإذا كانت المضاربة على سعر الأرض قد أوصلت أسعارها إلى أرقام فلكية -كمحور رئيسي في المخطط الذي استهدف صدور قانون طرد المستأجرين ونفاذه تحت دعوى مصلحة الملاك المطولمين والأرامل واليتامى- فطبيعة الحال لو تم تنفيذ القانون- ووفقا لقاعدة العرض والطلب مع عدم قدرة الملاك الصغار على زراعة أرضهم الخلافة من المستأجرين أو استثمارها- سينخفض سعر الأرض ليس إلى المعدل الطبيعي بل إلى ما هو أقل منه، ولا يملك صغار الملاك حينئذ- وحيال هذه الأوضاع الشديدة الترتيبية سوى بيع أرضهم بأسعار منخفضة خاسرين بذلك موردا ثابتا ودوريا وليس ضئيلا للدخل كان يساعدهم -كفئة من محدودى الدخل- على مواجهة أعباء الحياة.

٤) تدهور الأوضاع الاجتماعية والأمنية

من منطقية الأمور، أن يترتب على تداعى كافة النتائج السابقة، المزيد من تدهور الأوضاع الاجتماعية والأمنية.

أ- التوتر الاجتماعي والأمنى الذى من طبيعة الأشياء أن ينشأ ويتصاعد بين المستأجرين المطرودين من الأرض وبين الملاك

غير صحيحة على الإطلاق.

- ليس هناك معنى لتأجيل تطبيق القانون ، وكفى ٤٥ عاما من ظلم الملاك.

- عدم تنفيذ القانون يهز مصداقية مجلس الشعب والحكومة.

- أطالب مشيرى الفتنة من بعض أحزاب المعارضة وصحفاه بأن يتقوا الله ولا يتسوا أن هناك مصلحة وطنية عليا

(ياسين سراج- نائب رئيس الحزب وروثيس هيتشه البرلمانية.

جريدة مايو ١٩٩٧/٩/٢٠)

- فرض النظام الثوري سلسلة من القوانين منحت المستأجرين حقوقا وامتيازات لا يقرها شرع ولادين على حساب حقوق الملاك .. الذين تحولوا إلى متسولين يستحقون الصدقة والاحسان.

- نجح ٩٠٪ من المستأجرين في توفير أوضاعهم مع أصحاب الأرض، أما العشرة في المائة الباقين لهم أغلبيهم من مستأجري أراضي. (دوقاف والاصلاح الزراعي.

وسيقون في الأرض وفقا لسياسة الحكومة.

- إن معارضة الحكومة لا تعنى إثارة

الشغب وتخريض الفلاحين على العوضى.

(جمال بدوي- رئيس تحرير جريدة الحزب- «الوقفة» في ١٩٩٧/٧/٢٢).

\* الاخوان المسلمون:

- القانون الجديد يتفق مع حكم الشرع بعودة حقوق الملاك إليهم.

- احذر من أن تدخل لمح تضيق

للقانون.

- تأمن من الحكومة أن تمل هذا كمر لتعريض صدر المستأجرين لعين سيحرمون

من الامتيازات التي تنعموا بها ولو بدون وجه حق.

المستشار

الهضبي- المتحدث باسم الجماعة-

حديث لوكالة فرانس برس في ١٩٩٧/٧/٥.

\* حزب العمل.

(يرفض طرد المستأجرين)

ويرى أن الحل الأمثل هو الأخذ بنظام

لاخلاف التقديرات في نظام الإيجار.

(المهندس ابراهيم شكري- جريدة الشعب ١٩٩٧/٧/١).

- نقول للذين استهزأوا بشعار الاسلام هو

الحل، وقالوا أنه شعار بلا مضمون .. ان

الزراعة نظام إسلامي أصلي.

مجدي أحمد حسين- رئيس تحرير «الشعب» ١٩٩٧/٧/١).

\* الاتحاد التعاوني الزراعي:

- محمد ادريس يحرر:

«إن الأمر يبدو وكأنه قفزة في

الظلام .. والخوف من ظاهرة المالك غير

القسم أنها تؤدي إلى تدهور الانتاجية

الزراعية، وربما يؤدي سياسيا إلى اتساع

ظاهرة استرداد الأرض والتحكم في المستأجرين

، وهو ما يهدد السلام الاجتماعي ولذا يجب

التحذير».

(محمد ادريس - رئيس الاتحاد- جريدة الأهرام ١٩٩٦/٧/٩).

- .. والاتحاد -وصحيفته- يؤيد القانون:

- «أحزاب المعارضة خائفة في قهرضها

للمستأجرين على عدم الالتزام بنطق القانون».

- «خطر البطالة لن يهدد المستأجرين».

- «أراضي بديلة لن يسهم قانون العلاقة

الاجبارية»

(جريدة التعاون ١٩٩٧/٨/٨ / جريدة ١٩٩٧).

\* الحزب الناصري:

- الدفاع عن قانون اصلاح الزراعي لعام ١٩٥٢

- رفض القانون ٩٩ لسنة ١٩٩٢.

- الهجوم على تقنين حق الملاك في طرد

المستأجرين.

- تحميل الحكومة ايجاد الحل، ومسئولية

التدابير.

(ضياء الدين داوود- رئيس الحزب).

\* القوى الماركسية:

- رفض القانون والتحذير من

مخاطره.

«إن طرر المستأجرين التجرير لغا، مصر

ومحاصيلها الأساسية سوف يفاقم من مشاكل

التحوة الغذائية الاقتصادية من ناحية

«وسيجول هؤلاء الملايين الكادحين إلى إضافة

كبرى جيش البطالة في مصر».

(ابراهيم الهدراوى نشرة الفلاحين

-سبتمبر ١٩٩٦).

-الزراعة المستقبلية للحركة الفلاحية:

«إن الدفاع عن حقوق الفلاحين معركة

شاقة وطويلة وتتطلب تعبئة أوسع القوى

المؤمنة بقضية الفلاحين».

(أحمد تهيبل الهلالي- مجلة اليسار يوليو ١٩٩٧).

وتبقى بعد ذلك- المؤسسات التي تحمل

كل منها -رغم تناقضها بطبيعة الحال

-رؤية متكاملة.

\* الحكومة :

ويرتكز موقفها حول ثلاثة محاور.

١- إعمالها: التهرين من حجم المشكلة

ولو بالتناقض مع الاحصاءات والأرقام

الرسمية الموقفة بخصوص عدد عقود الإيجار

، وجمع المستأجرين ومساحة الأرض المزرعة.

٢- هركها: المواجهة الأمنية مع

التحركات الفلاحية التلقائية الراضية للقانون

أو بعض التحركات السياسية المناصرة لها.

٣- الحلول: كانت الحكومة -حتى الشهر

الماضي- لا تطرح سوى حل واحد وهو»

الأراضي البديلة للمستأجرين

المضارين». ورغم دراكها صعوبة- إن لم

يكن استحالة -ذلك:

\* فشروعات الاستصلاح والاستزراع

الكبرى التي بدأ بعضها منذ الخمسينات

والستينات، وتكلفت مليارات الجنيهات

وطاقت عمل هائلة من جانب العاملين

والمزارعين (كمديرية التحرير، والصالحين

، وغرب النوبارية)، آلت إلى البوار والتصفية

وتفرغ للبيع على الشركات الاستثمارية.

فيالمشرعات المستقبلية (وخاصة

مشروع توشكي)-رحتي مع ثبوت جدواه

الاقتصادية والزراعية-يطرح بكل وضوح على

الشركات الاستثمارية الكبرى والمؤسسات

الاقتصادية متعددة الجنسية.

\* والاستصلاح الفردي من جانب

الفلاح وهم لا يمكن مجرد مناقشته.

\* حزب التجمع:

كان حزب التجمع منذ نشأته موقفه

الثابت وروثته الواضحة لقضية العلاقة

الاجبارية الزراعية والذي يتلخص في أهمية

استمرار هذه العلاقة كضرورة

لاستقرار الأوضاع الاجتماعية في

الريف والحرس على الانتاج

الزراعى، دون أن يكون ذلك عائقاً أمام الحوار حول أى قضايا تفصيلية -كقيمة الايجار- من شأنها دعم واستقرار هذه العلاقة.

ولقد رفض خالد محمى الدين رئيس الحزب وبيته البرلمانية مشروع القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٢، وتحدد موقف الحزب من هذا القانون ومن القضية، كما يلى:

- ١- استمرار العلاقة الايجارية النقدية.
- ٢- النظر فى القيمة الايجارية كل عدة سنوات على ضوء المعائد الصافي للقدان بعد حساب تكاليف الانتاج، أسعار المحاصيل.
- ٣- إنشاء صندوق مالى -بمعرفة الحكومة- يقوم باقراض المستأجر حال رغبة المالك فى بيع أرضه المؤجرة بما يملكه من شراء هذه الأرض ويسد السوق ، على أن يسعر المستأجر هذا القرض للصندوق على أجل طويلة وبفوائد ميسرة.
- ٤- كإجراء عاجل، يتم إيقاف تنفيذ المرحلة النهائية من القانون -المتضمنة حق المالك فى اخلاء المستأجرين من الأرض- لعدة سنوات يتم خلالها اجراء حوار قومى جاد- من كافة الأطراف لغنية-حتى يصل إلى حل موضوعى وثابت يرضى المستأجرين من الطرد، ويحافظ على مصالح الملاك، ويستهدف أساساً حماية الانتاج الزراعى، والاستقرار الاجتماعى.
- ولقد تم تقديم مشروع قانون لمجلس الشعب بهذا المعنى).

سادساً: ما العمل الآن .. وقد اقترب شهر أكتوبر؟

إن الموقف الأقرب للصحة دائماً هو الذى ينبع فى الأساس من رؤية أصحاب المصلحة الحقيقية.

وجماهير المستأجرين على امتداد ريف مصر قد اتفقت كلمتهم-دون أى زعم لترباط

أو ارتباط يجمعهم معاً على أن مطالبهم تتلخص فى كلمتين:

«استمرار عقد الايجار.

» قيمة ايجارية بإمكانهم اداؤها.

ولعل هذا يفترض من كافة القوى الاجتماعية والسياسية -خلال الفترة المحدودة المثقلة-توحيد الكلمة وتوجيه الحركة فى إطار هذين المطلبين العاديين أياً كانت الرؤى الحالية أو المستقبلية لأى من هذه القوى. ولعل هذا يفترض أيضاً:

أ- مطالبة الحكومة بما يلى:

- ١) تحويل القرار الأخير الخاص باقتراض المستأجرين من بنك التنمية والائتمان الزراعى للنسك من شراء الأرض المؤجرة التى يرغب مالكيها فى بيعها، إلى واقع حقيقى من خلال: « توسيع نطاق المصارف المقرضة للفلاحين -لهذا الشأن- بحيث تشمل البنك العقارى المصرى والصندوق الاجتماعى وبنك ناصر والرصيد المالى للحركة التعاونية.
- » جعل سعر الفائدة فى أقل حجم ممكن لا يتجاوز ٣٪.

» مد فترة السداد إلى عشرين عاماً على الأقل وخاصة أن القرض يتم بضمان الأرض.

٢) « أن يكون «للدولة» دورها الواضح فى مجال عملية التوفيق بين الملاك والمستأجرين:

»بالتوجه للملاك للاحتذاء بموقف الحكومة الخاص بأراضى الدولة والهيئات العامة وقطاع الأعمال (استمرار عقود الايجار وتنس القيمة الايجارية).

» بتحديد فترة انتقالية -ولتكن خمس سنوات- يتم فيها رقابة الدولة على عدم ارتفاع القيمة الايجارية -حالة التوفيق

واستمرار العقد- عن «صف» معين يتسكن المستأجر من الوفاء -بادانه.

(وهذا الدور المحدود للدولة لا يتعارض حتى مع ما ترفعه من شعارات التحرير الاقتصادى واحترام حرية التعاقد).

٣) أن ترفع يدها الأمنية عن الحركة السلمية للفلاحين-المعيرة عن مطالبهم، طالما تتم فى إطار من الشرعية وقواعد الدستور.

مع الافراج عن كافة من تم القبض عليهم من فلاحين أو سياسيين ماصرين لقصبتهم.

ب- على الاحزاب والقوى السياسية والاجتماعية المناصرة للفلاحين:

- ١- التمسك -بكافة الوسائل المشروعة- بمطلب الفلاحين بعدم الطرد من الأرض.
- ٢- مطالبة السيد/ رئيس الجمهورية -بعد العطلة البرلمانية -باصدار مرسوم بقانون بتأجيل نفاذ المرحلة النهائية من القانون بكل ما تحمله من مخاطر.
- ٣- دعم الحركة الديمقراطية والسلمية للفلاحين فى سبيل الحفاظ على حقهم فى العمل والحياة.
- .. وأخيراً..

إذا كانت مصر فى هذه المرحلة تواجه هجمة شرسة من الامبريالية الأمريكية والصهيونية العنصرية.

فبأى منطق تساعد -من خلال تنفيذ عملية طرد المستأجرين-على شق صفوف المجتمع ودعم القوي ومخاطر العنف داخله ، بدلاً من تجميع قوى الشعب المصرى بأسره للتوحد ضد المخطط الأمريكى / الصهيونى المعادى لوطننا ولستقبل أبنائنا؟





الشيخ محمد هراقي



د. أحمد حسن إبراهيم

## الحلول الحكومية لقضية المستأجرين

### حقيقية

#### أم محاولة لاحتواء

#### الحركة الفلاحية

القدون دون دراسة المشاكل الناجمة عن ذلك ستؤدي لاشتعال الصراعات داخل الريف المصري والتي لن يمكن السيطرة عليها بسهولة مما يهدد أمن مصر الاجتماعي والاقتصادي.

ولجأت الحكومة إلى التهوين من حجم المشكلة والتهوين من حجم المضامين من القانون وأعلنت أنه تم حل ٩٠٪ من المشكلات التي يشهريها القانون وإن الباقى وهو ١٠٪ فقط سيتم حله قبل أكتوبر القادم موعد تنقضى القانون.

وفجأة وجدت الحكومة نفسها أمام براكين الغضب المتفجرة في الريف المصري وتفجرت أحداث العنف في أماكن متفرقة من مصر - من الفيوم وحتى بني سويف والغربية والدقهلية والمنيا - وكانت هذه الأحداث تزداد ضراوة كلما اقترب موعد تنفيذ القانون، مما يهدد أمن البلاد واستقرارها ويهدد مصدراً مهم من مصادر الدخل في مصر بالتدهور وهو

منذ بداية العام الحالي اصدرت الحكومة أوامرها للجهات الزراعية منع تحديد الحيازات الزراعية للمستأجرين الذين تنتهي حيازاتهم واتحاد الأحرار الالتزام لنقل الحيازات من المستأجرين إلى الملاك ابتداء من شهر يوليو مما يعنى أن الحكومة قد بدأت في تنفيذ الشق الخاص بطرد المستأجرين من الأراضي الزراعية المستأجرة طبقاً للقانون ٩٦ لسنة ٩٢ مما فجر العديد من أحداث العنف في أماكن متفرقة من قرى مصر ومجوعها. حيث وجد ٩٠٤ ألف مستأجر - مستأجرون مليون، و٤٤٨ ألف فدان بنسبة ٢٠٪ من الأراضي المزروعة - يمولون ٣٥ مليون فرد أنفسهم بدون مصدر مناسب للرزق وخاصة أن الأغلبية الساحقة لهذه الأقاليم هم من صغار الفلاحين إذ أن ٨٢٤ ألف مستأجر بنسبة ٩١٪ منهم مستأجرون لأقل من خمسة أفدنة، وإن ٤٢١ ألف مستأجر منهم لا يملكون أى أراض أخرى مما يعنى أن هذه الأرض هي مصدر رزقهم الوحيد. ومحاطت الحكومة بمحدرات المعارضة من أن الإسراع بتنفيذ هذا

خالد البلشي



الزراعة، ولجأت الحكومة إلى المواجهة البوليسية وعمليات القبض العشوائية على المستأجرين.

**ورصد تقرير مركز الأرض لحقوق الانسان** حول أوضاع المستأجرين الراهنة في الريف المصري من ١٩٩٧/١ إلى ١٩٩٧/٥/٧ العديد من حالات العنف داخل الريف المصري الناجمة عن البدء في تنفيذ القانون ووصول عدد ضحايا العنف خلال هذه الفترة إلى ٥ قتلى و٨٦ مصاباً من الفلاحين. كما بلغ عدد القروض عليه ١٦٧ فلاحاً أما الفلاحون الهاربون فقد بلغ عددهم ٦٩ فلاحاً.

وخلال الشهرين الأخيرين تصاعدت أحداث العنف أكثر وأكثر وتواصلت عمليات الاغمار في العديد من قرى

مصر وتوجعوا احتجاجاً على قانون طرد المستأجرين ولجأت الحكومة إلى تصعيد الإجراءات البوليسية القمعية في مواجهة حركة الفلاحين بل ومواجهة تحركاتهم الجماهيرية. واستخدمت قوات الشرطة والأمن كل الأساليب القمعية من القبض العشوائي على الفلاحين أو العناصر النشطة في الدفاع عنهم إلى هدم البيوت وحرق المحاصيل مثل ما حدث في السيفلاوين. واستخدمت الشرطة العنف في أماكن متفرقة من الجمهورية مثل دمنهور وشبين الكوم وكشيش وتبره والقاهرة بينها وبعض مدن الغربية، ما دفع بالأحداث إلى الأسوأ. وشهدت العديد من المحافظات المزيد من المواجهات استمرراً لتناح الأزمة والتي تنذر بكارثة وهيبه.

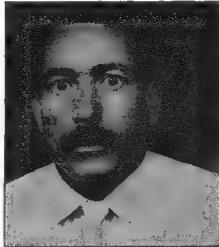
وحسب بيانات مركز الأرض في الفترة من ١٩٩٧/٥/٧ إلى ١٩٩٧/٧/١٣ وصل عدد ضحايا العنف إلى ٦ قتلى و ٦١٠ مصاباً، ٥٩٢ مقيروضا عليهم، والهاربون ١١٠ فلاحاً، والمحبوسين ١٧٥ فلاحاً.

وفي محاولة لاحتواء أحداث العنف وتهذئة الأمور حتى يتم تمرير القانون أو ربما ادراكاً متأخراً من الحكومة لحجم المشكلة لجأت الحكومة إلى طرح مجموعة من الحلول: ففي ٢١ يوليو أعلن د. يوسف والي وزير الزراعة أنه أصدر توجيهاته بقيام البنك

الرئيسي للتنمية والائتمان الزراعي بتوفير تمويل طويل الأجل لاقرض المستأجرين الراغبين في شراء الأرض الزراعية التي يستأجرونها من ملاكها.

وصرح د. حسن خضرت رئيس مجلس إدارة البنك الرئيسي للتنمية والائتمان الزراعي بأن مجلس إدارة البنك في جلسته التي عقدت يوم الاثنين ٦/٣٠ وافق على قيام البنك بتوفير تمويل طويل الأجل لاقرض المستأجرين الراغبين في شراء الأرض التي يستأجرونها وأنه تقرر تخصيص ١٠٠ مليون جنيه بالبنك الزراعية لتحقيق ذلك.

وصرح بان البنك سيقرض المستأجرين ٧٠٪ من قيمة الأرض الزراعية التي يرغب في شرائها بحد أقصى ١٠ أفدنة من الأرض الزراعية



محمد خير

للمستأجر الواحد بحيث يتم تسديد القرض على سبع سنوات ويعاود لا تتجاوز ١٨٪. وذلك بشرط أن يقدم المشتري شهادة تصرفات عن الأرض لمدة ١٠ سنوات سابقة وكشف تحديد مساحة وتحديد مصدر الري والصرف. وفي ٤ يوليو الماضي وأثناء زيارة الرئيس مبارك الأخيرة للشوكة وأثناء زده على أسئلة الصحفيين صرح بأنه مهتم بقضية مستأجري الأرض الزراعية اهتماماً كبيراً ووعد بمنحهم أرضاً بديلة في المناطق الجديدة.

ولكن ما مدى جدوى الحلول التي تطرحها الحكومة لحل المشكلة؟ وهل الحكومة جادة في تنفيذ هذه الحلول أم لا؟

يبدو أن تصريحات المسؤولين الأخيرة كانت في إطار المحاولة لاحتواء القضية وتبرير القانون. حيث نشرت جريدة الاحرار يوم الأحد ٦ يوليو بأن البنوك اللبوك الزراعية بالمحافظات أكدت أنها لم تعلق أي تعليمات بصرف قروض للمستأجرين لشراء الأرض الزراعية من الملاك. وقال مصدر مسئول ببنك التنمية والائتمان الزراعي بالجيزة أن صرف القروض لمستأجري الأرض الزراعية كان مجرد قرار لوزير الزراعة ولم تعلق فروع البنك أية تعليمات بالصرف.

أما بالنسبة للأراضي البديلة فقد كشفت جريدة الدستور في عدده الصادر يوم ١٦ يوليو عن قيام وزارة الزراعة ببيع

**أراضي وهبة للمستأجرين.** حيث قوحي عدد كبير من المستأجرين المتقدمين بطلبات الحصول على أراضي بديلة في المدن الجديدة بأنهم قد حصلوا على أرقام تسجيل وهبة وأن بعضهم يشترك في نفس القطعة والاربع مع آخرين.

وكشفت الدراسات أن اقتراح د. والي باعاً أراضي بديلة للفلاحين في منطقة سهل الطينة بسيينا بأنه يدور في إطار المسكنات حيث كشفت دراسة قيمة لكلية العلوم البيئية بالعرش أن أراضي سهل الطينة تعاني بشدة من ارتفاع نسبة ملوحة التربة بنسب تجاوزت ملوحة البحر المتوسط والتي من المعروف أنها أعلى نسبة ملوحة في العالم وبالتالي تصعب فرصة الإنتاج الزراعي في هذه الأراضي لا تزيد عن ٣٠٪ تقريباً. ولن يزيد الإنتاج الإجمالي على ٢٥٪ بالمقارنة بنسب الإنتاج الزراعي في الأراضي الخصبة فكيف إذن يذهب الفلاح إلى هذه المناطق القاسية والبعيدة.

ولكن يفرض جديده الحكومة في تنفيذ ما وعدت به. فهل ستسهم الحلول المطروحة في حل القضية؟

## القروض البنكية والحلول البديعية

يقول الشيخ محمد عراقي أمين الفلاحين بحزب التجمع: إن ما تطرحه الحكومة حول عملية القروض البنكية لا يمكن وصفها إلا بأنها حلول تمجيزية. ويقول لقد كنا في التجمع أول من طرح هذه الفكرة منذ الثمانينات. وقد عرضناها في الإصراع المشترك بين مندوبي الحزب خالد محيي الدين محمد عراقي وأعضاء من أمانة الفلاحين على د. والي وقهاادات الحزب الوطني عند مناقشة مشروع القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٦ قبل إصداره وكان رأينا الثابت الذي ما زلنا نتصمم به لئلا هو:

إقراض الفلاحين المستأجرين لشراء الأراضي المستأجرة في حالة عرض المالك هذه الأراضي للبيع وأن يكون القروض التفضية في ذلك وإن يأخذها بسعر المثل السائد. أما التمويل فتوفره الحكومة بقرض تغطي بضمان الأرض المشتراة على أن تكون ميسرة في معدل الفائدة ومدة السداد. وحددنا تقريباً أن تكون قيمة القسط الذي يدفعه المستأجر لاسهلاك القرض في حدود ١٥٠٪ من القيمة الإيجارية.

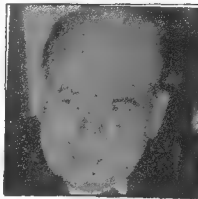
ولأن الحكومة بدع غامضة طويلة رأت أن ما عرضه التجمع تفصيلاً في الإحصاءات المشتركة مع د. والي وقهاادات الحزب الوطني ومنه هذا الموضع هو الصحيح الوحيد. لذلك فلقد بدأت تقترط منه بخصوص القروض والأراضي البديلة التي توزع على المستأجرين. وقدمت حلولاً في هذا الإطار.

ولكنها جميعا غير  
عسكرية لان توزيع  
الأراضي البديلة  
ما زال وعوداً لم  
يصدر بها قانون  
ملزم أو قراركم  
أن تكلفه استصلاح  
عالية جداً لا يستطيع  
الفلاح العادي  
تحملها. كما أن الأمكن  
المعرضة بها هذه  
الأراضي غير صالحة  
للاصلاح بسهولة  
وليس به شبه أسسة  
تساعد الفلاح على  
الاستمرار.



الرتوس مبارك

أما بالنسبة  
للعرض الذي قدمه  
الحكومة بخصوص  
تحويل شراء أراضي  
قروض من بنك التنمية  
فانه يصح المستأجر  
على قرض مستجيب  
لأن لاعداد البائدة  
للأرض الآن بين  
٢٥ - ٣ جنيه  
للقروض أي نزوح بين  
٧٢٦٠ ألف جنيه  
للقدان يأخذ القرض  
منها ٧٠٪ من البنك و يدفعها مع القوائد  
على سبعة أقساط سنوية ونحن في حزب  
التجمع نرى أن هذا الحل مستحيل التنفيذ  
لسبب



يوسف والي

١- أنه يقترض قدره المستأجر  
على دفع ٣٠٪ المخرجة عن القرض  
نقدًا وهي بين ٢٠ و ٢٤ ألف جنيه  
تقريباً علماً بأن ٩٩,٩٩٪ من المستأجرين  
معدين ولدى الحكومة جهازها المركزي  
للتعبئة والاعمال وللتثمين  
٢- أن قيمة القسط السنوي سوف يكون  
في حدود من ٦٥ إلى ٧٠٠٠ جنيه صاف  
إلى التوفيق السنوية ولن يكون تكون في  
حدود ٣ آلاف جنيه. وعليه فإن على  
المستأجر أن يدفع قسطاً سنوياً يدور  
حول العشرة آلاف جنيه وهذا مستحيل  
حتى لو زرع الأرض نقوداً في ظل نقصان  
أسعار الكعكة ولائحة لعمودى الثابت لها  
بعد تحرير الزراعة وإزالة الدعم وسبباً أسعار  
السوق والتي تبلغ وفي بعض المزارع  
عمرًا أقلها شراة لخدمه لأزارع مثلاً  
١٢٠ جنيه للقدان الواحد بتقدير الحكومة.

علماً بأن فقدان المملوك المزروع  
على الدولة يقضى به ٢٠٠٠ جنيه  
٢٢٠٠ جنيه وذلك حسب دراستنا الربطة

بأسواق المحاصيل والأسعار  
الرسمية للخدمة وهذه  
التقود ستذهب في  
تجاهل: الأول هو الوفاء  
بحاجيات المعيشة والثاني  
هو سداد أعباء القرض.  
وفي هذه الحالة وحتى  
لو أسقطنا احتياجات  
الفلاح المعيشية ورأته  
فلا حرام لا يأكل ولا  
يشرب ولا ينام فانه  
سحرج في آخر الموسم  
بحساب مدين يسارى  
٣٠٠٪ من دخله في  
أحسن القروض. أرايت  
كيف يحرق تخفيف  
الأعباء عن محدودى  
الدخل؟

ولهذا فاننا نطالب  
بفتح الباب للمزارع إذا  
كانت هناك جدية في  
تقديم الحلول ولكن قيمة  
القرض ١٠٠٪ من  
ثمن القدان وسعر  
الفائدة مساويا  
لاسعار الفائدة في  
قروض اسكان شبها  
حسنى مبارك لاجمع  
من محدودى الدخل وأن  
تكون مدة سداد القرض بين ٣٠ - ٤٠ سنة  
على الأقل في هذه الحالة فقط يمكن أن يكون  
الحل عملياً كما قدمه التجمع مبدئياً قبل  
ذلك. والا فنحن نيشر الحكومة من الآن في  
حدود ما تفرضه بأنه لن يحدث جديد. إذ من  
المفيد في مثل هذه الظروف الباقية الحساسه  
من الناحية المجتمعية أن تقدم حلولاً ممكنة  
التمديد. مدعمة بدراسات وقصة تصنع علاقة  
متوازنة بين صانعي عائد القدان وقسط السداد  
وصرورات المعيشة لهذا المستأجر المتزوج  
ويعول.

أما محمود جبر صدير الوحدة  
القانونية بمركز الأرض لحقوق الاقنات  
فيقول: إن الحكومة تتحرك على ٣ محاور  
أساسية وهي القرض الذى يساهم به بنك  
الائتمان الزراعي والأراضي البديلة ولجان  
التوفيق والمصالحات بين المستأجرين والملاك.  
أشيع أنها تهدف إلى حل الصراع بين الملاك  
والمستأجرين. وحقيقة الأمر أن هذه المحاور لا  
تقدم حلولاً حقيقية ولكنها متنازلة من جانب  
الحكومة لسرير القانون دون تقديم حلول  
حادة.

حتث إن القرض الذى يساهم به بنك  
الائتمان والمحد بـ ١٠٠ مليون جنيه  
مبلغ زهيد بالنسبة للأراضي المؤجرة أو

بالقياس على عدد الراغبين في الشراء فضلاً  
عن أن هذا المبلغ خصص بقصد الاستعانة به  
في حالة رغبة بعض الملاك في التصرف بالبيع  
في الأراضي المملوكة لهم والمؤجرة للفلاحين.  
ويرى المركز أن جزءاً كبيراً من الأراضي  
المؤجرة سوف يكون مطروحاً في السوق خاصة  
من الملاك الغائبين وأصحاب الحيازات القزمية  
الصغيرة وعددهم مليون و٣٣٨ ألف مالك  
غائب. ولو افترضنا أن متوسط سعر  
القدان يتفصح حسب سعر السوق هو  
٥٠٠.٠٠٠ فقط فالمائة مليون جنيه  
المحددة تشتري ٢٠٠٠ قدان ومن  
هنا أنها أكذوبة كبرى اسمها  
مساهمة البنك

كما أن الفائدة وهي ١٣٪ هي فائدة  
القرض العادية. تسد على ٧ سنوات الأمر  
الذى يصعب معه الفلاح المشتري ملزماً بسداد  
مبلغ وقدره ١٢ ألف جنيه سنوياً. وهو أمر  
فوق طاقتهم.

أما بالنسبة لمحور الأرض البديلة ووفقاً  
لأحكام القانون ونص المادة ٥ من القانون ٩٦  
لسنة ٩٢ التى نصت على اعطاء الأولوية في  
الحصول على هذه الأراضي للمستأجرين الذين  
تسبى عقودهم وفقاً لأحكام القانون والذي  
لاشك فيه فإن أغلب هؤلاء سيبادرون إلى  
الحصول على هذه الأراضي. فإذا ما تبين أن  
عدد المستأجرين الذين سنتبى عقود إيجارهم  
يبلغ وفقاً لتقديرات المركز ٩٠٤ ألف مستأجر  
وإذا تم توزيع خمسة الفدنة فقط على كل  
منهم. فإن مجموع الأراضي التى  
تسبى على الحكومة تسليمها لهم  
هو ٤٥٠٠ مليون و ٥٢٠ ألف فدان. فهذا  
كلام غير منطقي وغير صحيح لأن الأراضي  
التي أصطلحت منذ عهد محمد على ٢ مليون  
فدان فكم سيفق هؤلاء المستأجرون في طابور  
الانتظار ليحصلوا على هذه الأراضي.

فضلاً عن أن فكرة الأراضي الصحراوية  
هى فكرة استثمارية على حورها نظراً لحالة  
هذه الأراضي في السنوات الخمس الأولى إلى  
تكاليف وتفتات باهظة تفوق امكانيات  
هؤلاء الفلاحين من صغار المستأجرين الذين لا  
يملكون بأي حال لهذه المهمة على المستوى  
الاقتصادي في ظل غياب البنية الأساسية في  
هذه المجتمعات الجديدة.

بل إننا نجد أن الحكومة قد باعته  
مؤخرًا في شهر مايو الماضى أراضي  
الصالحية دون الالتفات لطالب ١١  
ألف مستأجر يزعمون هذه الأراضي  
ولنا أن تتعامل كمثل تفهم  
الحكومة بذلك على كمال انقياد  
ستقوم بتوزيع الأراضي المستصلحة  
على المستأجرين الذين سنتبى  
عقود إيجارهم.  
ويقول د. أحمد حسن إبراهيم

**المستشار في معهد التخطيط القومي** بالنسبة للأرض البديلة أنا أرى أن كل أرض جديدة ينبغي أن توزع على الفلاحين لا الشركات ولا الجرحيين وذلك حتى يتم توزيع السكان على ٢٥٪ من مساحة مصر بدلاً من ٤٪ حسب الأهداف المملنة للحكومة، وأظن أن هذا يتحقق بشكل أساسي بتجهيز الفلاحين على غرار ما حدث في مديرية التحرير.

يعني: أنه يجب أن يحدث نوع من التجهيز الجماعي لمجموعة أسر من نفس القرية تربط بينهم قرابة أو مصاهرة أو حتى جيرة فنقصي بذلك على الآثار السلبية للشعور بالقرية. حيث أننا ننقل مجتمعاً متماسكاً مما يضمن استقرارهم.

وأظن أن هذا لن يتحقق إلا إذا توافرت البنية الأساسية لتحقيق مستوى حياة أفضل من القرية وذلك حتى يشعر الفلاح بالأمان. وأظن أن ذلك يجب أن يتحقق بدعم من الدولة وذلك لأن الهدف من وراء ذلك هدف بعيد. فإذا كانت الدولة مستعدة لدعم الشركات الكبيرة بالبنية الأساسية والطرق التي تسهل لها الاستثمار. فالأحرى أن تدعم الفلاح الذي سيساعد في عملية توزيع السكان.

وأظن أنه يجب على الدولة أن تختار عناصر من شب الفلاحين يشكلون أسراً والأفضل أن تكون أسراً كبيرة العدد حتى تضمن أن تحدث عملية تفريغ حقيقي للسكان وللمساعدة على الاستقرار في هذه الأماكن.

ولكن لكي نضمن نجاح المشروع لا بد أن تكون هناك دراسة جيدة وحصر للأراضي الصالحة وبينة أساسية قبل عملية التجهيز وهذا يحتاج لوقت لتدرس فيه. وإلى أن تتم الدراسة بشكل جيد. وأن نحدد المساحات المستصلحة والتي ستزعمها الفلاحين بشكل جيد حتى لا تحدث عمليات التناقل أثناء توزيع هذه الأراضي كما نشرت بعض الصحف مؤخراً. فيدرن الدراسة الجيدة للمشروع فالتستش: هذه المجتمعات الجديدة على صراعات من الأساس وبهذا لن يتحقق الاستقرار.

لذلك مطلوب إرجاء تنفيذ القانون لفترة ٥ سنوات تتم فيها كل هذه الأمور. حيث أن الدولة لم تهتم في الخمس السنين الماضية بتسمية الموضوع ولم تستغل إلا في الشهرين الآخرين فلا يمكن أنجاز ما لم يتم في خمس سنين في شهرين كالتأكد من وفرة الأرض اللازمة لذلك وحصرها وتوزيعها وتوفير سبل الري والبنية الأساسية فيها.

فحين يجب أن نعمل على أن نستفر هؤلاء الفلاحين في الأراضي الجديدة. وتوفير سبل العيش المريح لهم ولكنك إذا نقلتهم دون ذلك فانت تجعلهم بدلاً من أن يملقوا

**الفكر في قراهم فانهم يخلقونه في مكان آخر.**

نريد أن يتم ذلك بشكل يجذب الفلاحين إلى الانتقال فيضن لهم تنظيمات تكتمهم وتساعدهم في التغلب على المشاكل وتضمن لهم تسويق منتجاتهم ويشرط أن تكون الأرض جيدة وصالحة للزراعة.

أما بالنسبة للقرارات الأخيرة للدكتور والي وبك التنمية والائتمان الزراعي فانا أعتقد أنه لو أن هناك مستأجراً يستطيع أن يشتري الأرض لاستراها تحبها للمشاكل ولقد طالبت من عشر سنين أن تتولى الدولة من خلال صندوق خاص أو تعاونيات أو أي شكل آخر عملية تمويل شراء هذه الأراضي. أي أن يكون هناك أدنى تتولى عملية تمويل نقل الأرض وأن تتم بشروط ملائمة بحيث تدفع هذه الألية ثمن الأرض للمالك كقرض للمستأجر على أن يسدد المستأجر

هذا القرض في فترة زمنية معينة تتحدد على أساس قسط سداد سنوي يساوي القيمة الإيجارية. فانت عندما تطالب الفلاح بدفع قيمة أكبر من القيمة الإيجارية سهيل الأرض ويوجهه إلى العمل بالآجرة لسداد هذا القرض فيجب أن يكون هناك شروط ميسرة تضمن أن يهتم المستأجر بالأرض ويستطيع سداد القسط ويبقى له شيء يعيش منه.

ومن لدينا فروع تستطيع أن نحتديه. فالدولة تقوم باقراض تعاونيات الاسكان قروض صغيرة مدعومة وبشروط ميسرة. ولفترة زمنية طويلة ٣٠ سنة فلماذا لا نستثمر هذا النموذج.

وأنا أعتقد أننا إن لم نراع ملائمة قسط وسعر الأرض لظروف هذه الشريحة فصعني ذلك أننا نقوم بعمل جهود لا فائدة منها.

بالنسبة للجزئية التي تقول إن البنك سيتحمل ٧٠٪ من سعر الأرض. يقول د.

أحمد من أين تصور أن شريحة معينة مثل مستأجر يستأجر فداناً أو أقل أو فدانين أو أقل من المخرات التي تجعله يدفع ٣٠٪ من سعر الأرض إذا أخذنا في اعتبارنا أن قيمة الفدان قد تصل إلى ١٠٠ ألف جنيه. لنجعلها ٦٠ ألف فقط فمن أين لمستأجر فدان أو فدانين المخرات التي تساوي ١٨ ألف جنيه.

أنا أزعم أن كثيراً من المستأجرين لا يتبقى لهم من عائد الأرض أكثر مما يساوي قيمة إيجارهم لو عملوا لدى الغير. ولو أن هؤلاء يستأجرون أفراداً للعمل بالأرض لن يتبقى إلا التذ اليسير. وأعتقد أن كثيراً من المستأجرين يرضي بهذا الوضع لأنه يفضلهم على أن يعمل أجيراً لدى الغير لاعتبارات تتعلق بمسألة الإحساس بالذات واستقرار الأرض يضمن له فرصة عمل شبه مستقرة. فهم يفضلون استئجار الأراضي حتى ولو يتحقق لهم

عائد كبير.

**سعر الفائدة مرتفع جداً أننا ناضل ما هي الحكمة في أن تدعم الدولة الاقراض التعاوني وتتحه شروطاً ميسرة؟** أظن أن الهدف أساساً هو مشكلة قطاع من المواطنين لا نستطيع نفس الروح في عملية تمويل شراء الأراضي المستأجرة. فلدنيا شريحة من المواطنين محدودي الدخل والظرفاء في حاجة أن تتوفر لهم شروط وضمانات الاستقرار والعيشة الادمية. واستقرار هذه الشريحة هو في ذاته ضمان لتحقيق الاستقرار في المجتمع عامة، يعني انعكاساته على المجتمع. فلو تركوا الأرض. في أضعف الفروض سيهاجرون من القرى التي ضاقت بهم إلى المدن التي تعج بسكانها ما يلقى أعباء إضافية على المدن ويؤذي بيوتهم العشوائيات فلابد من حل المشكلة كما جذرياً.

**طالما أن المالك يريد أن يبيع والمستأجر يريد أن يشتري هتا يأتي دور الدولة وعليها كراع ومسئول عن المواطنين كانه أن تقوم بتيسير ذلك وفي هذه الحالة لا بد أن يكون للمستأجر أولوية ونفوس السعر ونفوس الشرائط. وأعتقد أن المستأجر الذي يمتلك القدرة شراء الأرض ولا يقبل ذلك فلا يجب أن يستمر في الأرض.**

ولنفيد ذلك علينا باليد في تأجيل تنفيذ القانون لنفس سنوات جديدة حتى يتم دراسة مصادر التمويل وقيمة الأموال اللازمة لذلك وأعتقد أنه لن يقع أي نوع من الغبن على المالك لأن القانون ضامن له رفع القيمة الإيجارية بأكثر من ٢٠ أضعافاً حيث وصلت إلى ٢٢ مثل الضريبة فالدولة رفعت القيمة الإيجارية الجديدة أكثر من ٣ أضعاف القيمة المحددة أكثر من ٨٦ والتي كانت تبلغ ٢٥٠ جنيهها. فالقيمة تتجاوز الآن ٨٠٠ جنيه.

أظن أنه قد تكون هناك حالات بيع عاجلة للملاك يحتاجون لبيع هذه الأرض لتصور أن هذه الحالات لن تكون كثيرة وأظن أنه يجب أن يكون لهذه الحالات الأولوية في سرعة البت فيها ولتحضس المليون جنبه المرصدة الآن لنقل ملكية الأراضي للعاجلة. أم أنه من المتصور أنها ستحل المشكلة فانا أعتقد أننا بذلك نضحك على أنفسنا هذه النقود تكفي بالكاد لشراء ١٢٥٠ فداناً في أحسن الظروف.

أخيراً: لعل الاهتمام الفائز الأخير للحكومة بهذه القضية يعكس سحها ما طالبت به القرى الختلفة في مصر من ضرورة إيقاف تنفيذ القانون لسنة ٩٢ في مرحلته النهائية الخاصة بحق المالك في طرد المستأجر لعدة سنوات تكون كقيلة باجراً. حوار قومي حقيقي وجاد يصل إلى حل متوازن يحوار المستأجرين من ترك الأراضي ويراعي مصالح الملاك ويهتم أساساً بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.

## عماليات

### ماذا يفعل العامل بعد سن الستين؟

#### هل ينتظر الموت تحت الشجرة أم يجد ما يشغل فراغه؟

عندما بلغ والدي رحمه الله الستين من عمره وأُحيل إلى التقاعد، واجه مشكلة عويصة اقتضت مضجعه وعجلت بتدهور ملكاته الذهنية والصحية، ألا وهي ماذا يفعل بوقته ولم يكن يعرف وسيلة لشغله سوى العمل؛ فلم يكن العثور على فرصة عمل لتقاعد أمراً متوفراً في ذلك الوقت من أواخر الستينات، ولم يكن والدي من معتادي الجلوس على المقاهي، أو يستطيع أن يخلق نشاط أعمال صغير يشغل به وقته. ولم يتبق أمامه سوى قضاء وقت فراغه الطويل أمام التلفزيون، وأترك للقارئ تخيل مدى الأثر الدمار لادمان مشاهدة التلفزيون المصري، سواء في ذلك الحين أم في الوقت الحالي.

#### الطابع العالمي للمشكلة

والمشكلة لا تخص العمال المصريين وحدهم، وإنما هي مشكلة ذات طابع عالمي وقديما، عندما كان المراء يبلغ الستين، كان يعتبر يحق «عجوزاً»، في حينته وفي قدرته على العمل وفي توقعاته بالنسبة

#### محمد جمال إمام

لامتداد العمر وكان العامل يتطلع بفارغ الصبر إلى ذلك اليوم الذي يستريح فيه من عناء العمل ويخلد إلى الراحة. غير أن الحياة العامة في ذلك العصر كانت مختلفة، وكان الترابط العائلي والاجتماعي قويا، وكان من المتيسر للمراء أن يجد بعد تقاعده عن العمل ما يشغل به وقته بطريقة مفيدة ومشعرة تعوضه عما افتقده من الاشياء المعنوية التي توفره القيمة الاجتماعية للعمل. وكان بيت الأسرة الكبير الذي يضم أجيالا عدة من الأسر الواحدة يوفر للسن الأمان والونس الاجتماعيين، ويحميه من الاحساس بالضيق، ويعطيه الشعور بأنه لا تزال له قيمة في الحياة.

ولكن مع تقدم سبل الرعاية الصحية وارتفاع متوسط العمر المتوقع عند الميلاد، لم يعد سن الستين بالسن التي تعجز

الانسان عن العمل أو تقتل الرغبة لديه في الاستمرار في مزاولة. وأصبح من المعتاد، حتى في مصرنا العزيزة، أن يمد العمر بالمراء إلى ما بعد الثمانين، وهي فترة انتظار طويلة لنهاية الحياة بالنسبة لمن كان في صحة جيدة وليس لديه وسيلة لشغل الفراغ غير مشاهدة التلفزيون. (من المؤكد أن آلام هذا الانتظار لا تختلف كثيرا عما يشعر به المحكوم عليه بالاعدام وهو ينتظر لحظة تنفيذ هذا الحكم) إلا أن الظروف الاجتماعية تغيرت، ووهنت الروابط العائلية والاجتماعية، واختفى بيت الأسرة الكبير، وتفرق أفراد الأسرة الواحدة في شقق سكنية في أجزاء متفرقة من المدينة الواحدة، وحالت صعوبة المواصلات في المدن الكبيرة دون التزاوج المنتظم بينهم. وأصبح من المعتاد أن يقبع المسن بصحبة زوجته وحيدتين لفترات طويلة، وبخاصة أن العلاقات الاجتماعية بين الجيران في المنزل الواحد في الأحياء السكنية الحديثة أصبحت واهية إلى حد مخجل، وليس كل متقاعد من يستطيع أن



أحمد الحماري

يبدأ عملاً خاصاً يشغل وقته ويدير عليه دخلاً اضافياً، أو من يستطيع أن يجد فرصة عمل جديدة تلائم خبرته ووضعه الاجتماعي.

ويحضرني في هذا الصدد باستمرار نموذج رجال الشرطة والقوات المسلحة الذين يحاولون إلى التقاعد في الأربعينات والخمسينات من عمرهم ويضطر بعضهم في كثير من الأحيان إلى قبول أي عمل يشغل وقته حتى ولو لم يكن متناسباً مع مكانته الاجتماعية.

وقد تزامن هذا التطور، المصحوب بزيادات سكانية هائلة على الصعيد العالمي مع الانكماش المستمر في فرص العمل نتيجة للتطورات التكنولوجية التي تقلل باطراد من الحاجة إلى الأيدي العاملة، سواء في وسائل الإنتاج أو الخدمات. ومن هنا ارتفعت البطالة، وأصبح الشغل الشاغل لدوائر الحكم في كل مكان هو توفير فرص العمل للأجيال الشابة التي تلحقهم سنوياً بسوق العمل.

واعتماد الحكومات في كل دول العالم بصفة الشباب سبباً أساسياً في المقام الأول، حيث أن هذه هي الفئة التي تحتسب ضمن فئات العاطلين عن العمل (والصيف هو الفترة التي ترتفع فيها النسب الإحصائية للبطالة بعد ظهور نتائج الامتحانات وتذاع أخبار الشباب الراغب في استكمال تعليمه، أو الذي يبحث عن فرصة عمل مؤقتة توفر له تمويلاً مناسباً لاستكمال دراسته العليا في البلدان التي لا تأخذ بمجانبة التعليم الجامعي، إلى تسجيل أنفسهم في مكاتب العمل والتشغيل من أجل الحصول على أي فرصة عمل متاحة، بينما

يدخل كبار السن في فئات أرباب المعاشات الذين يحصلون على معاشاتهم التقاعدية المستحقة، أما الشباب فاتهم أما أن يحصلوا في بعض البلاد على تأمينات البطالة لفترة زمنية محدودة، أو لا يحصلون على شيء بالمرّة، كما يحدث في مصر المحروسة، ومن ثم فانهم يعتبرون مشاكراً قلق ومصدراً متاعباً أمّتيّاً، بالنظر إلى ما لديهم من فورة حماس شبابية قد تدفعهم إلى التدمير وتكدير صفو الأمن العام أن طال انتظارهم لفرصة عمل تدر عليهم دخلاً منتظماً وتكف عنهم من بداهة أسرية طهيّة. بينما لا ينظر من كبار السن أن يقلقوا حياة المجتمع بالصخب والضجيج لمجرد إحسانهم بالمثل القاتل واقتادهم لما كان العمل بشعرهم به من إشباع معنوي.

## صراع الأجيال

اهتمام الحكومات إذن بتوفير فرص عمل للشباب أمر طبيعي في ظل ضيق أسواق العمل في كل مكان، وإن كان يأتي دائماً على حساب كبار السن، بحيث أنها ظلت تلجأ إلى تخفيض سن التقاعد عن العمل من ٦٥ سنة إلى ستين (كانت الذريعة الرئيسية فيما سبق هي الشفقة على العمال كبار السن الذين يضطرون إلى العمل حتى هذه السن المتأخرة)، ثم بدأت الأصوات تتعالى في كثير من البلدان الصناعية المتقدمة مطالبة بالاستمرار في تخفيض هذه السن بدعوى إتاحة الفرصة للعمال للتمتع بزيد من أوقات الفراغ وممارسة هوايتهم التي لم يتمكنوا من ممارستها في شبابهم لاضطرارهم إلى العمل في سن مبكرة لاعالة أنفسهم وأسرهم، فضلاً عن توفير الآلاف من فرص العمل للأجيال الشابة الداخلة حديثاً إلى سوق العمل (من بين التدابير التي يقترحها رئيس الوزراء الفرنسي الاشتراكي الجديد «ليون جوسبان» خلق مئات الألاف من فرص العمل تخفيض سن التقاعد ستيناً، وهي دعاوى ملتبسة ومبشرة للاستغراب، فلو كان العامل مثلاً من هواة كرة القدم وكان يشتغل في شبابه أن تتاح له الفرصة لإشباع حبه لها وعارسته واستعراض مهاراته لعله يصيب لاعباً مرموقاً مشهوراً، فهل يستطيع أن يفعل ذلك مثلاً وقد بلغ الثامنة والخمسين من من

عمره؟ والذين يدعون إلى ذلك من مقاعد السلطة أو مكاتب علمهم الوثيرة ألا ينتظرون حتى يصبحوا من ضمن المتقاعدين ليدركوا مدى قسوة ساعات الفراغ الطويلة، وليتأكدوا من أن العمل في حد ذاته «قيمة اجتماعية» قبل أن يكون وسيلة للتعب. وأن الإشباع المعنوي الذي تحمته ممارسة العمل أهم بكثير للإنسان (شأها كان أم مسناً) من مجرد المشاركة في رحلة حول العالم يظل يدفع أقساط تكاليفها مقدماً لسنوات طويلة قبل تقاعده عن العمل! وأن وجود المرء وسط صعبة العمل حتى ولو كانت كثيفة، أمتع بكثير من قضاء المرء لوقت فراغه وحيداً على المقهى أو بصحبة اثنين أو ثلاثة من أمثاله المتقاعدين الذين أسودت الحياة في وجوههم، أو متابعة برامج تلفزيونية يتوجه معظمها إلى تلبية اهتمامات فئات عمرية أخرى غير فئة المستن! وأنه لأمر بغضب بالفعل أن تصبح المسألة صراعاً بين الأجيال على اغتنام فرص العمل القنبيلة المتاحة، وهو صراع يدفع لثمة المستن مادياً ومعنوياً، بدلاً من أن تقوم على تكاليف اجتماعية لحل المشكلة بشكل جماعي وليس على حساب فئة ضعفت شأنها وهان أمرها.

## تجربة أمريكية

ذكرني بذلك كله تحقيق صحفي نشرته صحيفة «كريستيانس ساينس مونيتور» الأمريكية في عدد لها يرجع إلى نحو ستة أشهر عثرت عليه وأنا أقلب «في أوراق القديسة» والتحقيق يبدأ بقوله: «في السنوات الماضية واجه روبرت هامان عمليتي تكيف رئيسيتين؛ فلقد تقاعد عن العمل مبكراً نتيجة لتخفيض حجم العمالة في الشركة التي كان يعمل ضمن جهازها الفني. ومنذ ستة توحيته بزمته بعد ٣٥ سنة من الزواج. وبعد أن أصبح يعيش وحيداً، فإنه أخذ يفقد رقة زوجته واتصاله بزملائه في العمل. غير أنه وجد في الشهور الأخيرة طريقة جديدة للحياة تخفف من آلام وحدته. ففي صباح كل يوم جمعه، ينضم إلى ستة أو سبعة رجال آخرين للمشاركة في «الجموعة النقابية لرجال الستين» التي تتيح الفرصة لما يزيد عن ستين مسناً ليلتقوا

بإقترانهم». ويقول السيد هاما: إنها فرصة للخروج من المنزل والالتقاء بالناس والاستماع إلى رؤى الآخرين للحياة.

وتقول الصحيفة الأمريكية بأنه رغم أن الأنشطة الترفيهية تشغل جانباً من حياة ٢٣ مليون متقاعد أمريكي، فإن المتخصصين في التشيخة يتزايد إقبالهم بحاجة المسنين إلى إقامة صلات أعمق بالآخرين. وأن هذه الحاجة ستزاد في السنوات المقبلة، خاصة وأن عدد من يتجاوز عمرهم ٦٥ سنة في الولايات المتحدة الأمريكية سترفع ليصل إلى ٣٣ مليون شخص في السنة الحالية وإلى نحو ٧٠ مليوناً في عام ٢٠٣٠. ويؤكد المتخصصون أنه بالنسبة لهذا الجيل من الناس، وخاصة الذكور منهم، فإن حياتهم كانت تدور بالأساس حول العمل؛ ولم يستطع الكثيرون منهم أن ينسوا أي نوع من الهوايات أو يقيموا علاقات صداقة مع الآخرين، مثلما فعلت زوجاتهم. مما أوجد لديهم فراغاً كبيراً جداً عندما انتهت حياتهم الوظيفية.

وتنفس الاختصاصية الأمريكية التي أنشأت هذا التجمع للمتقاعدين أن الناس عندما يتقاعدون عن العمل ويتوقفون عن الذهاب إلى أماكن العمل يجدون أنه أصبح من الممتع عليهم الاعتراف بالحقيقة المرة التي تتلخص في أنهم قد انتقلوا من بيئة يلتقون فيها بمئات من الناس إلى أخرى لا يجدون فيها سوى القليل من الصلات الحلاقة الباعثة على الحيوية والنشاط. وتضيف بأن هؤلاء

الناس لا يصبح لديهم من فرصة للزنى غير الذهاب إلى محال البقالة لتزويد أنفسهم بعامل الحزينة «أهلاً»، والتي ربما تكون الكلمة الوحيدة التي يتلفظون بها طوال يومهم. ولكن الناس يحتاجون إلى ما هو أكثر من ذلك. فأكبر ما يفقد المرء عند تقاعده عن العمل هو وسيلة التنشيط الفكري، وهو ما يعتبر أحد العناصر الهامة التي تساهم في انتشار محاولات الانتحار وسط المتقاعدين الأمريكيين.

وعندما يلتقي المتقاعدون في هذه المجموعة النقاشية، فإنهم يجدون فرصة لتبادل الأحاديث الممتعة أثناء تناول قهق من الشاي وبعض الحلويات. يستعيدون فيها ذكريات العمل وتجاربهم المختلفة طوال حياتهم

العلمية وذاكراتهم الأسرية، ويتناقشون حول أنشطة الأندية الرياضية التي يشجعونها، وقد يتشاورون أيضاً حول الحلول المفيدة لبعض المشاكل التي يواجهونها في الحياة. إنها باختصار فرصة للهروب من الوحدة والعزلة والانقطاع مع الحلق الآخرين. ويقول أحد الاساتذة الجامعيين الأمريكيين المتخصصين في مشاكل الشيخة بأنه ليس من السهل على الرجل أن يكشف عن مشاعر عاطفه كما تفعل المرأة لأنه لم يعتد على ذلك من قبل في كثير من الأحيان. ويضيف بأن المجتمع ظل يعلم الرجال طوال أجيال عديدة ضرورة الخروج من أحضان الأسرة والتعود على الاستقلال والكفاح من أجل لقمة العيش وتحمل مسئولية أسرهم الصغيرة، إلى آخر كل هذه الأمور التي أصبحت ذات طابع عالي. وفجأة يجد الرجل نفسه وقد تقاعد عن العمل وهو يتساءل: «ما الذي انتهت إليه

كل علاقاتي الاجتماعية، لقد كنت مشغولاً بالعمل واكتساب الرزق». ويزداد الأمر إيلاماً بالنسبة للرجال الذين يكرهون أن يجدوا أنفسهم مضطرين إلى الاعتماد على معونة أبنائهم، النساء المسنات لديهم القدرة على إشراك أبنائهن في مشاعرهن ومشاكلهن. فياستطاعة الوحدة منهن أن تقول: «أنتي وحيدة»، لم أفعل شيئاً في يومي هذا، لا أعرف ماذا أفعل بوقتي». أما الرجل المسن فإنه يقول «هه، أنا على ما براء». وتقول الاختصاصية الأمريكية: إننا نحاول أن نعلم الرجال في مجموعتنا بأن يحاولوا إخبار أبنائهم بما يفعلونه بحياتهم. غير أن هذا الأمر يحتاج إلى مجهود كبير. فبعض الرجال يريدون الاحتفاظ بوصفهم قبالة أبنائهم «بنتي الأب، أنا القوي، وبما كانني أن أدير أموري»، في حين أنه يعرف، وأبناؤه يعرفون، أن الأمر على عكس ذلك تماماً.

وعلى الرغم مما قلته مثل هذه الأنشطة الجماعية من فائدة لكبار السن، أعرف نشاطاً عمالاً تقريباً ينظمه نادي مدينة نصر بالقاهرة لأعضائه المسنين، فإن الساعات القليلة التي يغطيها لا تشغل إلا جانباً قليلاً من حياة أعضائه المسنين. ويقول السيد هاما أن حياة يود أن يعود إلى العمل مرة ثانية إذا ما استطاع العفرو على فرصة عمل ملائمة.

ويقول عضو آخر في الجماعة لا يزال يعمل لبعض الوقت كهندس معماري إنه محظوظ للغاية لأن عمله يتيح له أن يتصل بالكثير من الناس الودودين.

وفي ولاية أمريكية أخرى، يجري تنظيم المتقاعدين الراغبين في ممارسة النشاط العلمي في جماعات تطوعية لإصلاح الأجهزة والأدوات المعطوبة. ويقوم الأهالي باحضار معائهم التي يريدون إصلاحها، سواء كانت أجهزة كهربائية أو أدوات منزلية مختلفة إلى هذه الجماعة، حيث يتولى كل عضو إصلاح ما يدخل في اختصاصه العلمي السابق، ويتكلف الأهالي بضمن قطع الغيار والادوات العمل اللازم. وتنتقل الصحيفة الأمريكية عن مهندس الكترونيات متقاعد قوله بعد أن تمكن من إصلاح جهاز فيديو معطل: «إن هذا ليدخل السرور على نفسي حقا».

ويقول أحد المتقاعدين المتخربين في هذه الأنشطة، أن جماعات التخابط والخدمات تقتل خطوتين صغيرتين في توفير نشاط ممتع للمتقاعدين وفرصة للاتصال بالآخرين. غير أنه يعتقد بأن من الضروري أن يعمل المجتمع على تعزيز المنظمات الاجتماعية والتطوعية التي يمكن أن تكسر حدة العزلة القائمة ما بين الأجيال. ويضيف أن الأمر يستلزم تدعيم المراكز المجتمعية والجماعات الكنسية التي كانت تقوم بدور فعال في المحافظة على الصلات ما بين المسنين والشباب؛ وأنه من الضروري العمل على إعادة إنشاء المؤسسات القدية لأسرة المتعددة الأجيال، حتى ولو لم تكن تضم تسلسلاً أسرياً واحداً.

## رد الجميل

هذه الأجيال التي تحمل بمعب بناء بلادها وتنشئة أبنائها تحب نفسها عندما اضطرت إلى التقاعد عن العمل أشبه «بمخيل البلدية» أو شيوخ القبائل القديمة الذين كانوا يتركون تحت الشجرة ينتظرون الموت بعد أن أصبحوا عاجزين عن الصيد و الفص والحرب، وهو نكران بالغ للجميل الذي أداءه المتقاعدون المستون. ومن المؤكد أنهم كانوا يترقبون. وأن غفلوا عن ذلك في عتفان شبابهم، أن نبراعهم المجتمع ويهتم بشأنهم كما

يهتم بمساعدة الأجيال الشابة على شق طريقها في الحياة. والمسألة ليست صعبة أو باهظة التكاليف، وإنما تحتاج إلى إبداء قدر معقول من الاهتمام. وشغل التفكير قليلا في مساعدة المتقاعدين على الاستفادة المثمرة، لهم وللمجتمع، من وقت فراغهم الطويل، وتهينة الفرض لهم لتحقيق ذلك، ومن المؤكد أن قليلا من الاعتناء بهذا الأمر سيكشف عن وسائل عديدة وبسيطة للاستفادة من جيوش المتقاعدين عن العمل وخلق الاحساس لديهم بأن المجتمع لم ينس جيلهم وأنهم لم يصبحوا «كعالة عدد» لا فائدة ترجى منها الا انتظار اللحظة الموعودة في صمت وسكينة.

وكما أن شهرا من البطالة يعد هاما ثقيلًا على قلب الشاب الباحث عن العمل، فإن عشرة أو عشرين أو ثلاثين سنة من الفراغ وانتظار الموت هروبا من ملل الحياة ليعد جزءا بخسا ومفجلا لحياة طويلة من الكد والكدح والمساهمة الخلاقة في حياة الأمم والشعوب.

\*\*\*

## أجهل هو أم نقابيا أهل النقابات؟

قبل فترة طويلة، قامت المجموعة الاقربيقية في منظمة العمل الدولية بوضع جدول زمني ينظم تعاقب التمثيل الاقربيق للمجموعات الثلاث المكونة لمنظمة العمل الدولية، الحكومات وأرباب العمل والعمال. في كافة الهيئات القيادية للمنظمة، بحيث لا يحدث تنافس بين الدول الاقربيقية على شغل هذه المقاعد؛ وهو نفس ما كانت قد سبقته إليه بعض المجموعات الجغرافية الأخرى في المنظمة. ومن هنا فإن كل حكومة ومنظمة أرباب عمل وعمال تعرف متى يأتي دورها لشغل هذا المقعد أو المنصب أو ذاك، بدون أن يحدث تنافس صار بين أبنائها نفس القارة يقلل من فرصها في التمثيل العادل في المناصب القيادية للمنظمة، ويدون أن يكون هناك فضل على ذلك لهذا الوزير أو القائد النقابي، مهما كان حسن بلاته أو جدارته.

وهكذا دور في العام الحالي على عمل حكومة مصر ليرأس اجتماعات مجلس ادارة منظمة العمل الدولية

وهي اجتماعات تعقد ثلاث مرات في السنة ولا يستمر أطولها لأكثر من أسبوعين، وسواء كان هذا المثل هو وزير العمل أو رئيس البعثة المصرية الدائمة لدى منظومة الأمم المتحدة في جنيف، أو الممثل العمالي الدائم في جنيف. ورئاسة الاجتماعات ليست كرئاسة الجمهورية أو الوزارة. ولا حتى رئاسة اتحاد العمال. وإنما هي في معظم الأحيان عملية تنظيمية للاجتماعات، «أعلن افتتاح الجلسة..» والأن أعطى الكلمة لممثل الحكومة الفلانية» وهلم جرا.

ولذلك فقد كانت دهشة كبيرة عندما بدأت سلسلة من الاعلانات النقابية الباهظة الثمن تزين الصفحات الهامة من صحفنا اليومية لتهنئة السيد وزير القوى العاملة بانتخابه رئيسا لمجلس ادارة منظمة العمل الدولية، وطعنا لم يفت المعلنون أن يضروا صورة رئيس الجمهورية في الإعلان مع صورة الوزير. والوزير شخصية تحظى بالفعل بالاحترام البالغ من كل من تعامل معه لاختصاصه في عمله وتواضعه وحسن خلقه وتاريخه النقابي الطويل. إلا أن هذه الاعلانات المدفوعة من أموال العمال ليس لها من معنى إلا أن يكون جهلا من أصحابها بحقيقة ما حدث أو جزءا من التفات التقليدي لأهل السلطة كما سبق وأن فعلوا مع وزير القوى العاملة السابق عندما انتخبت حكومة مصر قبل سنوات لرئاسة مؤتمر العمل الدولي وتولى هذه الرئاسة الوزير السابق فترألت الاعلانات النقابية في الصحف تهنته بهذا الانتخاب المجيد الذي لم يكن أبنا لشخصه، وإن كان جذيرا به، وأقا ليلده حسب الترتيب الزمني الاقربيقى) وهو التفات الذي يختفى بخروج المسئول من دائرة السلطة والثفوة، فمضى تكلف من هذا الصغار وعن تمييز أموال أصلها من اشراكات العمال في تحقيق مكاسب شخصية رخيصة والتزلزل إلى كبار المسئولين، ونضج الأمور في نصاها الحق؟

وما دمنا في مجال التنازل عن بعض غرائب الحياة النقابية في مصر فإننا نرى الدهشة ما أشار إليه مندوب صحيفة الاهرام المرافق لوفد مصر إلى مؤتمر العمل الدولي في تحقيق طويل له عن المحازات هنا

الوفد (الثلاثاء ٨ يولييه) وما قام به تحت رئاسة وزير القوى العاملة من التصدي لمحاولة مدير عام مكتب العمل الدولي للربط بين معايير العمل الدولية وصادات الدول. وقد أثار دهشة خلقية أن يتصدى وزير القوى العاملة ورئيس اتحاد العمال السابق، جنبا إلى جنب مع قيادات اتحاد العمال الحالية، لاقتراح مدير مكتب العمل الدولي بوضع علامة على المنتجات تؤكد احترام الدول صاحبة المنتج لمعايير العمل الدولية، بحجة أن هذا يضرب بالوضع التنافسي لمنتجات البلدان النامية في مواجهة منتجات الدول المتقدمة. فهذه المعايير وضعت أساسا لحماية العمال وحقوقهم ومصالحهم من الاستغلال الرأسمالي. سواء كانت رأسمالية الدولة أم رأسمالية أفراد، وتوفير الضمانات الكافية التي تمنع أساءة تشغيلهم أو حرمانهم من حقوقهم الإنسانية الأساسية أو استغلال عمل الأطفال لتقليل التكلفة الانتاجية بغض النظر عن انتهاك آدمية هؤلاء الأطفال وحرمانهم من حقوقهم المشروعة في النمو السليم والتعليم. إلى آخر ترسانة المعايير الدولية التي ظلت منظمة العمل الدولية تصدرها سنويا منذ عام ١٩١٩ وحتى الآن. وفي تصوري أن المهمة الأساسية للقيادات النقابية في أي بلد من بلدان العالم هي الدفاع عن حقوق العمال وعن مصالحهم في التمتع بأفضل شروط ممكنة، وليس الدفاع عن حقوق المصالح الرأسمالية في بلدانهم وصيانة القدرة التنافسية لمنتجاتها على حساب حقوق العمال ومصالحهم. وكان الأولى بالقيادات النقابية المصرية الحالية والسابقة أن تبذل أكبر جهودها لدعم هذا الاقتراح وإخراجه إلى النور لكفالة حماية فعالة لأوضاع العمال المصريين في ظل التحول إلى اقتصاد السوق ومحاولة احتجاب الاستثمارات الأجنبية للعمل في مصر. أما الحرص على حماية القدرة التنافسية لمنتجات تعود بالربح أساسا في الوقت الحالي على نشاط خاص واغتيال الدفاع عن حقوق العمال في الحاضر والمستقبل، والدخول طرفا في صراع بين مصالح مالية للدول المتقدمة والدول النامية، فهو أمر غريب حقًا.



## تحليل موضوعات وأفكار وثيقة «مصر والقرن الواحد والعشرون»

### التنمية الاسمنتيّة والخرسانية للوطن

- ٢- المرجعية التاريخية المصرية في صرح المستقبل
- ٣- إبراز الطبيعة العنصرية للوثيقة استناداً إلى رؤية لوتيس
- ٤- بيان الطبيعة الاسترشادية المستقبلية للوثيقة
- ٥- منطلقات الوثيقة من المتغيرات العالمية.
- ٦- الاثر الرعوي للوثيقة من بداية ولادة مبارك
- ٧- انبثاق شرعية الوثيقة من امال الجيل الحاضر
- ٨- التأكيد على أن الوثيقة هي حلالة اراء القادة والحكومة والشعب
- ٩- إبراز المهمة الأساسية للوثيقة وهي شيان ما الذي يتعين على مصر أن تحمله معها إلى القرن القادم وما الذي ينبغي أن تتركه؛
- وكانت الملاحظة الأساسية على الأفكار السابقة لها صيغت في عبارات عامة غير دقيقة مستهدفة الشاعر بصفة أساسية ، ورغم ذلك كانت برودة الأسلوب واضحة تماماً.
- وعندما نصل إلى جسم الوثيقة (١٥٧صفحة) وهو موضوع التحليل نجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام.
- الأول: بعنوان الانجازات العامة ويحتل حوالي ٢٠٪ من صفحات جسم الوثيقة
- والقسم الثاني بعنوان ملامح استراتيجية تنمية حتى عام ٢٠١٧ ويحتل حوالي ٤١٪ من جسم الوثيقة
- في حين احتل القسم الثالث والأخير حوالي ٣٩٪ من صفحات جسم الوثيقة بعنوان المرحوم من الوادي.
- ونلاحظ فوراً وبدون جهد أن الموضوع الرئيسي للوثيقة هو ملامح التنمية لمدة عشرين سنة قادمة مع التركيز على مشروعات التنمية في الشمال والجنوب التي تحقق أهداف قضية المرحوم من الوادي.
- والجدول التالي يعرض موضوعات وأفكار كل قسم وتوزيعها وترتيبها على مستوى الأقسام وأهميتها النسبية وفقاً لعدد صفحاتها.

من أهم النتائج البحثية المتبعة في تحليل مادة الاتصال، منهج تحليل المضمون (المحتوى)، الذي تزايد استخدامه منذ العشرينات في تحليل مواد الدعاية، والرأي العام، ووسائل الاتصال الجماهيري. وهو منهج يحقّق دقيق بقيم المحتوى الاتصالي للمادة معتمداً على الوصف الموضوعي للمضمون الظاهري لمادة الاتصال معياراً عنه تعبيراً كمياً منشأ.

وقد استخدمنا هذا المنهج في تحليل موضوعات وأفكار وثيقة مصر والقرن الواحد والعشرين الصادرة عن مجلس الوزراء في ١٥- مارس ١٩٩٧، واستهدفاً بيان الأهمية النسبية لموضوعات الوثيقة استناداً على عدد صفحات كل موضوع وتم استبعاد ملحق المخرائط والفهرس وصفحات الفواصل البيضاء بين الأقسام، وانحصرت بذلك عدد صفحات الوثيقة في ١٧٥ صفحة مبردة (الصفحة ١٩ سطرًا في المنتوخ).

وتتكون الوثيقة من الكوادر الأساسية الآتية

- ١- خطاب رئيس الجمهورية عدد الصفحات ١٣ النسبة المئوية ٧.٤٣.
- ٢- تقديم رئيس الوزراء عدد الصفحات ٥ النسبة المئوية ٢.٨٩
- ٣- جسم الوثيقة عدد الصفحات ١٥٧ النسبة المئوية ٨٩.٧٨.

ويتصدر الوثيقة خطاب رئيس الجمهورية في الملحق الذي أقيم بمناسبة العيد في تشيد مشروع ودي السيل الجديد يوم ٩ يناير ١٩٩٧، وكانت أفكاره الرئيسية حول الآتي:

- ١- المرجعية التاريخية للشعب المصري في مواجهة المستقبل.
  - ٢- متغيرات العالم الجديد.
  - ٣- مبررات الخروج من الوادي القديم.
  - ٤- بيان وتأكيد ضخامة المشروع.
  - ٥- التأكيد على المرجعية العلمية للمشروع.
  - ٦- الدعوة لتعبئة جهود الوطن لتنفيذ مشروع وادي السيل الجديد.
- واحصرت أفكار الكلمة التي قدم بها رئيس الوزراء الوثيقة فيما يلي:
- ١- التأكيد على عمومية الاتجاهات الوثيقة



الموضوعات والافكار	عدد الصفحات	% = ١٥٧
أولاً: القسم الأول: الاتفاقيات العامة	٣٢	٢٠,٣
الخلاص والتمهيد	٢	١,٣
الموضوعات:		
١- صون البيئة (تدور افكاره حول صيانة الموارد البيئية والقضاء على تلوث البيئة وترشيد استخدامها).	٣٦	٢٣
٢- التحول إلى مجتمع معرفي (مفهوم المجتمع المعرفي، وقوة المعرفة، التوجيه السياسي إلى التحول، ومتطلبات التحول وأهمها التعليم).	٣٦	٢٣
٣- محورية النشاط الخاص (تدور افكاره حول الحتمية التاريخية للخصخصة واقتصاد السوق، وتشجيع وتوسيع دوره في الاقتصاد المصري، وانحصار الدور الحكومي في الخدمات الأساسية، وتنمية الثقافة المؤيدة لاقتصاد السوق).	٢٧	١٧
٤- التنمية البشرية (فلسفتها وأهميتها ووسائلها ومتطلباتها في مصر من تعليم وصحة وتعزيز دور المرأة).	٢٧	١٧
٥- دور المجتمع المدني (فلسفته كمفهوم مصاحب لحرية النشاط الاقتصادي، ومجالاته الاجتماعية والاقتصادية والصحية والرياضية والاسرية في مصر).	٢٣	١٤
٦- ثقافة صون المياه (أهمية قضية المياه، محدودية مواردها المائية، السلوكيات السلبية والمهددة للمياه، تنمية ثقافة ترشيد استخدام المياه).	٢١	١٣
٧- الخروج من القوالب الجامدة (حتمية كسر القوالب الاقتصادية الجامدة والتحول إلى التحرر الاقتصادي وما يستلزمه ذلك من كسر بقية القوالب).	٢	١,٣
٨- سياق القانون (أهمية وتنمية الايمان والالتزام بالقانون).	٢	١,٣
٩- ابتعاث الارادة الوطنية (أسماط الارادة المصرية، أهمية مشاركة الجميع في التنمية، دور القيادة في تهئية المناخ للارادة الوطنية بتصاعد حرية الرأي والتعبير، والانتقال الديمقراطي التدريجي).	١٨	١١

الموضوعات والأفكار	عدد الصفحات	% = ١٥٧
١٠- تنمية الدور الاقليمي المصري (وتدور افكاره حول التأكيد على حتمية وتنمية الدور المصري في الدوائر العربية والافريقية والاسلامية).	١٧	١١
١١- التنوع الفكرى (الانفتاح الفكرى على كافة التيارات).	١٥	١
١٢- تواصل النهضة (أهمية الاستفادة من التراكم الحضارى المصرى من منطلق التنمية المتواصلة)	١٥	١
١٣- الخروج من الوادى القديم تمهيد لفلسفة وأهمية الخروج من الوادى القديم مع بدايات القرن القادم).	١٤	٩
١٤- الدور الاجتماعى للدولة (ظاهرة التهميش الاجتماعى، تغير الدور الاجتماعى للدولة من الدعم المباشر إلى تيسرات لصغار المنتجين).	١١	٧
ثانيها: القسم الثانى: ملامح استراتيجية التنمية حتى عام ٢٠١٧.	٦٤	٨
<b>الغلاف</b>		
<b>الموضوعات</b>		
١٥- فلسفة وأهداف وملامح التنمية الصناعية.	١	٦
١٦- فلسفة وأهداف استراتيجيات التنمية حتى عام ٢٠١٧	٨٢	٢
١٧- فلسفة وأهداف وملامح التنمية الزراعية.	٧١	٥
١٨- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع النقل والمواصلات.	٥٠	٢
١٩- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع البترول	٤	٢
٢٠- فلسفة وأهداف وملامح تنمية الموارد البشرية والقوى العاملة.	٣٥	٢
٢١- فلسفة وأهداف وملامح تنمية وتطوير التعليم.	٣٥	٢
٢٢- فلسفة وأهداف وملامح تطوير الاسكان والمرافق والمدن الجديدة	٣٣	١
٢٣- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع الكهرباء.	٣٢	٢
٢٤- فلسفة وأهداف وملامح تطوير وتنمية قطاع التجارة.	٣	٩
٢٥- فلسفة وأهداف وملامح التنمية السياحية.	٣	٩
٢٦- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع العدل.	٢٥	٦
٢٧- فلسفة وأهداف وملامح تطوير وتنمية الثقافة.	٢٥	٦
٢٨- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع الصحة.	٢	٣
٢٩- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع الرعاية الاجتماعية.	٢	٣

الموضوعات والأفكار	عدد الصفحات	% ن = ١٥٧
٣٠- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع البحث العلمي والتكنولوجيا.	١٥	١
٣١- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع الإعلام.	١٥	١
٣٢- فلسفة وأهداف وملامح تطوير وتنمية الرعاية الدينية.	١	٠.٦
٣٣- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع الأمن الداخلي.	٠.٧	٠.٤
٣٤- فلسفة وأهداف وملامح تطوير قطاع الأسرة والسكان	٠.٥	٠.٣
ثالثا القسم الثالث : الخروج من الوادي.	٦١	٣٨.٩
<u>الفصل</u>	١	٠.٦
<u>الموضوعات:</u>		
٣٥- فلسفة وأهداف والملاحم المستقبلية لمشروع الدلتا الجديدة في جنوب مصر.	٣٣	٢١
٣٦- فلسفة وأهداف والملاحم المستقبلية لمشروع ترعة السلام في سيناء شمال مصر.	١٤	٨.٩
٣٧- فلسفة ومبررات وأهداف الخروج من الوادي.	١٣	٨.٣
<u>الاجمالي</u>	١٥٧	١٠٠
متوسط عدد صفحات الموضوع= ٣.٩٣		
بانحراف معياري= ٠.٥٢.		

نقل كما تقول آراء القادة والحكومة والشعب ، يصبح الوطن في مأزق فعلى وحقيقى.

من الجدول يتضح أن متوسط عدد صفحات الموضوع الواحد حوالى ٤ صفحات بانحراف معيارى حوالى ٥.٥ ، ووصل المدى إلى ٢٣.٥ درجة، يتباين قدره ٣٠.٥. وبدون الخوض فى مزيد من الاختيارات الاحصائية ، يتضح أن الانحراف المعيارى أكبر كثيرا من المتوسط وهو يعكس تعظيم مساحة التشتت والتجاوب بين توزيع صفحات الوثيقة على الموضوعات المختلفة، وتركيز تلك الصفحات فى موضوعات بعضها ، وبالتالى يفقد المتوسط أهميته كقيمة ممثلة، ويتضح ذلك جليا فى تعظيم فرق المدى بين عدد صفحات أصغر موضوع

وبعد هذا الوصف الكمي للوثيقة ، يمكن حصر نتائج التحليل فى النقاط الآتية:

أولاً: بعد القراءة الدقيقة للوثيقة كانت المفاجأة التامة أن الوثيقة فعلا عكس ما جاء فى كلمة تقديمها، فلها ذات طبيعة فكرية بالمرّة لأنها لا تنطلق من مرجعية فكرية، ولا من المفاهيم العالمية، ولا هى تبين الاتجاهات العامة التى يجب الاسترشاد بها فى مستقبل مصر، فالوثيقة كما يبين جدول التحليل تركز تماما على التنمية الأسمنتية- الحرسانية، لذا كان يجب أن تسمى باسمها الحقيقى، وهى لا تمثل آمال وأحلام الجيل الحاضر، ولا تؤكد حقهم فى الحياة الكريمة ، وإذا كانت فعلا هذه الوثيقة

وهو قطاع الأسرة والسكان (٥ر. صفحة) وبين أكبر موضوع في صفحاته وهو مشروع جنوب الوادي (٣٣ صفحة)، ورغم ذلك والعرض التبسيط والتوضيح يمكن تصنيف موضوعات الوثيقة إلى ثلاث فئات: الأولى الموضوعات التي اهتمت بها الوثيقة اهتماماً كبيراً، وهي التي تزيد عدد صفحاتها عن المتوسط بانحراف معيار واحد يعنى حوالي ٥ر٥ صفحة وما فوقها، نجد انها انحصرت في ثلاث موضوعات أساسية هي على الترتيب تنازلياً:

- ١- فلسفة وأهداف وملامح مستقبل مشروع الدلتا الجديدة في جنوب مصر (٣٣ صفحة).
- ٢- فلسفة ومبررات وأهداف الخروج من الوادي (١٣ صفحة).

والفئة الثالثة هي الموضوعات ذات الاهتمام الضئيل جداً، وهي التي تقل صفحاتها عن المتوسط يعنى حوالي أقل من ٤ صفحات، وهذه ضمت معظم عناوين الوثيقة (٢٩ موضوعاً) ومنها الموضوعات التي احتلت أقل من صفحة مثل تطوير قطاع الأسرة والسكان، الأمن الداخلي، وموضوعات صفحاتها لم تكمل صفحتين مثل الرعاية الدينية، والبحث العلمي والتكنولوجيا، الدور الاجتماعي للدولة، وتواصل النهضة التنوع الفكري، والدور الاقليمي المصري، واببحاث الارادة الوطنية.

وهناك موضوعات اهتمت بها الوثيقة اهتماماً متوسطاً وهي التي انحصرت صفحاتها بين ٤ إلى أقل من ٩ وهذه انحصرت في موضوعات قطاع المرور (٤)، النقل والمواصلات (٥)، والتنمية الزراعية (٥) وفلسفة وأهداف استراتيجيات التنمية حتى عام ٢٠١٧ (٧ر١)، والتنمية الصناعية (٢ر٨).

ثانياً: كما تقول الوثيقة عن نفسها انها تحتل الاتجاهات العامة التي يجب على الجميع الاسترشاد بها لمدة عشرين سنة قادمة في كافة مناحي الحياة في مصر، ولكن نلاحظ فوراً من الجدول الاهتمام الشديد بصيانة موارد البيئة وملامح التنمية وخاصة مشروعات حزب الوادي وسيناء، وهو اتجاه مطلوب وجيد ان نتمتع بالبيئة وبالتنمية الاستميتية ونقصدها بها هنا البنية الاساسية من شوارع وكبارى وترع وبنيات، لكن قبل كل ذلك أين الإنسان؟ وأين الاهتمام بشتميته الشاملة وأولها التنمية السياسية، هل سننشئ كل هذه الكتل الخرسانية ويدبرها ويعيش فيها ناس مقهورون سياسياً أموات كيف؟

ثالثاً: جيل أن نتمتع بالاتجاهات العامة بعملية التحول إلى المجتمع المعرفي، لكن الغريب أن يذكر ص٣٧ أن التحول إلى المجتمع المعرفي هو توجيه سياسي، وهنا نتعجب فالتحول إلى مجتمع المعرفة هو عملية تحول حضارى يستلزم لها عشرات وعشرات السنوات حتى تتغير منظومة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من جذورها، فلن نتحول إلى مجتمع معرفي لمجرد انه توجيه سياسي ، فالبنية معها داية سلطوية لا نؤدى بهائنا إلى المجتمع المعرفي.

رابعاً: غابت الوثيقة رغم إنها تدعى انها لجميع المصريين وأنه يجب الاشراد بها لعشرين سنة قادمة، غابت عنها تماماً كل الموضوعات التي تقل أهمية عليها واستراتيجية المواطن مثل فلسفة وأهداف وأدوار ملامح ومستقبل تطوير القوات المسلحة، الشباب، المرأة، الطفولة، التنمية الريفية، العمل العربي، قضية السلام مع اسرائيل،

القدس، السياسة الخارجية عامة، الاصلاح السياسي بمعناه الراسع القانوني والدستوري، وانقى مدى وصلت إليه الوثيقة ص٣٤ في سطرين فقط «حيث ذكرت أنه يجب إفساح المجال لتضاعد حرية الرأي والتعبير، والانتقال إلى مرحلة بعد مرحلة وتجربة بعد تجربة إلى ديمقراطية راسخة العالم»، يعنى علينا أن ننتظر عشرين سنة قادمة ليس انتظارا للرخاء، فقط بل أيضاً انتظارا للديمقراطية. وكان هناك اتفاقاً غير معلن أن تكون مهمة الحكومة هي التنمية الاستميتية والحرسانية، ومهمة الرئاسة هي كل ما يس أمن الوطن من سياسة خارجية وإصلاح سياسى داخلى. فهى موضوعات يجب الا يتكلم فيها أحد، فأمر السياسة الداخلية ثابتة إنشاء الله لمدة عشرين سنة قادمة، فلا كلام فيها، كل الكلام يكون في التنمية الاستميتية فقط

خامساً: رغم كل الادعاءات التي تحاول بها الوثيقة أن تظهر اهتمامها بالإنسان المصري، نجد موضوعات مثل التعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا والتدريب والصحة والاسرة والرعاية الاجتماعية والرعاية الدينية، والثقافة والاعلام، والصحة والعدل والأمن الداخلى، والمجتمع المدنى، والدور الاجتماعى للدولة، كلها موضوعات قتل أهمية استراتيجية في بناء الإنسان المصري، لم تقسها الوثيقة بعنق بل مرت عليها مرور الكرام في صفحة أو أكثر بمبارات إنشائية عامة.

سادساً: هذه الوثيقة مجرد بيان أو منشور انتخابى عن نشاط مستقبلى في مجال التنمية الاستميتية والحرسانية ستقوم به الحكومة إذا تفرض أنها باقية لمدة عشرين عاماً، فكل الوثيقة يقول سنبنى كذا مدرسة، سنرصف كذا كيلو من الطرق، سنحفر كذا متر، سنعمل حكومتى كذا وكذا لمدة عشرين سنة قادمة. واختفت من الوثيقة كلمات لها أهمية في المجتمع المصرى مثل الديمقراطية والحرية والانتخابات النزيهة، تداول السلطة، فك قيود التعدد والنشاط الحزبى، حقوق الإنسان، الدستور، قانون الطوارئ، الارهاب، الفساد، البلطجة، الوحدة الوطنية، العدالة الاجتماعية، وكلها كلمات يحتاج الوطن فيها إعادة نظر ووقفه.

سابعاً: والمشكلة الآن ليست في الوثيقة، ولكن في الكتابات التي نشرت لصحفيين ومفكرين وإعلاميين كبار هللوا لها كأنها دستور جديد لمصر، وبشرت تلك الأصوات المتأففة أن تلك الوثيقة ستحل جميع مشاكل مصر، لكن الوظيفة الوحيدة التي نجحت الوثيقة فيها هي تجميع عدم المصادقية بين الحكومة والناس، ونستطيع ان نقرر ان هذه الوثيقة ترجمة أمينة لفلسفة الحكم التي تقوم على التنمية الاستميتية والحرسانية للوطن. وأظن الآن نستطيع ان نجيب على السؤال الكبير المطروح في بداية الوثيقة ما الذى يتعين عن مصر أن تحمله معها إلى القرن القادم وما الذى ينبغي أن تتركها؟!

د. أحمد محمد صالح

# لعموم

## قطار السوق العربية المشتركة

على طفله هناك ما زالت في الوجدان، وحادثة اطلاق النار على مدرس مصري في الكويت واختفاء السفينة سميريوقال أنها في لبيبها، وما نشرته الأهالي منذ عدة أسابيع عن سجن أسرة مصرية بالكامل لصالح الكفيل السعودي ، ومن جريدة الأسبوع (عدد ٩٧/٩) عرفنا التصريح الذي انطلق من دولة عربية بترولية شقيقة يقول: أن المصريين بعددهم الذي يصل لـ ٦٠ مليون يمكن أن يشكلوا لأخوانهم في العالم الاسلامي رصيدا هائلا على مستوى نقل الأعضاء، طبعاً لم يذكر أسم الدولة ولكن بسهولة شديدة يستطيع القارئ أن يتوقع من أين يصدر هذا التصريح المستغل حاجة المصريين الفقراء تحت مظلة الاسلام. وفي كل مرة كان التبرير المصري الرسمي لتلك الحوادث وغيرها الكثير، دائما يزعم أنها حوادث فردية واثارتها تهدد المصالح العليا للوطن، ولم تحتج مصر إلا أخيراً حين نشرت صحيفة سعودية إعلاناً من مجلة فيها تحقيق صفعي عن أولاد المسفلين (الأهالي يوم ١١-٦-٩٧)، وهول الجميع للاعتذار. ولأن مع كل تلك الأحداث التي يبرص فيها العرب للعرب كيف تقام سوق عربية؟

إن السوق العربية تحتاج أولاً إلى مستوى معين من النضج الحضاري والسياسي والثقافي بين شعوب المنطقة وهذا لن يأتي إلا بالتعليم الرافق وتغيير النظم الاجتماعية والسياسية إلى نظم يهبها المصالح الحقيقية للناس. وقد أضحكني حتى البكاء، ما كتب

منذ فترة حضرت ندوة بحثية بإحدى الدول العربية ، ودائماً تلك الندوات الجامعية تثار فيها أفكار تنهيدة للتكامل الجامعي والعلمي والاقتصادي بين العرب ، ونسمع كلاماً جميلاً مضمونه يحمل صيفاً مستقبلياً. وهمس صاحبي بجوارى وهو أستاذ فاضل من نفس البلد، سائلاً هل تصدق ذلك؟ فالتزمت الصمت مجاملاً الرجل الذي أضاف : إن العربي يساعد أخاه لفرص في نفس يعقوب ولا يشترك معه في تجارة. وترجمت الاحابة التركيبية الثقافية العربية التي تختلط فيها الحقوق والواجبات تحت مظلة الأخوة والقرابة، تركيبة ثقافية عاطفية السلوك، غير موضوعية، يسفر عليها الشك والريبة من نوايا الأقارب، وأن العرب يفضلون دائماً ربط مصالح اقتصادهم وأمنهم وحياتهم مع الغرب، للدرجة الاحتمال في أن الدين واللغة والثقافة الواحدة أصبحت عوامل مفرقة للعرب، وذلك مع الاعتراف بأن الاختلاف عامل مشجع على الابداع والخلق، والاجتماع عامل ضعف واستثناء ، فالأصل هو الاختلاف.



**د. أحمد محمد صالح**  
والاقتصادية التي تسود العالم الآن، والتي اختصرت أدوار الحكومات إلى درجة كبيرة، وأصبحت الحكومات الآن لا تستطيع فرض السوق المشتركة العربية ولا تستطيع تجميع المصالح، بل هذه أدوار المجتمع المدني والشعوب، والدليل أمامنا جميعاً فائتاً الضجيج الاعلامي في الفترة الأخيرة عن السوق العربية المشتركة نشرت روزاليوسف ٩٧-٦-٩ تحقيقاً عن ترحيل ١٥٠ ألف مصري من الأردن ، وأن نظام التصاريح والهويات لم يطبق سوى على العمالة المصرية، وسمنعا عن العلاقات المصرية القطرية المتوترة، وقبل ذلك قرأنا وعرفنا عن ما يحدث للمصريين في دول الخليج وأظن أن حادثة الطبيب المصري الذي تم جلده بسب احتجاجة على الاعتداء الجنسي

والآن ومع المبادرة المصرية لتفتية الأخوة العربية والدعوة لاجيا، الانفتاقات القديمة للسوق العربية ، وهي مبادرة لها أهميتها الاستراتيجية لأن إسرائيل لا تريد التضييع بل تريد التكامل الاقتصادي مع جيرانها للاستفادة من شروط الجات لأنها لا تستطيع أن تنافس النور الآسيوية في إفريقيا أسواقاً، ومع كثرة التحليلات السياسية عن استراتيجيات مستقبلية عن تلك السوق العربية المشتركة، لم يتكلم أحد عن المستوى الحضاري والثقافي اللازم لانشاء تلك السوق المشتركة ، فقد كافحت شعوب أوروبا سنوات وسنوات، لكي تصل إلى سلوكيات حضارية تحترم وتقرس العمل الجمعي، وحتى الآن لم يتفكروا على توحيد العملة.

والسوق العربية المشتركة يجب أن يسبقها نضج السياسي في العلاقات العربية، وأن يدرك ويستوعب العرب نوعية وعجم التغييرات السياسية والاجتماعية



براهيم

بهذه في أهرام الجمعة يوم ٢٣ مايو ٩٧ عز أعلام السوق العربية وأنه يمكن أن تمتد السكك الحديدية لترتبط الوطن العربي كله من مغربه إلى مشرقه ومن شماله إلى جنوبه. وما سوف يحدثه ذلك من تغييرات اقتصادية، وجدت نفسى أحلم مع الكاتب بقطار العرب الذي يقوم من المغرب مثلاً ويحبر ركابه على أن يصطفوا قبل ركوب القطار لكي يقولوا يد ناظر المحطة باعتباره يمثل الملك في محطة السكك الحديدية، ويتجه قطار ناحية الجزائر يركابه العرب والأجانب وهناك يصعد المجاهدون القطار محاربين أسلحتهم بطريقتهم، ويذبحون معظم ركابه وخاصة الأجانب منهم تعذيراً بالسكين الشرعي، وإذ استطاع القطار أن يجتاز جزر إلى الشقيقة جداً ليبيا، فهناك في ليبيا عدة احتمالات أولها وأسهلها أن يحتل القطار وركابه في ليبيا تماماً مثل ما حدث للسفينة سمير وغيرها، ولا نسمع من القطار شيئاً، ويصدر التصريح الرسمي للبيى أن القطار لم يصل ليبيا بعد، الاحتمال الثاني أن يتم التمتع على قطار العرب بواسطة الخرافة السنانية المسيطرة على ليبيا، ويتم توزيع الكتاب الأخضر والأحمر وقصص العقيد وكتبه الفلسفية على الركاب حتى يحفظوا تلك الكتب بعد عدة سنوات حتى يسمح للقطار بالسفر إلى مصر.

وفي مصر قلب العربوبة النابض جدا، وعاصمة السكك الحديدية يتم الاحتفاء بالبقية الباقية على قيد الحياة من الركاب ويستقبلهم المسؤولون بالترحاب، ويصرحون أن ما حدث للقطار حتى الآن حوادث فردية يجب ألا تؤثر على المصالح العليا للوطن العربي، ولا يوجد دليل على أن ليبيا موزقة في أي شيء، ويصدق الناس هنا الكلام ويصدقون ركاب

جدد إلى القطار الذي سوف يتوجه شرقاً عبر الوطن العربي، ولكن القاهرة تجهيز القطار تحت مزاوم السياحة أن يتجه أولاً إلى زيارة السجون حتى يتأكد الركاب من ديمقراطية مصر، وإن سجون مصر خالية تماماً من اساتذة الجامعات والصحفيين، ثم يتجه القطار إلى توشكى وهناك يطالبون الركاب بشن اضافي لتذكرة القطار بحجة الاستثمار في توشكى ويعرضون عليهم ملايين الأفدنة مجاناً، ثم يزورون إمارة النصف مليون قدان للأمير السعودي كرمز للسوق العربية، ويعدوا يتجه القطار إلى سيناء وتكرر عملية التحصيل مرة أخرى بحجة الاستثمار في سيناء، ويدفع الركاب لأن ذلك أمر مهم لما حدث في الجزائر وليبيا.

وعندما يدخل القطار الأردن يستقبل ركابه استقبال حضاري رائع، ويلاحظون أن علم الأردن تغير وأصبح مثل علم اسرائيل ويكتشفون أنهم في إسرائيل وليس الأردن، لأن سائق القطار المصري اختلطت عليه الأمور وأصبح لا يعرف الفرق بين الأردن وإسرائيل.

وبعدما يتجه القطار إلى العراق، وتوزع إدارة القطار على الركاب صوراً كبيرة لثلاث أم المهارك، وتنبه عليهم أن يرفعوا تلك الصور من نوافذ القطار حين الدخول للحدود العراقية بمناسبة عيد ميلاد البطل، وفي بغداد المحطة الرئيسية للقطار، كانت تنتظر الركاب مفاجأة كبرى بمناسبة أعياد العراق، فقد وزع على الركاب تصاريح دخول مجانية للمنطقة الحرة العراقية، وتذكر هنا أن أسماها زمان كان الكويت، وفعلنا تحرك القطار نحو الكويت اسف المنطقة الحرة العراقية، حيث فتح الركاب برحلة تسويقية ضخمة فيها تحقيقات كبيرة سمح بها العراق الشقيق.

وبدأ القطار يتجه إلى السعودية، وهنا أظلمت الدنيا، وسيطرت رائحة الهال، وبدأت النساء تختبئ في العباءات السوداء، واختفت وجوههن وأصبحت مثل أكياس الرمال السوداء، بل أن الرجال أيضاً أخرج كل منهم قطعة قماش ووضعها فوق رأسه، وظهرت المصاحف والأدعية، وعندما وقف القطار في العاصمة، صعد للفتيش على القطار رجال الأمر المعروف والبوليس، واختدوا مرفوق بين النساء والرجال في الطار إلا إذا كان معهم ما يثبت أنهم أرواح، ورفع الأذان للصلاة وأجبر الجميع على الصلاة وتم جمع جميع جوازات السفر من الركاب ما

عدا الجنسيات الأمريكية والأجنبية، ونبه على الركاب أن يتسلّموا جوازاتهم وهم في طريق العودة، وأن يأخذوا جوازاتهم من الكفيل، وعندما تحرك القطار مغادراً السعودية متجهاً إلى اليمن اكتشفت إدارة القطار اختفاء جميع الأطفال نهائياً من القطار. وفي اليمن استقبلوا ركاب القطار بالمشروب الطبيعي الشهي، وبعدما سكر الجميع من حلاوة المشروب وغاب عنهم بقية الوعي، فقام سائق القطار متجهاً بركابه عبر البحر الأحمر إلى السودان الشقيق، وفي الخرطوم تم اثبات كل حالة سكر بين الركاب وتم اعدامهم وفقاً للشريعة السودانية في محطة السكة الحديد علناً أمام الركاب. وقتها لم يبق أحد من الركاب أو إدارة القطار ليكمل مسيرة القطار إلى القاهرة، فتم حجز القطار الفارغ مع بقية المستلزمات المصرية هناك. وهذه كانت أول وآخر رحلة لقطار العرب تحت عنوان السوق العربية المشتركة.

والشهد السابق يعكس صورة هزلية للوطن العربي وإن كانت تعكس الحقيقة في بعض جوانبها لأن العوامل الحضارية للسوق المشتركة لم تتغير بعد، فرغم الصعاب المأساوية للوحدة العربية والاتحادات المنقرضة، وقدم الدعوة للسوق العربية من أواخر الخمسينات، إلا أن بدايتها لم تكن بعد.

والدعوة المصرية لاجيا، اتفاقيات السوق العربية المشتركة وإن كانت تستهجد ضحايا التسويق لشروع توشكى، والاتفاق الأخير الذي حدث بين دول إعلان دمشق على إقامة سوق مشتركة بينهم وإن لم تعلن عن ميثاق الدولة تلك السنة يمكن أن تكون فرصة لبداية عملية لتلك السوق، بشرط أن تخلص النزاي وإن تضع كل دولة عربية حلم السوق العربية من ضمن أهدافها الاستراتيجية، وتسمى كل دولة بغير واضح لتحقيق هذا الهدف بمستزماته التعليمية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإعلامية بداية من الأسرة والمدرسة حتى الجهاز الاعلامي مروراً بمنظمات المجتمع المدني، وهذا يستغرق عشرات وعشرات السنوات، المهم البداية الصحيحة التي يجب أن تبدأ من داخل كل دولة عربية بتنمية المناخ الثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي المعزز للعمل الجمعي العربي



## الانتحار.. لا يكفي

### الشرقاء

#### لا يصلحون لشيء

#### نابليون

إن محاولات التهرين والتخفيف من حادثة تسرب امتحانات الثانوية العامة ، والضغط الاعلامي لبيع أرواح وأحلام الرخاء والاستقرار بين الناس، وتساعد السياسات القمعية في مواجهة احتجاجات الفلاحين والموظفين، كل ذلك يذكرني بموقف النعامة التي تضع رأسها في الرمل حتى لا ترى الاطوار المحيطة بها، لأن الوعي بالمشاكل والاخطار المحيطة بالوطن جعل كاتبة مصرية مثل أروى صالح تنتشر بالقفز من الدور الحادي عشر كمدا وغما واحتجاجا وبأسا من الواقع.

فانتحار الكاتبة المصرية، والغش الجماعي نتائج منطقية لانتشار الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الوطن، فماذا تنتظر بعد تزوير الانتخابات واستغلال السلطة والنفوذ والرشوة ونهب المال العام والبطولة وسيطرة ثقافة الكذب والمظاهرة، واستئصال السلام من إسرائيل والرضى من أمريكا؟ ولماذا نستغرب من أن تتصرف امريكانات من عام ٩٣ ، أو تنتحر كاتبة، أو تتوالى الهزائم الكروية أو تباع مصر لكل من هب ودب.

والحكومة دائما لها منهج ثابت في مواجهة مشاكل الوطن قائم على التسطيف والتعميم والتهرين والتخفيف والترقيع والتأجيل ، لذلك لوحد أن الحكومة واجهت قضية تسرب الامتحانات بنفس سلوكها في مواجهة تزوير الانتخابات، فلم تلغ كل الامتحانات ولم تلغ الانتخابات، بل تعاملت مع كل القضايا من منطلق حامي الأمن فقط، وإذا كانت لم تلغ الانتخابات، فكان عليها على أقل تقدير أن تلغ الامتحانات ، ثم تعاد في مهده لاحق حرصا على الصداقية بين الشباب مستقبل مصر واحتفاظا بالهبة الباقية من ماء الوجه . لقد اسبغنا في وطن الانتحار قبه لا يكفي.

#### خطا مطبوعي

في العدد الماضي تم كتابة اسم الانسة الفت شافع على طرين الخطأ على أنه الفت السبع

بالمحافظة وعلم الثورية وعلاقته بالسلطة قائمة على الكره الشديد\* والمداخلة والخوف منها، فان معنى أن يشور المزارعون في مصر، معناها أن الأمر وصل إلى الحلقوم كما يقولون، وهنا لا يصلح معهم سياسات القمع، بل الحوار والوصول إلى حلول لصالح الأغلبية ، لكن في نفس الوقت يكون حل جذري لملازمة المالك والمستأجر في الأرض الزراعية ، فكما يقول جمال حمدان: دائما مأساة مصر في الحلول الوسط أي المهدئات والمسكنات، والنتيجة أن الأزمة في مصر دائما تتراكم وتتفاقم.

وعمليات القبض على المثقفين المعارضين للقانون، لن تمتع احتجاجات الزراع، بل تشوه صورة مصر أمام العالم، وتجعلني أشعر باقترب أجواء سبتمبر ١٩٨١، وسوف تتزايد تلك الأحداث كلما اقترب موعد تنفيذ القرار.

ويوم ٢٠-٢٦-٩٧ قرأت في جريدة الدستور المصرية كلمات وقفت عندها طويلا لواجد من الصحفيين لا أعرفه ولم أقابله، يمكن لمحت أسفه مرة أو مرتين، فهو ليس من ضمن بوقه الحكومة وشعرا، البلاط الذين قرونها الحكومة لتشكيل عقل الأمة بحيث يكون خاضعا للسلطة غافلا عن الفساد، وعرفت ما فعله هذا الرجل وأصابعه من دفاع حقيقي عن قضية الفلاحين ، ليس كفاحا ودفاعا بالمقالات والكلام ، وتمتعت في كلمات هذا الرجل التي أرسلها من ليمان طره فهو يقول: أنا فلاح وأبى فلاح وأهلى كلمهم فلاحين، ومصر جميعها بلد فلاحين ، يمكن أن نتخيل مصر بلا اهرامات ، ولكن كيف تكون مصر بلا نيل وفلاحين؟.. هل رأيتم فلاحا يأكل وحده ما تزوجه يدها؟ هل رأيتم فلاحا مليونيرا أو موزورا أو فاسدا؟.

عندما انتهيت من القراءة والتفكير وعرفت ما فعله هذا الرجل شعرت بالحنج الشدي من نفسي وأنا أستاذ الجامعة وأعرف جيدا أن حل مشكلة الوطن في الرض الفعلي للواقع، لقد أخجلتني يا رجل! وجعلتني مكسوبا من نفسي، ولأن حل عرفتم من هو هذا الرجل؟ إنه حمدين صباحي.



حمدين الصباحي



جمال حمدان

## هذا الرجل أخجلني!

في يوم ٢٦-٦-٩٧ وسط الاحتفالات بالذكرى الثانية لنجاح الرئيس من محاولة الاغتيال في الجيوبيا ١٩٩٥ ، ومع منظومة الغباء والنفاق القومي التي يبثها التلفزيون المصري سمعنا من إذاعة لندون خبر القبض على ٢٦ مزارعا في جنوب القاهرة بسبب احتجاجهم على قرب موعد تنفيذ قانون طرد مستأجري الأرض الزراعية (قانون ٩٦ لسنة ٩٢) والذي يحين موعد تطبيقه في أكتوبر القادم.

ورأنا في الدستور (٢٥-٦-٩٧) ان حصيلة الشهور الخمسة الأخيرة خمسة قتلى و٨٦ مصابا و١٦٧ فلاحا في السجن، وأثناء اللسات الأخيرة في كتابة هرم نقلت وكالات الانباء مساء يوم ٧-١-٩٧ نبأ مقتل ٣ مزارعين في جنوب مصر نتيجة تبادل النيران بين الشرطة والمزارعين في المنيا احتجاجا على القانون الجديد الذي يسه ٥ مليون مواطن، فقد اضرموا النيران في ممتلكات أحد الملاك وحاولوا قطع الطرق العامة والسكك الحديدية. وإذا كان الفلاح المصري يتسم عادة

# من يطفئ الشمس؟



خليل عبد الكريم

والمواد والمخابرات المركبة (الأمريكية) بل وإلى الشيعة بشعبها الثلاث (الزيدية والاسماعيلية والامامية الاثني عشرية). (ملحوظة: بعضهم ذكر صراحة أن فكر كاتب هذه السطور مستقى من أفكار الشيعة الامامية الاثني عشرية أ. هـ).

والعمالة تعنى (القبض) من هذه الجهات، وبداية فان الاسلام الذى يدعون أنهم حماة وجنوده المخلص يحرم اتهام الناس بالباطل ويسميه بهتاناً- هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ففى هذه الأيام من المستحيل التحفى والاستتار فكل شخص طبيعي أو معنوي (يتناول) من أى جهة أجنبية (عربية أو أعجمية) لابد أن يكشف أمره كما أن الذى يد يد يده يظهر ذلك على أحواله وهيبته ابتداء من مداسه حتى مركبه مروراً بمسكنه ومكتبه (إن كان له مكتب) ومطعمه ومشربه- إلخ.

د- وإلى السب والقذف والشتم والقمز واللمز والنيز والسخرية والتهكم والاستهزاء، وسوء الأدب وسلطة اللسان والكلام الفاحش والقول القبيح وكلها أمور كان يحتجب نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام ونهى عنها ويزجر فاعليها.

ومن الغريب أنهم يدعون أنهم تلاميذه وأحبابه والسائرون فى طريقه والمتبعون سنته وهم بذلك يقدمون الدليل على فساد زعيمهم وقسوة ادعائهم. ويعد

فان تلك الأساليب (وقد أتينا على أشهرها لاعلى جميعها) لن توقف مسيرة الكتابات الموضوعية التى بدأت لا فى مصر وحدها بل وفى العديد من البلاد العربية والاسلامية والتى تصدر مطبوعاتها من أماكن متنوعة وأنتى لا أبعد تشبيها لحالات (التقليديين) لتعطيلها إلا من يتفخ ليطفى الشمس.

بزغ فجرها وأشرقت شمسها وطلع نهارها:

تلك هى الكتابات الموضوعية الناقدة ذات المنهج العلمى الصارم فى حقل الاسلاميات بنسب أنواعها ومختلف ضروبها وكافة قروعهـا- وهى مبنية تماماً لتلك التى سادت قروناً طويلة- تعنى التى تعتمد على التطبيق والتزويق والتبرير والتسويف والقفز على المتناقضات وتجاوز المتعارفات وعند تناول الأشخاص تتحدث عن: المناقب والمحامد والمزايا والمقربات وتتجاوز عن الأخطاء، والسيئات والسقطات والزلات لأنها لا تتفق مع أسلوبها الخطائى والتعظمى والتفجىمى وأفزع ذلك (التقليديين) وأقش مصعبهم وطير النوم من عيونهم فعمدوا إلى:

أ- التهديد والوعيد بالويل والشور وعظائم الأمور وفاتهم أن أصحاب تلك الكتابات يدركون تمام أنهم أقدموا على أمر خطير لن يمر بسهولة وأنهم وطفوا أنفسهم على دفع الشنن مهما كان غالياً وهذا شأن من يحرز على زلزلة الفكر القديم الذى يؤمن إيماناً راسخاً أنه من المحتم اللازم تغييره وتبديله.

ب- والتلويح بالمصادرة وفاتهم أنها سلاح عقيم مفقود لوجود العديد من دور النشر فى أغلب الدول العربية فى المشرق والمغرب تصدر مؤلفاتهم ومنها ما هو فى بلاد الترفيحه=لندن، باريس، سويسرا، نيوميبا-والرقابة على دخول الكتب بكافة الطرق غدت من المستحيلات وتصويرها (بالفوتوكوبى) بشكل ما يسمى:

ب- (النشر الموازى) أو (النشر البديل).

وإذا كانت المصادرة قد أخفقت قديماً فى حجب كتب ابن رشد والغزالى (نعم الغزالى صودرت كتبه فى بعض العهود) وابن تيمية عندما كانوا يعتمدون على السجح البدوى فكيف تفلح (المصادر) فى هذا العصر المعجى؟

ج- وإلى التشهير بزعم العمالة للصهيونية العنصرية والصليبية العالمية والمسيحية الدولية والبابوية الفاتيكانية والماسونية الكونية





## فلسطين



## الخروج من المأزق التفاوضي

# خطوات بناء الثقة تبدأ بوقف الاستيطان

مضمونة من حيث نتائجها وأبعادها. ذلك أن هذا التوجه في معالجة موضوع الاستيطان، يذكّرنا بما حدث في المرحلة الأولى من العملية التفاوضية، حيث بنيت الخطوة التفاوضية الفلسطينية بعد مؤتمر مدريد على المطالبة بوقف الاستيطان. وجاء من ينادى في حينه بخطة الترامم لتحقيق نتائج ولو بسيطة على الأرض مقابل تأجيل موضوع الاستيطان إلى مرحلة لاحقة! باعتبارها من المواضيع الصعبة التي تتطلب حلها إحرامات قهيدية لبناء الثقة بين الجانبين تبدأ بمعالجة القضايا السهلة والبسيطة وهكذا قادت فلسفة الترامم والقضايا السهلة، التي دافعت عنها الولايات المتحدة، وتجارب معها الجانب الفلسطيني، إلى تأجيل غير مسمى لموضوع الاستيطان الذي لم يتوقف حتى هذه اللحظة ولم تؤد فلسفة الترامم إلى النتائج التي بشرت بها. واستمر التوسع في مساحة الاستيطان والازدياد في أعداد المستوطنين والمستوطنات

## رسالة القدس

### حنا عميرة

على المطار والميناء في غزة والممر الأمن بين الضفة وغزة والافراج عن المعتقلين. وحسب السيناريو الذي كشفه هذا المسؤل فسيلى ذلك عودة التنسيق الأمنى الثلاثى الفلسطينى - الاسرائيلى - المصرى، ويعدا يمكن الجلوس إلى طاولة المفاوضات لبحث وقف الاستيطان». وبالرغم من التأكيدات الفلسطينية الرسمية بأن هذه الخطوات ليست بديلا عن وقف الاستيطان فإن مجرد الموافقة على إعادة ترتيب سلم الأولويات الفلسطينى، وفق التدرج السابق، ينطوى على مخاطرة كبيرة، وعلى الدخول في مناورة سياسية غير

دخلت الاتصالات الفلسطينية - الاسرائيلية، التي تجري حاليا بعضو أمريكى - مصرى مرحلة جديدة وأبدأت تقترب أكثر مما يسمى «بنظرية التعويض». أى تعويض الجانب الفلسطينى مقابل تخليه عن مطلبه بوقف الاستيطان كشرط لاستئناف المفاوضات.

وقد برز هذا الاتجاه في تصريحات وزير التخطيط والتعاون الدولى. نبيل شعث الذى بات يتولى المسؤولية عن الاتصالات الجارية، عندما قال لا يمكن أن نكون متفائلين - من هذه الاتصالات - إذا لم ير الناس مظارا تنقل منه الطائرات وحرية في العبور بين الضفة وغزة، وميناء، والافراج عن المعتقلين «وأضاف» الثقة تعود عندما نرى هذه الإجراءات..

كما برز هذا الاتجاه أيضا في تصريحات مسئول فلسطينى كبير تناقلتها وسائل الاعلام. وجاء فيها: أن الخطوات العملية التي يطالب بها الجانب الفلسطينى ليست أقل من اتفاق

بديلا عن وقف الاستيطان، ونتمنى أن يجرى التقييد بها، ولكننا نتساءل ماذا ستفعل بعد المطار والميناء، فيما لو هددت إسرائيل باغلاقهما وقطع الممر الآمن إذا لم نواصل التفاوض عن مطلبنا بوقف الاستيطان!

ان تجربتنا مع حكومة الليكود وعدم تنفيذها للاتفاقات المعقودة تحتم علينا الإجابة عن هذا السؤال قبل الدخول في مناورة غير محسوبة داخل ملعب الخصم.

وهذا السؤال يدفعنا ل طرح أسئلة أخرى أكثر أهمية حول كيفية تعاملنا مع حكومة تشنهاو وبالتحديد هل يمكن التوصل إلى سلام عادل وثابت وشامل مع هذه الحكومة وهل يمكن أن يخرج منها شيء على صعيد الالتزام بتنفيذ الاتفاقات!!

وحسب اجابتنا عن هذه الأسئلة يمكن أن نطور خطتنا السياسية ونحدد أهدافنا ونرسم تكتيكنا المباشر وأشكال تعاملنا مع مختلف التفاصيل والعروض المقدمة وليس العكس!

نبيل  
شمت



حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته الوطنية المستقلة ذات السيادة على جميع المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧

إن موضوعات مثل المطار والميناء والممر الآمن، هي على أهميتها تعتبر، من مظاهر السيادة التي تأتي عادة بعد الاستقلال، وهي في حالتنا العينية موضوعات قد تختلف الاجتهادات حول مكانها في سلم الافضليات ولكن ليس إلى درجة اعتبارها مدخلا لتفاوضا بدليا عن وقف الاستيطان. ولهذا فاسا نرحب بالتأكيدات التي أشارت إلى أن الخطوات التي يتم بحثها حاليا ليست

واضحت الطرق الالتفافية إلى الحارطة. وقد ازداد الوضع تعقيدا بعودة الليكود إلى السلطة حيث أدى قرار الاستيطان في جبل أبو غنيم وتكتيف حملات الاستيطان في باقي المناطق المحتلة إلى المازق الراهن في العملية التفاوضية.

ليس المقصود من سرد الواقع بهذا الأسلوب، التقليل من النتائج التي أسربت عنها العملية التفاوضية حتى الآن، وحاسه عودة القيادة الفلسطينية إلى أرض الوطن وإقامة السلطة الوطنية على أجراء منه، وإجراء الانتخابات التشريعية. وبدء مرحلة جديدة في حياة الشعب الفلسطيني وفي نضاله من أجل استكمال تحقيق أهدافه، وأما المقصود هو التأكيد على أن هذا الواقع يضع القيادة الفلسطينية الآن، أمام تهديدات اضافية وخطيرة ما كان لها أن تكون، لولا بقاء جبهة الاستيطان مستعرة وبالتالي فإن أي تأجيل إضافي لموضوع الاستيطان سيزيد من مخاطره، أكثر مع مرور الوقت، وسيضاعف المصاعب والتحديات التي تواجهها السلطة الفلسطينية نفسها، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار، تلك المخططات التوسعية التي أعلنت عنها وقارستها حكومة تشنهاو، ومناورات الجيش الاسرائيلي لإعادة احتلال مناطق السلطة الوطنية وإعادة الإدارة الاسرائيلية.

لقد تباهى رئيس الحكومة الاسرائيلية، بان أكبر إنجاز حققه في العام الأول من فترة حكمه يتلخص في وقف الهزلة إلى حدود عام ١٩٦٧ وقد استخدم الاستيطان والتوسع الاستيطاني كأداة رئيسية في سعيه لتكريس الإنجاز المذكور. هذا يعني، بالاستناد إلى أقوال تشنهاو مسبب انه لم يبق أسد متسكع كبير من الرمس، كما يعتقد أصحاب فلسفة التراكب البطني للفرل تأجيل اصنافى معالجة موضوع الاستيطان، ومن لحذارت المناحة لم تعد مثلما كانت في السابق

ان النشاطات الاستيطانية لهذه الحكومة، قد أوصلت الأمور والحالة العامة، إلى مستوى لا يمكن التعايش معه دون المخاطرة بضياع ما تحققت، كما أوصلتها إلى مرحلة، باتت تهدد بتدمير الوحدة الجغرافية والديمقراطية للضفة الغربية والقطاع، وهذا بدوره يضع مزيدا من العراقيل الجديدة، أمام امكانية الوصول إلى حل يضمن للشعب الفلسطيني



## خصخصة الاذاعة والتلفزيون في اسرائيل معركة سياسية.. على نار هادئة

والسورية والاردنية واللبنانية والمغربية و (MBC وART)، وتضمن قنوات اسرائيلية خاصة بالريضة، بالانعام، بالعلوم، بالمشتريات، بالافلام المتقاة الخ. وخلال المعركة الانتخابية وضع الليكود في برنامجه خصخصة سلطة البث (اذاعات وتلفزيون) وفي الشهر الماضي اتخذ قرار مبدئي بالخصخصة. وبدأ نقاش جماهيري واسع حول الموضوع، يشارك فيه الوزراء والخبراء وأعضاء الكنيست والسلط الاكاديمي ومجلس الصحافة العام وجهاور الصحفيين.

وزير الاتصالات، ليصور لفنات، التي قدمت المشروع، كانت أول من اتهم التلفزيون باليسارية حين قادت الحملة الاعلامية لانتخاب تشنهاو. وتقول: إن هدف الخصخصة هو كسر الاحتكارية البلشفية لأهم وسائل الإعلام. وزعمت أن الخصخصة تعنى إطلاق يد المبدعين ليعملوا بشكل حر. فيقدموا للجمهور ما يريدون لا يفرضون عليه البرامج بشكل قوتي. وتعنى التنافس بين القنوات التجارية، من يكسب أكبر عدد من المشاهدين، وذلك بفضل برامجه ومستواها ومدى جاذبيتها.

ولم تنتظر لفنات انتهاء النقاش الجماهيري في الموضوع. فقدمت اقتراحا إلى الكنيست تلغى بوجهية خيرية التلفزيون، وهي مصدر الدخل الأساسي لسلطة البث توفر ٨٠٪ من الميزانية. وطرح بدلا من هذه الضريبة هو: تخصيص ميزانية من الدولة وفتح المجال أمام الدعايات التجارية، المحظورة اليوم في القناة الأولى.



باراك



تشنهاو

### رسالة حيفا

#### نظير مجلي

وهي التلفزيون والإذاعة- القناة الأولى، التي تعتبر مركزية. يمولها الجمهور بواسطة صرية- والقناة الثانية -وهي ملك خاص لعدة شركات قول من الاعلانات التجارية ويصع البرامج- وثلاث صحف كبرى يومية تملكها ثلاث عائلات. ويمكن أن نضيف إلى هذه الوسائل الاعلامية أيضا إذاعة الجيش الاسرائيلي (جلي تعاهل) وهي ران كانت رسمية، إلا أنها تسعى أيضا إلى النهج الموضوعي في الخلافات والنقاشات الحزبية.

خلال السنوات الأخيرة شهدت وسائل الإعلام الإسرائيلية ثورة تكنولوجية. ودخل نظام الكوابل التلفزيونات (٧٥ محطة وقنال، بينها الفضائيات المصرية

لم تشهد إسرائيل، في تاريخها القصير (٥٠ عاما) حكومة معادية لوسائل الإعلام. مثلما حدث مع حكومة بشيامين تشنهاو. فهو، صد فوزه بقيادة الليكود قبل أربع سنوات، بمتهم خط الهجوم على الصحافة والصحفيين. يشكك في مصداقيتهم. متحيزين لحزب العمل وعند انتخابه لرئاسة الحكومة، في أراسط لسنه الماضية اتهمهم باليسارية وقال: «حزب العمل والصحافة لا يبردان الاعتراف بنتائج الانتخابات. ويحتاجان إلى أربع سنوات كاملة حتى يقتنعا». بأن حكومة جديدة قد انتخبت وبأن هذه الحكومة شرعية».

وهو لا يفت فرصة لمهاجمة الصحافة، خصوصا عندما يلتقى الكوادر الشعبية الحزبية. في المؤتمر العام (يضم ٣٠٠٠ مندوب) أو في المركز (يضم ٨٠٠ عضوا) فهناك يطرح لشن هذا الهجوم لأن ردود الفعل التي يلقاها من الجمهور، تشبه ردود الشباب على أغاني الروك. طوب هشتيري وهتافات «الموت للصحافة».

قله من الصحفيين، خالفوا من أجواء التحريض الدسوس. وقرأوا وراجعوا. وراحوا يناقشون للحكومة ولرئيسها. لكن الغالبية الساحقة جدا جدا منهم، واصلت عملها العادي تتعامل موضوعية مع الحكومة ومع المعارضة. وتحاول أداء رسالتها باخلاص. في سبيل خدمة مبدأ حرية المعرفة والديمقراطية. وهذه الأكثرية، تسيطر على جميع وسائل الإعلام المهمة والمركزية في إسرائيل.

لكن المعارضة واليسار تصدرا للمحاولة بوقوفها، لأول مرة إلى جانب جبهة هذه الضربة، من أجل الحفاظ على استقلالية سلطة البث ومنع الحكومة أو أصحاب المصالح الاقتصادية من السيطرة عليها والتحكم بها وفق مصالحهم.

حدد معارضو الصحافة، اليسار واليهوفاكس قال في اجتماع مجلس الصحافة العام (يألف من رؤساء تحرير الصحف اليومية وصحفيين بارزين وشخصيات خاضعة)، غداً أقام التلفزيون في سنة ١٩٦٤ انتخاباً للطريقة الترتيبية نموذجاً، والبر، بلاطاً، أوروبا كلها تسير نحو التعددية في القنوات التلفزيونية، لكن جميع دول أوروبا العربية حافظت على تلفزيون حكومي أو بشعبي في ظلها، وهذا التلفزيون كان يربط بين الأصل والأرض، صاحب أعلى نسبة مشاهدة.

وكذلك تلفزيون جماهيري وليس حكومياً، مستقل تماماً، يعكس الوضع المجتمعي ويساهم في كل موضوعية وصف دور تغيير يسعى للتغيير على وجهه، ومنصته ولاذ - رسالته الضمنية - فلا سبك على سبده ولا خوف الانقذاد على الرئيس، بل ذلك هو الحكومة، البراءة، أي مستر.

وقال هناك أيضاً ينتقدون التلفزيون ويهاجمونه، ولكنهم لا يهزؤون على المطالبة ببيعه أو خصخصة، لأنهم يعرفون أن مثل هذه الخطوة ستعزج التغيير وكذلك المستوى الذي يقدم فيه برامجه. وفي الوقت نفسه يشعرون برغبة مبراسة، لن يفتن من حالهم حرية التلفزيون باستمرار بل أيضاً من رغبتهم في قسم من مداخل القوات التلفزيونية في القطاع الخاص إلى مبراسة.

لهذا كله - لخص كاتش - أرى أن علينا أن نشيئ النموذج الأوروبي، وأعتقد أن الخصخصة تعنيهاً تعود إلى الوراء، إلى التحلل التام الذي يبدو في ظاهرة «براغ» والحجرات ولكن في جوهره الخيفي بوجه زمني غش في ذوق السادة وحده في حرية حصول على المعلومات وعلى الضرر وتبعها يجب مثلما اتبعت الاتحاد السوفيتي فقد كن لديه بذه سن، ولكن، غداً صدم، هدموا معاً نص الأمور المقروء والإعلاميات بالوراها تهارب والسرور الرقبة تتسحب والفرق الموسيقية تفككت، وكثير الغنى والخراب رحلوا عن الوطن إلى بلدن أخرى، لقد ضربوا حضارة الشعب، وعلينا ألا نضع في هذا الخطأ.

أوبه تأور، وهو محاضر جامعي اشتهر عندما كان سكرتيراً لحكومة متناحيم بينين (١٩٨٣-٧٧)، وما زال عضواً في الليكود لكنه من حناح معارض، يقول: أنا لست ضد مبدأ الخصخصة بل مستعد لبحث الموضوع بشكل حتى ويواجه ايجابي، مع الآخذ باعتباره مصلحة حرية التعبير والمستوى الرأسي، فكل مشكلة تجد حلاً، لكن ما يفتلني في مشروع الحكومة للخصخصة، هو الهدف الحقيقي منها، لقد جلا هذا لمشروع صمم مجموعة مشاريع تقوم بها حكومة شياغو يهدو نصبة ما نسبته ٥٠ عليه القوم، في جميع الحالات وليس فقط في المجال الإعلامي أنها تقوم بصفيحة القوى المهنية في جميع المراكز العالية في المجتمع، إن كان ذلك في السلك الأكاديمي أو في سلك قيادة الدولة ومنحجب الاناسة، فقد حاولوا جلب مشاعر نصبي الحكومة بلا أية حرية قضائية ولا رصيد أكردي، اغصدا استشار روثي بان- أون الذي استقال بعد يوم واحد من منصبه، وثارت صدمة كبرى من حوله وفضيحة لم تنته حتى اليوم) وحاولوا جلب موظفين كبارا مكان الموظفين الخبراء، ويواصلون هذا النهج أيضاً في التلفزيون، فهم لا يطمحون من حولهم، وجود أساس مستقلين، يهتزون أراهم على أساس علمي وعشوي، يريدون أساساً ذري نتائج اديولوجية عمية، يسبون زبائح، يحسنون لهم من دون أي استعداد للتفكير ولأعادة النظر لسرا حجة الحق والأبعاد لا سبب من نهض مستوى البرامج ويحاولون من اعضا، الجمهور كل المعلومات يريدون للتلفزيون أن يصبح حائزاً ليس لشرقة الفيديو، يريدون أن نشأ أجيال من المواطنين اللامبالين بما يجري في القيادة، لكن لا يؤثرون في المستقبل ولا يحاولون إخراج التغيير.

أحد الصحفيين القدامى، موشيه جاك، رأى أن خصخصة التلفزيون يأتي حلقة أخرى في سلسلة طويلة من مخططات تضر ملكة الصحفي في إسرائيل وتقصير لسانه وتقليل نفوذه وتأثيره، وقال: الصحفيون لدينا باتوا يتعرضون أكثر للضغوط وللتعديلات، وهناك سلاح خطير يبدو، في ظاهره لخصتهم وبالتالي يعرض بهم، هو سلاح العقود الخاصة، فالصحف تحاول الارتباط بالصحفيين بواسطة عقود خاصة لكي تتحرر من مصلحتهم انمايات العمل الخاصة، وهذه العقود تضعف صفاته الصحفيين وبالتالي تضعف الصحفيين في المطالبة بحقوقهم ووضع المال صاحب القرار عنده، والاعمال المالي يصح صاحب الزور الأساسي ويأتي الآن دور

الخصخصة، لتكمل الدائرة، ففي مثل هذه الحالة يكون للمال الكلمة الأولى والأخيرة، وتصيح بركة الصحافة بضاعة خاضعة لسياسة العرض والطلب.

يشترك في هذا النقاش، بعض الإعلاميين العرب في إسرائيل (عرب ٤٨)، الذين لا يشعرون أن التلفزيون الإسرائيلي تلفزيوناً جماهيرياً بالتبعية لهم، فالتقسيم العربي فيه موجه، باستثناء نشرة الأخبار، فإن كل برامجه مسجلة سلفاً، وقد جرى تقليص البث بالعربية ليصبح الآن بمعدل ساعة وربع الساعة يومياً، ومضمون البث بعيد تماماً عن مستوى البرامج العربية، ليس فقط من ناحية الموضوعات والمستوى الفني الذي تنعكس، بل أيضاً وبالأساس من ناحية احترام عقلية المشاهد لذلك، تزيين الجمهور الراعي يتابع نشرة الأخبار في التلفزيون العربي لا العربي.

لهذا، لا يشعر المشاهدون العرب بخسارة كبرى إذا حفظ التلفزيون الجماهيري واستبدل بتلفزيون تجاري لكن الراعي منهم أخطار، الخصخصة، يقولون: التلفزيون الإسرائيلي الجماهيري لا يأخذ باعتبارات ان العرب يشكلون ١٧٪ من المجتمع الإسرائيلي، وهذا خطأ فاحش يجب مكافئته والسعي لتغييره لكن الحل ليس في خصصته، لأن الخصخصة تزيد الطين بلة.

ومن الجدير ذكره في هذا المجال، إن القناة الثانية في التلفزيونية في المستوطنات الإسرائيلية - وهي تجارة - تبدي استغفافاً أكبر بالمشاهدين العرب، وحتى برنامجها الاخباري الاسبوعي، يتم تسجيله قبل يوم كامل من بثه ولكن الحكومة تضع في برنامجها للخصخصة اقامة قناة بث خاصة باللغة العربية، أي اقامة تلفزيون عربي في إسرائيل، وقد عقب أوبه تأور، المذكور اعلاه، على هذا بقوله: أنا لا اصق أن الحكومة ستفقد الخصخصة أيضاً على التلفزيون الإسرائيلي بالعربية، فهناك أكثر من جهة ستعارض ذلك، بسبب حسية الأوضاع السياسية والأمم.

وهكذا، فما زال النقاش في الموضوع في بدايه، ومن أجل حسمه ينبغي سن قانون خاص في الكسبت، وهناك أمل لدى قوى اليسار، والمعارضات البرلمانية، بأن ستضع التأثير على صير القانون لخصص أقصى ما يمكن من الاستقلالية، وهناك معركة بعضها رجال الاعلام، بقوة ضد السكاس يهدو لاستقلالية، وهناك أيضاً انتلاف حكومي يميني غير متجسم قام الاسامج في الموقف من خصخصة التلفزيون.



## السلام الافسانى .. أم عملية السلام العنصرية

الآن ساعة الحسم:



### المقاطعة الشاملة وإلا فلننتظر الألفية الرابعة

مواقع يمكن فيها أن يكسب تأييدا دوليا، كما يكسب قطاعات واسعة من الرأي العام العالمى.

وعلى أن نحدد الاختيارات الأساسية التى نختار فيما بينها:

-القضية، هى فلسطين ودولة فلسطينية، أم الصهيونية ومستقبل العالم العربى؟

-عملية «السلام المديدية»، أم سلام إنسانى لا عنصرى؟

- دولتان عنصرتان : صهيونية متحفزة ، وفلسطينية-حايدة أو مستخرجة- أم دولة موحدة ديمقراطية؟

ولقد أشار الدكتور يحيى الخراوى إلى فكرة الدولة الواحدة غير العنصرية فى مقال بجريدة الأهالى فى ذكرى حرب يونيو- وتواضع بوصف تلك الفكرة بأنها «مجنونة» متسائلا عما إذا كان ننتباه وصحبه يتقبلون أن يحكمهم واحد اسمه ياسر منهدلا -ويلزم بذلك إلى أن التكوين الايديولوجى للنظام الاسرائيلى لا يقبل إزالة العنصرية أو ما ساء «الحل المائدى» لأزمة فلسطين.. الحل الانسانى القابل للبقاء..

ونتساءل: هل رفض الايديولوجية الصهيونية لفكرة الدولة الديمقراطية الموحدة يجعل هذه الفكرة مجنونة.. كما تحفظ



محرم القيادة الفلسطينية والقيادات العربية الموقف وتحدد الاختيارات ونمارس منهاجنا حديثا بقوة على وقف التضييق. وإعادة النظر فى الاتفاقات الموقعة مع اسرائيل، ووضع استراتيجية عربية جديدة للمواجهة تقوم على استخدام أوراق القوة العربية

فما هى الاختيارات التى يلزم الحرم فى حسمها؟ وما مدى إعادة النظر فى الاتفاقات الموقعة؟ وما هى عناصر القوة التى فى يد العرب التى يمكن أن تقوم عليها استراتيجية عربية إيجابية؟

#### حسم الاختيارات ووضعها والحذر من الرقص على الانغام الصهيونية

فالتساؤل فى مناقشة المواقف التفصيلية هو منهج الأسلوب الصهيونى للوصول إلى أغراضه- بحيث ينسبنا فى خضم المناقشات أهدافنا الأصلية وجوهر المشكلة. ويجرفنا عن موقفنا الذى كان سليما منذ أول الأمر ، ويزعزحنا عنه إلى

ألقى رئيس التحرير فى افتتاحية عدد ابريل من «اليسار» سؤال الساعة :«مضى بحسم العرب موقفهم»؟ وذكر ان نسوية الصراع العربى الاسرائيلى التى انطلقت من كاسب ديميد مرورا بمديريد وأوسلو ووادى عربة- هذه التسوية تسقط الآن لأنها بدأت واستمرت على أساس فرض الرؤية الاسرائيلية (الأمريكية) كاملة على العرب..

فإذا ما حفظت عملية السلام فهل نصفق لذلك وننتظر عرض عملية سلام أخرى لنناقشها حتى السقوط، وهكذا .. أم أن لنا موقفا إيجابيا يلزم جلازه وتدعيه للعالم وللرأى العام العالمى الذى ضلته الدعاية الصهيونية أجيالا ثم جاء الشطط فى تحركاتها الأخيرة صارخا ، لينبه العالم إلى ما فيه من جنوح وتعصب ومخالفة للقانون الدولى- كما تكلمت ضد المواقف الدبلوماسية فى العالم كله وعزلت أمريكا مع إسرائيل عزلا لا تضيع الفرصة فى استناده

لقد أجاب الاستاد رئيس التحرير فى افتتاحيته محذرا من مصاعد العنف والعنف المضاد الذى ربما يأخذ المجاهات غير صحيحة- ما لم يتوقف العنف الاسرائيلى الذى تزايد منذ بدء مشروع مستوطنة أبو غنيم ، وما لم



حلمي شعراوي



محمد سيد أحمد



د. يحيى الرخاوى



حسين عبد الراراق

الكلمات المتداخلة- بما أنشئ عليها من مستوطنات تتقاطع مع ما بقي منها في أيدي الفزاة المستوطنين ، فلا تصلح لإقامة دولتين.

وهكذا رأينا الاستاذ محمد سيد أحمد يكتب في أهرام ٦ مارس ١٩٩٧ عن «عودة إلى الدولة الديمقراطية العلمانية» ، بل ذكر الاستاذ فهمي هويدي بالأهرام أيضا فكرة الدولة الموحدة كوضع منطقي وإن لم يصفها بالعلمانية التي هي صفة لازمة في هذه الحالة. ثم تكشف الدعوة لاحياء هذا الموقف العربي حتى أبرزها كل من عبد العظيم أتيس، وعلمى شعراوي في عدد واحد من مجلة اليسار (أبريل ١٩٩٧) وكل منهما يردد الأمل في مثل ما تحقق في جنوب أفريقيا- رغم تضاعف عدد اليهود في ظل دولة إسرائيل.

وهكذا فإن هذه الرؤية الانسانية التقدمية- قد عادت لترتفع، لعلنا نكسب في ظلها مواقع متقدمة ضد التخلف الفكري العنصري الصهيوني- يمكن أن يستجيب لها الرأي العام العالمي كما تثير طريق نضالنا اذ تصفى شوائب ما أحاط بأهدافنا من تخلف وقبح في مؤقرات ومهرجانات وعلمية السلام».

## السلام الانساني ، لا «عملية السلام»

هذه النظرة المصفاة الراديكالية إلى مشكلة الصهيونية في العالم العربي، والتي يعيدها إلى إطارها الحقيقي: نضال الشعوب العربية جميعا ضد العنصرية الصهيونية

مجلس الشعب في ١٦ أكتوبر من تلك السنة على وجه التحديد- إلى موقف دفاعي من الوجهة الدعائية، شبرا فيه من تهمة معاداة السامية ، وتنتهي بأننا تسعى للسلام مع إسرائيل. تحت غطاء نصر كلنا دما، وأرواح عشرات الآلاف من أبناءنا- كأفنا السلام مع دولة إسرائيل هو ثمن البراءة من تهمة معاداة السامية ، وهو في الحقيقة غطاء، لتخلي عن جوهر القضية. قصة محاربة العنصرية. هكذا بدأ تحول مصالنا من رفض الكيان العنصري بكل آثاره المدمرة للمنطقة العربية وليس للشعب الفلسطيني فحسب. ليحصر المصال شينا لثبنا في إطار ضيق هو المفاضلة بين إسرائيل و«الفلسطينيين» حول مدى حقهم في تقرير مصيرهم وإقامة دولة أو كيان ناقص لدولة فلسطينية في كنف إسرائيل.. وهو المضمون الحالي لما يسمى «عملية السلام».

ولكن الحق الذي غا لدى قادة إسرائيل مع إتخاذ القيادات العربية ورفضها على الأعداء الصهيونية من مدريد إلى أوسلو إلى شرم الشيخ ، فانه في تشوة الزهو بما ألفوا من الحان وما أقاموا من مهرجانات -أدى بهم الحق إلى غترات في نفق المسجد الأقصى، وتحالف كونها عن، ومشروع مستوطنة أبو غنيم- أثار موجة مضادة من الوعي لدى حماة العرب، وتبصر لدى قيادتهم بسوء ما تورطوا فيه من خداع وضلال، وبدأ التساؤل الجدي يبرز إلى السطح : ما هو طريقنا وما عاية نضالنا، وما نهاية آمالنا- بعد أن أصبحت أرض فلسطين مثل لغز

## د.الرخاوى في وصفها..

لقد دافعت في مقالين سابقين عن ان المشكلة هي لعنصرية الصهيونية وليست قيام دولة فلسطينية أيا كانت. وأن حدود الأمل هي الإيمان دنا بأن العنصرية لا تستقبل لها.

وكنت الطيعة لعنصرية للصهيونية -التي سب أن دمغها به قرار الأمم المتحدة في ١٩٧٦ - بقتضى الاقتصار على البك . على نضاتها ولا حتى شر هذه الفظائع من دير ياسين إلى قانا، والتدكر به ، إذا يجب أن يصاحبه موقف إيجابي يطرح على لعالم بشأن أهدافا- لأهداف لاسامية لأعداد الصهيونية -إقامة دولة موحدة ديمقراطية علمانية في أرض فلسطين الانتداب كلها.

وإذ نتقدم إلى العالم من جديد -والى اليهود ضمن من نتوجه إليهم- بهذا الهدف ، فإنتا لا تفعل أكثر من إعادة تصحيح مسار النضال العربي، حيث كان هذا هو موقف العرب منذ رفضهم قرار تقسم فلسطين ١٩٤٧ . ولكنهم لم يوصحوا ما وراء الرفض في صورة إنساسة ديمقراطية تلف أنضر الرأي العام العالمي وتحمل التعاضد معهم، وتركوا للصهيونية تصعد دعائيتها بيه متعصنين ضد اليهود ، وأنها مردون إلفا- إسرائيل في البحر ودخلو بذلك في مصيدة «معاداة السامية» فمة الخداع في الدعوى الصهيونية.

ولم يقتصر لأفر على أنهم أصبحوا فريسة لتلك الدعوى الصهيونية على الطوق العالمي . بل أنهم أصبحوا فريسة لها فص منهم وبين أنفسهم ، ونحو الأمر من بعد حرب ١٩٧٣ -رمد حطاب السادات في

## هل يقف العرب في فراغ إذا ما انتفت عملية السلام؟

كمشروع استثماري، وليس حصر المشكلة في نزاع بين المستوطنين اليهود وبين بقايا شعب فلسطين في الأرض المحتلة- هذه النظرة التي اكتسبت واقعية جديدة وتأييد حديد تأثير التطورات الأخيرة- هي لا شك تستدعي نبذاً حثرياً لما يسمى «عملية السلام».

ذلك أن إحياء الموقف العربي المرتبط بإقامة دولة موحدة ديمقراطية غير عنصرية، هو إحياء للأمل في سلام إنساني يستوعب فكرة المجال الآمن لمشردى اليهود في العالم (أو ما سبق تسميته بالوطن القومي لليهود في مقال سابق لي بمجلة اليسار) وهو يتميز تماماً عن الدولة العنصرية الصهيونية التي تقو على التعصب والاضطهاد والتوسع.

أما «عملية السلام» التي يحز بها البحور في وسائل الأعلام منذ مؤتمر مدريد ١٩٩٣، والتي توهج برهقي في أعين وأذهان له يكي يتوقع أن يجنّدها ذلك لشرق فترقص على نغماتها وتلغق لأي نثار يرحبها عن سياقتها- كأنها هي وحى سرور، وإن كنت في حقيقتي صباغة شيطانية مصلفة تغطي أسلوبياً مخططاً لتدعيم الكيان العنصري، ورسم الطرق لتثبيت وجوده وإعطائه كل الفرص لأفراز سمومه المدمرة لكيان المنطقة وتطورها وذلك من خلال الاتصالات الثنائية الفردية، والمفاوضات متعددة الأطراف التي تتناول أموراً لا دخل للكيان الإسرائيلي بها، وأموراً أخرى تثار كمشاكل إقليمية عامة في حين أنها محللة أو ثنائية وترد إسرائيل أن تدخل فيها عناصر توسع نطاقها لمصلحتها. والمثل البارز على ذلك هو مشكلة الحياة أملاً في الحصول على نصيب من ما التيل لكي تتدخل في شئوننا إذ تصبح بذلك إحدى دول حوض النيل... وبالمثل هي كارثة!

إن الحديث عن «عملية السلام» أو التباكي عليها- تكرر للصهيونية والعنصرية يجب أن يترفع عنه كل مخلص لمستقبلنا العربية..

ولكن

إذا كانت هناك اتفاقات تم إبرامها في

الهندو الحمر في أمريكا، كما يشير إلى أثر الرأي العام العالمي..

ولكنني أخصص بالتأكيد هنا- عنصرين للقوة في هذا الصراع: ليسا جديدين، ولكنهما يصبحان بالجدية فاعلين إلى غير مدى. هذان العنصران هما المقاطعة، والرأي العام العالمي الذي لم يأخذ حتى في العناية. ولم نعرف كيف نواجهه معه الدعاية الصهيونية بأسلوب فعال.

أ- فالرأي العام العالمي قد أساء فهم قضيتنا بتأثير الدعاية الصهيونية التي استندت إلى الاستقطاب المغلف بتضليل مخطط واسع النطاق عن معاناة اليهود في الشتات، وإن لم تكن معاناتهم حقيقية إلا في بعض دول أوروبا فاستغللتها الحركة الصهيونية لدفعهم إلى دولة العنصرية، وحصلت على التأييد والأموال بدعوى إنقاذهم ثم بدعوى تعريضهم، وجددت كل قواها المعنوية لتجعل هجرتهم إلى إسرائيل تبدو كحركة إنسانية لا تقف في سبيلها اعتراضات بعض المخلفين من العرب في أرض الميعاد وأدخلت هؤلاء في زمرة أعداء السامية الذين يريدون لقاء اليهود في البحر- متناسين أن هؤلاء الذين تطردوهم من أرضهم هم من الجنس البشري ذاته.. ولكنه التوهية والتضليل في سبيل تحقيق المشروع الصهيوني الاستعماري. ولا زال يستغل نقص الالتفات في أذهان العرب- لترسيخ نظرة عنصرية لدى الأوروبيين ومن استمر منهم بأمرها نظرة تدور حول العرب التخلفين الذين يستعدون دائماً للبطش باليهود السالمين ولم يتورعوا أبداً عن أن يثيروا نفرا عنصرية دينية لدى مسيحيي أوروبا ويغلطوا في ذلك بين العرب والمسلمين ضمن سياسية ترمي إلى تشويه صورة الاسلام والمسلمين، وإثارة الاحقاد القديمة ضدهم لكي. يصبح نصيب العدو الأول للرب بعد انهيار النظام الشيوعي.

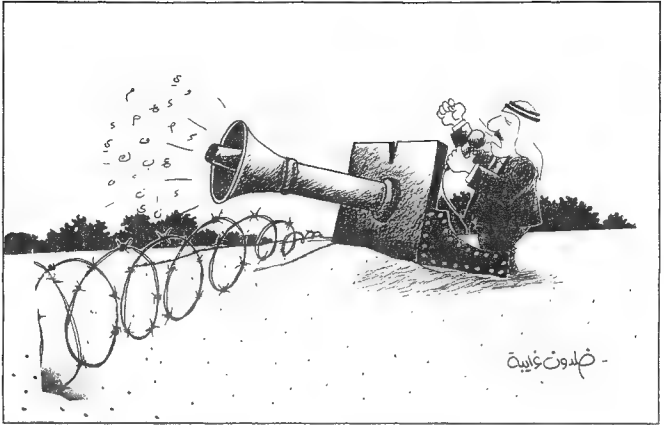
بعد أن خدعوا كثيرين من زعماء المسلمين ليبدلوا طاقة غير مستعوضه لتأييد معسكر الغرب «المتدينين» ضد ما أسماه «معسكر

أوسلو أو قرارات وافقت عليها الدول المشتركة في مؤتمر مدريد، فإن الممارسات الاسرائيلية التي تجاهلت تلك الاتفاقات والقرارات- سواء بما أقامت من مستوطنات في الخليل، أم بتغيير معالم الأرض المحتلة -في القدس تحت المسجد الأقصى أو في جبل أبو غنيم- هذه الممارسات لم تتجاهل تلك الاتفاقات والقرارات فحسب بل خالفت فوق ذلك قواعد القانون الدولي التي تتضمنها اتفاقات جنيف بشأن التزامات الدولة المحتلة في الأراضي المحتلة. وعلى ذلك فإن الأمر لا يقتصر إزاء ذلك على إعادة النظر في الاتفاقات السابقة مع اسرائيل لتعديلها، بل يقتضي إعادة النظر في الالتزام بتلك الاتفاقات عموماً بعد أن وضع أن عدم التزام الدولة الصهيونية لا يتعلق بتلك الاتفاقات فحسب، بل بقواعد القانون الدولي بوجه عام. فهي دولة خارجة على القانون لا حرمة لاتفاق معها. وعليها أن تراجع عناصر القوة التي في يدها. ونربط ما بين موقف الشعوب العربية والمواقف التي اتخذتها الدول العربية في اجتماع الجامعة الأخير..

### عناصر القوة في يد الحرب

هل يقف العرب في فراغ إذا ما انتفت «عملية السلام»؟ الكتابات التي تعلق كل الآمال على «تلك العملية» تنطلق من ذلك المنظور.. ولكن النظرة الانسانية التقدمية المناهضة ضد العنصرية لا تجد في توقف عملية السلام إلا ترشيحاً جديداً لفكرة الدولة الديمقراطية الموحدة على كل التراب الفلسطيني.

ويعزز الدكتور عبد العظيم أنيس في مقاله السابق الإشارة إليه إمكانية الوصول في ذلك إلى ما يشبه «الحل المائتلي» في حوض أفريقيا لأن اليهود أقلية وسط بحر واسع من العرب في المنطقة (وذلك على أساس «القبيلة» الصراع وليس حصره في أرض فلسطين)، وكذلك لأن توارن الأسلحة في يد الطرفين غره في مثال البيض مع



- خالدون غيبية

المقاطعة إلى مثل ما وصلت إليه مقاطعة المجتمع الدولي لنظام جنوب أفريقيا العنصري. ولعل رفعتنا شعاره الدولة الديمقراطية الموحدة يكون كذلك محوراً لتجميع المؤيدين والرأي العام العالمي لتحقيق هذا الهدف وإنهاء العنصرية في منطقتنا العربية.

أمران لابد من التنبيه إليهما في هذا النظر.

**الأول:** جهود «وقف التطبيع» لا تغني أبداً عن فكرة تدعيم «المقاطعة» استثماراً لقرار الجامعة العربية.

**والثاني:** أن التضال يرتبط دائماً بطول النفس.. وسواء في سلاح التعامل مع الرأي العام العالمي، أو في سلاح مقاطعة النظام العنصري، فإن عنصر الزمن معنا مهما بدا الهدف بعيداً.

وأولها ثابتة: لحفظ بايماننا بأن العنصرية لا مستقبل لها.

لعنصرية في حدود لا تستطيع تجاوزها. ولا تمكننا من آمالها في التفلغل والبطرة على مقدرات شعوب المنطقة

ولقد كان قرار مجلس الجامعة العربية في مارس الماضي بشأن المقاطعة - بكل ما يمكن أن يلاحظ على بنوده أو على وصفه كقرار أو توصية - كان إيجاباً. لنفحة نسحت حولها جيوش العنكبوت منذ بدأت عملية السلام مع العنصرية. وكان دفن المقاطعة هو همة الأول أو هدى أساسياً لها.. فما إن تعرض مجلس الجامعة العربية - ولو في صورة توصية لموضوع المقاطعة حتى ظهرت ردود فعل تحمل طابع الانزعاج الشديد من مجرد العودة إلى تلك النعمة بكل ما شاب أواهاا الجند من استحسان..

الأمر الهام . ودون أن نقف للمبحث وراء. وما بعض الأنظمة العنصرية في شأن تلك التوصية . هو أن تنازع تلك التوصية شعبياً وصحيفياً لتعزيزيز النزاه الحكومات بها وبتنازع خطرات تنمدها كسلاح أول في تضالنا ضد العنصرية ويكون في التركيز على أن التضال هو ضد العنصرية مدعاة لأمل في أن تضل

التوسعة والحداد.

وتكون فكرة الدولة الديمقراطية الموحدة هي محور توحيد إلى الرأي العام العالمي لتكشف بها زيف الدعاية الصهيونية - على أن ذلك لا يعنى أن شعار «الدولة الديمقراطية الموحدة» هو مجرد شعار دعائي شككي وبما هو شعار موقف إنساني تقدمي ثابت تدور حوله كل لأنشطة التضال للمغرب والبلطستين.

ولذكر في كل ذلك أن توحيد إلى الرأي العام العالمي لا يكون مجرد إرضاء للذمة بينات نسحلية وأما هو حرب شاملة تحدد لها كل الامكانيات المالية والتكنولوجية والدرست الاجتماعية والفنية. مع التأهل لصال هرو ومبر وضول

ب-ريامج لمقاطعة ولا غزل مجرد «وقف التطبيع» أو رفضه فالمقاطعة سلاح فعال أشن له جهر صرح بالجامعة العربية ولا زال مكسباً قانماً في دمشق. وقد وضع له أسس وقواعد وأساليب تحث خلال حقب متتالية في وقت النمو الاقتصادي في الدولة





أمر بن هشام



فاروق الشرق



سمير موسى

## السياسة السورية.. صعوبات ومفارقات

أثراك ضد سورية، وبالممارسات الفعلية في الاعتداء على حقوق سورية في المياه، ومياه الفرات خاصة، دون الاهتمام بالقانون الدولي، ولا بعلاقة حسن الجوار المفترضة. إن أهم المفارقات هو تجاهل بعض البلدان العربية مقررات مؤتمر القمة العربي الأخير الذي تقرر الامتناع عن التطبيع مع إسرائيل، وأصرار بعض الدول على عقد القمة الاقتصادية في قطر والمشاركة فيها، في الوقت الذي ترى سورية أنها الإسرائيلية ومقاومتها التطبيع إنما تدافع عن المصالح العربية كلها بما فيها مصالح الدول المشتركة في المؤتمر. وتتصدى باسم العرب جميعهم للهيمنة الإسرائيلية والتغلغل الإسرائيلي فضلاً عن اغتصاب الحقوق ومن المفارقات أيضاً موقف بعض الدول الأخرى من

### رسالة دمشق

#### حسين العودات

(الوسط الربيعي)، والتحالف التركي الإسرائيلي الاستفزازي العدواني الذي غير عن نفسه بدخول الجيوش التركية (والبحرية) الاسرائيليون شمال العراق دون الالتفات لا للقانون الدولي ولا لعلاقات الجوار، رغمًا عن التاريخ الطويل والعلاقات الثقافية مديدة العمر، كما غير عن نفسه باجرا، مناورات عسكرية مشتركة مع اسرائيل قبالة سواحل اللاذقية، في الوقت الذي كان فيه وزراء خارجيه اعلان دمشق يعقدون اجتماعهم، وبالتهديدات العديدة التي يطلقها مسئولون

يبدو للسماسة لسورية وكأنها توحده عبء الظروف كلها التي تحيط بالقضايا العربية وتحدو الدبلوماسية السورية أو تلعب معظم أوراقها للخروج من (المازق) الذي تقع فيه القضية العربية عامة، والسياسة السورية خاصة، وذلك بعد تهريب بعض العرب من التزاماته تجاه سورية وإعطاء الأولوية للالتزامات مع الآخرين كما قال السيد فاروق الشرق في افتتاح مؤتمر وزراء خارجية اعلان دمشق. ويرى المطلعون على السياسة السورية أنها تواجه طروفا صعبة ومفارقات: فبالصيف الاسرائيلي، وإعلان اسرائيل أبواب السلام الشرعية، وتنكرها لمبادئ مدريد، ورفضها استئناف المحادثات في ضوء هذه المبادئ، والتأييد الأمريكي شديداً القوة لاسرائيل التي أصبح «مخالفا» و«التزاما»، وتخلي عن موقف

الممارسات الاسرائيلية والتطبيع مع إسرائيل، واستمرار تسككها بهم إمكانية تغيير مواقف حكومة نتنياهو والتوصل معها إلى سلام دائم وعادل وشامل.

وهكذا نجد السياسة السورية نفسها على خلاف كلي مع الأعداء وحلفائهم وخلاف جزئي مع الأصدقاء، حيث يتجاهلون جميعا المصالح العربية، وطبيعة الصراع العربي الإسرائيلي، والصراع الحقيقي الذي تخوضه سورية في هذا المجال، وتشعر أنها تكاد تكون وحدها في معركتها، رغم الدعم الشديد الذي سمعه القادة السوريين من الأمير عبد الله ولي عهد السعودية، والتنسيق الكامل مع الحكومة المصرية في مجال الصراع السوري الإسرائيلي، والعمل لتحقيق التضامن لعربي، ومحاولة إقامة السوق العربية المشتركة وغيرها.

وجدت السياسة السورية والدبلوماسية السورية فرصتها بالنسبة لشرح مواقفها في ثلاث مناسبات هامة هي: انعقاد مؤتمر وزراء خارجية إعلان دمشق في سورية، وزيارة الأمير عبد الله ولي عهد السعودية، وزيارة السيد حسن حبيبي نائب رئيس جمهورية إيران. وكانت كل من المناسبات الثلاث فرصة هامة لطرح وجهة النظر السورية، وكسب دعم وتأييد الدول المشاركة في هذه المناسبات.

في مؤتمر ويرا، خارجية إعلان دمشق، الذي عقد في اللاذقية، في الوقت الذي كانت لسس البركة الاسرائيلية تقود بعمليات عسكرية م.م. شواض المدينة، كان لوقف السوري الذي ورد على لسان وزير الخارجية في حفل الافتتاح، معبرا جدا ولا يخلو من الصراحة، حيث أشار إلى تحديات ثلاثة أساسية تواجه العرب هي: التحالف التركي- الاسرائيلي، الذي لم يترك محالا للتأويل باعتباره موجها «ضد سورية والعراق وإيران خاصة. وهذا المنطق برهنتها مستقبلا، مدعوما من الولايات المتحدة التي- مشاركا فيه لافاقا- والتحدى الثاني، هو تهرب بعض العرب من الالتزام بمقراراتهم وخاصة قرارات القمة العربية المتعلقة بالموقف من إسرائيل، والعمل على إحياء التضامن العربي ولو بحده الأدنى. وتلك المتعلقة بعملية السلام والتفويض الذي أخذ يتسرع بين إسرائيل وبعض

الدول العربية، بشكل مباشر أو غير مباشر، أما التحدي الأهم فهو أن عملية السلام (تفرق) حسب قول وزير الخارجية السورية، وإسرائيل تتراجع عن التزاماتها، وتحال على مقررات مدريد وتبحث عن أبواب غير شرعية لتدخل منها، ولا نجد الصدد الكافي ولو بحدده الأدنى.

يبدو أن المؤتمر شهد خلافات شديدة بين المشاركين، وخاصة مع وزير الدولة للشئون الخارجية القطري (المتنح) وزير دولته على عقد مؤتمر الدوحة الاقتصادي، ومع وزير خارجية الامارات الذي طالب بموقف شديد اللهجة من إيران رغم التصريحات الجديدة من الإدارة الإيرانية الجديدة، وبين عديد من الوزراء خاصة عندما بحثت مسألة الأمن العربي الذي رأى الخليجيون إعطاهم حق استدعاء قوات أجنبية لحفظ (اسمهم).

من الواضح أن مهمة الموقف المصري في المؤتمر كانت (إطفاء النار) والبحث عن تسوية للخلافات، ولذلك لم توضع مصر موقفها فيما إذا كانت متعصبة ومؤتمر قطر أم لا، لأن الوقت مكر على القرار حسب تصريحات السيد عمرو موسى، الذي شرح موقف مصر واستمرار بذل جهدها في إطار عملية السلام، وقدم ورقة حول إقامة السوق العربية المشتركة.

في ضوء هذا الحوار السابح وحرصا على (فتح) الاجتماع أعمل البهتان المختصين الإشارة إلى مؤتمر قطر وإلى قضية الأمن العربي، إلا أنه أرى سورية بتسجيله دعما «قويا» لها ولوقفها، ومضالته بعلاقات جديدة مع إيران أسسها المبادئ وخاصة بعد مجي الإدارة الإيرانية الجديدة، وشجب التحالف التركي الاسرائيلي. إطلاق الإمارات بقرارات متطولة حول حقوقها في الجزر والتضامن معها دون مواقف متشنجة تجاه إيران، كما أرى الكويت بمطالته العراق بالمطالب الكويتية التقليدية (إطلاق الأسرى إعادة الممتلكات، تطبيق قرارات مجلس الأمن). مع حرصه على وحدة أراضي العراق وسيادته عليها، وأرضي المصريين والسوريين بقبوله بمبدأ العمل لتقيام سوق عربية مشتركة. يبدأ الخبراء البحث فيها في الرياض بعد أسابيع وفي القاهرة في الحريف القليل دون تحديد مدة لقيامها. ولا يعلم إلا الله متى تنتهي تلك الاتفاقية عليها وعلى قيامها كلها، إلا أنه «وريشما» بنه دلك يمكن توجيه الاستثمارات لتعمل بين البلدان العربية، وتخريج حركة رؤوس الأموال، والتوصل إلى منطقة حرة عربية، دون انتظار الاستكمال النهائي لها كالمال السوري. كانت الفرصة الثانية للسياسة السورية كانت

في زيارة الأمير عبد الله الذي قبل بحتاوة بالغة تجاوزت التقاليد البروتوكولية، وعقد عدة اجتماعات مع الرئيس الأسد، ثنائية وجماعية، وأعطى تصريحات مؤيدة للموقف السوري بدون تحفظ، وأعلن خلال زيارته عدم مشاركة السعودية في مؤتمر قطر وكان هنا نصرا كبيرا للسياسة السورية، كما أعلن ضرورة دعم سورية في مختلف المجالات إيجابا، التضامن العربي.

ولا شك أن زيارة الأمير عبد الله كانت دعما «كبيراً» لسورية، ومساهمة في فك (عزولتها)، وزيادة آمالها وتفاؤلها بالامكانيات العربية ويجدري التضامن العربي. وقد سرت إشاعات تفيد أن الأمير عبد الله حاول استكشاف حقيقة ما يمكن أن تقبله سورية وما يمكن أن ترفضه بهدف قيام السعودية بدور ما مع الولايات المتحدة، (أو بالضبط) عليها لتكون مقترحاتها المقبلة معقولة نسبيا، ومقبولة، وفتنى الأمير عبد الله، كما تقول الإشاعات، ومن خلال حرصه على سورية، أن تأخذ بعين الاعتبار ظروف الواقع الدولي، والاقليمي، عند تحديد مواقفها واتخاذ قراراتها. إلا أنه أضح أن السعودية ستكون مع سورية دائما سواء اتفقت أراؤها مع آراء سورية أم اختلفت معها

والفرصة الثالثة، كانت زيارة السيد حسن حبيبي نائب رئيس جمهورية إيران، ولعلها من أنجح الزيارات وكافحتها جدوى، ليس فقط في مجال الاتفاق على المواقف السياسية التي كادت أن تكون متطابقة فيما يتعلق بالموقف من الصراع العربي الإسرائيلي، إنما في التعاون الثنائي والاتفاقيات الاقتصادية التي تم توقيعها بين البلدين، والتي شملت مختلف جوانب التعاون الاقتصادي (تبادل تجاري، نفط، سياحة، استثمارات إيرانية في سورية، معدل تجميع سيارات.. الخ).

ورشح أنه تم بحث إمكانية تنسيق سياسي بين البلدين، سواء في مواجهة التحالف التركي الإسرائيلي، أم في مواجهة العدوان الإسرائيلي على لبنان، فضلا عن موقف إسرائيل من عملية السلام، ومن الاستيطان والقدس وغيرها. ويبدو أن السياسة السورية تحاول التنسيق مع إيران، دون أن تشير أي شبهة بقيام محور جديد سوري إيراني عراقي كما أفصح هنا وهناك، لأن الأمر في هذه الحال، ربما يشير قلي بعض الدول العربية، وزيادة عداة الولايات المتحدة ودول أخرى.

## الأردن



د. سمير حمارنه



عبد المجيد زينات  
مراقب حركة الإخوان



عبد السلام الجاللي  
رئيس الوزراء

## مناورة حوار.. أم أزمة؟

# قرار الإخوان المسلمين مقاطعة الانتخابات

الأمين العام للجبهة الدكتور اسحق الفرخان ، غير أن هناك عدداً من المستقلين الاسلاميين في صفوف الجبهة تقدر قيادة الجبهة نسبتهم بنحو ٣٠ في المئة، غير أن المصادر المستقلة ترى أن هذه النسبة مبالغ فيها وأن نسبة المستقلين لا تزيد على ١٠ في المئة في أفضل الأحوال.

ومن اللافت للنظر أن قرار الإخوان بالمقاطعة جاء بعد أن كانت جبهة العمل الاسلامي، مثلها في ذلك مثل باقي أحزاب المعارضة ، قد اختارت مرشحيها إلى الانتخابات المقبلة ،وهي عملية تمت بعد مخاض عسير ولى جو من الخلافات داخل صفوف الجبهة انعكس على الإخوان، خاصة وأن عدداً من قادة الجبهة لم يطالب بمقاطعة الانتخابات فحسب، بل مرهما.

ولكن ما الذي دعا الإخوان المسلمين إلى اتخاذ قرارهم هذا، خاصة وأنهم دأبوا طوال حياتهم السياسية التي امتدت أكثر من ٥٠ عاماً في الأردن، على المشاركة في الانتخابات النيابية،

في الوقت الذي كانت فيه الأحزاب الاردنية منهكة في الإعداد للانتخابات المقبلة، والتي ستجرى في شهر نوفمبر المقبل. أصدر الإخوان المسلمون في الأردن بياناً كان له وقع القنبلة ، ليس على احزاب المعارضة التي كانت تنسق عملية دخولها الانتخابات بحيث تفوز بأكبر عدد ممكن من مقاعد البرلمان المقبل، بل وعلى أحزاب السلطة، والتي كانت اتحدت في حزب واحد هو الحزب الوطني الدستوري، ولم يكن تأثيره على الحكومة أقل بكثير.

## رسالة عمان

### صلاح يوسف

السياسي للجماعة التي أرادت أن تحافظ على وضعها كجماعة دينية وليس حزبا سياسياً ، أي أن «الجبهة» ليست ملزمة به وأن عليها أن تقرر بنفسها ما إذا كانت ستشارك في الانتخابات أم لا، فمن المعروف أن قواعد الجبهة وقواعد الإخوان مشتركة تماماً، وأن المكتب التنفيذي للإخوان يضم عدداً من أعضاء المكتب السياسي للجبهة بمن في ذلك

حمل بيان الإخوان المسلمين المشار إليه قراراً للجماعة بمقاطعة الانتخابات النيابية المقبلة، وهو ما أحدث ارتباكاً واضحاً في صفوف أحزاب المعارضة القومية منها واليسارية، بل وحتى حزب جبهة العمل الاسلامي الذي خرج من رحم الجماعة في العام ١٩٩٢ كما أنه خلط أوراق اللعبة السياسية والانتخابية في صورة يصعب ترتيبها بسهولة.

وقد ولوحظ أن قرار مقاطعة الانتخابات ، والذي اتخذ بأغلبية ضئيلة داخل المكتب التنفيذي لجماعة الإخوان المسلمين، قد تم في إطار الجماعة وليس في إطار جبهة العمل الاسلامي ،والتي تأسست في العام ١٩٩٢ لتكون النزع

حتى تلك التي جرت في ظل الأحكام العرفية، وفي ظل منع الأحزاب بعد حلها في العام ١٩٥٧.

**بيان شامل**  
لايضاح ذلك أصدرت الجماعة بياناً شاملاً قالت فيه: إن الفترة بين العام ١٩٨٩ و١٩٩٢ شهدت «نهوضاً ديمقراطياً» تخلى في إصدار جملة من القوانين التي تؤسس لحياة سياسية أكثر تقدماً واعدت من بين هذه القوانين قانون الأحزاب وقانون المطبوعات والنشر للعام ١٩٩٢، والفا، قانون الاحكام العرفية وغيرها غير أن الفترة من ١٩٩٢ وحتى العام الجاري شهدت، كما يقول البيان «تراجعا كبيرا وتدعورا خطيرا في مختلف المجالات» ومنها مجال العمل النهائي الذي صدر قانون الصوت الواحد لبعضف من محتوا، والتدخل الحكومي في الانتخابات التي جرت في العام ١٩٩٣ «صد مرشحي الحركة الاسلامية خاصة» وأصاب إن الحكومة عملت من خلال الرئاس الذي أتى به قانون الصوت الواحد، على حصر جهود النواب في العمل الخدمي، وعلى الحزول دون صدور عدد من القوانين منها قانون نقابة المعلمين، وقانون اتحاد الطلبة، وتعديل القوانين التي «تسهل للعدو الصهيوني الدخول للوطن» و«الفا» قانون حظر بيع العقارات للعدو اليهودي» وغير ذلك من القوانين التي اعتبرت مضرة بالاقتصاد الوطني، وخصت بالذكر قانون المطبوعات والنشر الذي شكل «مع قانون الصوت الواحد تقريبا ركنتين أساسيين من أركان الديمقراطية».

وأفاض البيان في الحديث عن المجالات الأخرى التي شهدت تراجعا مثل مجال الحريات العامة والديمقراطية والأحزاب حيث حدثت اعتقالات في صفوف المتعاطفين مع حركة حماس، والتدخل الأمني والنقل التصفني للموظفين وفي المجال السياسي تحدث البيان عن اتفاقية وادي عربة وملحقاتها التي تشكل أحد الاخطار على الأردن الدولة والجمتمع وجوداً وبقا». وفي المجال الاقتصادي تحدثت النسان عن ترسيخ ثقافة المواطن بخدمية في مجال السلام في المجال الاقتصادي وفي مجال القضاء حيث لم تفلت السلطة القضائية من تقول السلطة التنفيذية» وأخيرا في المجال الثقافي والاعلامي حيث رأى البيان أن «الهبوط ما زال مستمرا في البرامج

الاعلامية وخاصة التلفزيون» وربط ذلك بتوقيع اتفاقية وادي عربة، وانتقد البيان «صياغة المناهج التعليمية بما يتفق وعمليات التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني».

وختم البيان إلى أن قرار المقاطعة جاء «خطوة ضرورية لترسيخ الديمقراطية وحماية الوطن» مؤكدا أنه- أي القرار- ليس انعزالا سياسيا ولا تخليا عن العمل العام ولكنه مراجعة للعملية السياسية في بلدنا.

وختمت الجبهة ببيانها بقولها إنها ترى أن التدخل لتصويب الأوضاع يبدأ عبر جملة من الاجراءات من بينها إلغاء قانون الصوت الواحد والفا، قانون المطبوعات والنشر «ووقف التطبيع مع العدو الصهيوني» واجراء اصلاحات دستورية.

ويلاحظ فقد كان للبيان دوى أضيف إلى دوى القرار فالأخوان يعني الجبهة، هذا بدوره يعني أن أكبر قوة سياسية معارضة ستقاطع الانتخابات وهو ما يعني تفجيها كهيما في الحارطة الانتخابية.

وكان أول رد فعل على البيان من جبهة العمل الاسلامي نفسها، حيث أعرب أكثر من عضو قيادي فيها أنه لم يكن مؤيدا لقرار المقاطعة لكنه، سيلتزم به لانه اتخذ بالأغلبية، وقد جاءت هذه التصريحات على لسان حمزة منصور، وهو الناطق الرسمي باسم الجبهة والدكتور اسحق الفرحان الأمين العام لها، والدكتور محمد عويضة أمين سرها وعدد آخر من قادة الجبهة المرشحين بملقائنتهم ويبلغهم إلى المشاركة ليس في الانتخابات فقط، بل وفي الحكومة إذا ما عرض عليهم ذلك.

وتراجعت ردود أفعال الأحزاب المعارضة الأخرى فركز حزب الشعب الأردني (حشد) على أن البيان ينطلق من أرضية صحيحة تقوم على خيبة الأمل والتراجع عن الخطوات الديمقراطية، ووجه الحزب الديمقراطي الوجودي نداء إلى رئيس الوزراء عبد السلام المجالي للالتقاء مع الأحزاب السياسية لبحث سبل استعادة الثقة وخلق مناخ ايجابي ملائم على أبواب الانتخابات النيابية.

وفي الوقت الذي أعلنت فيه الأحزاب أنها ستدرس مواقفها في ضوء قرار الإخوان، قال حزب البعث التقدمي القريب من

سوريا انه يأسف لهذا القرار وأنه سوف يشارك في الانتخابات. كما أعلن الحزب الشيوعي، على لسان عضو مكتبه السياسي الدكتور منير حمارة أن قرار الاخوان سليم جدا، وأن هناك قضايا صيرية يواجهها الاردن منها الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتأزم والذي يزداد تفاقما، كما أن الوضع السياسي، وخصوصا ما يتعلق منه بالحرريات العامة والاحتمالات المترتبة على النهج الاسرائيلي إزاء الاردن والمنطقة مشيرا إلى أن ذلك كله إغناء لمطلب الاستفادة من كل الثمار لمواجهة التحديات». ومضى الدكتور حمارة خطوة أبعد بقوله في تصريح صحفي: إن قرار الاخوان جاء بسبب التناقضات داخل الجماعة وليس بسبب الأوضاع التي تستدعي المقاطعة. وأضاف إن الحوارات داخل الجماعة انعكاس لتعدد التيارات إزاء مواقف معادية تظهر في الحركة الاسلامية في أكثر من بلد ما يدل على أن الحركة الاسلامية في متفرق طرق. وهو ما يعني أن قرار المقاطعة ليس متاورا بل قضية حوار واسع داخل الحركة الاسلامية.

أما الحكومة فأعلنت موقفها في بيان صادر عن ناطق رسي جاء فيه أن الحكومة ملتزمة باجراء الانتخابات الحرة النزيهة في موعدها الدستوري وأن التزامها هذا ينبع من الجبار الطوعي الذي لا تراجع عنه، وبعد أن ردت على عدد من النقاط الواردة في بيان الجماعة قال الناطق الرسمي «إن الحكومة» ورغم انها درست البيان بقلب مفتوح، إلا أنها غير قادرة على الاقتناع بما ورد فيه من مبررات، وتعتقد أن ذلك البيان يورده أزمة داخلية في تلك الحركة».

## أزمة الاخوان

والحديث عن أزمة داخلية في الحركة ليس بعيدا عن الحقيقة، وهو في الأردن يتخذ وضعا خاصا به ينطلق في صورة رئيسية من ثنائية جماعة الاخوان المسلمين/ جبهة العمل الاسلامي. فجيبة العمل الاسلامي انبثقت من داخل الاخوان المسلمين لتكون الحزب السياسي الذي يعض الاسلاميين جميعا سواء كانوا أعضاء في صفوف الجماعة أم مستقلين، غير أن حدود ارتباطها بالجبهة بالجماعة بقيت على الدوام غير واضحة. وقد ظهرت هذه المشكلة في المؤتمر التأسيسي للجبهة حين انسحب عدد

ذكرنا.

## الاخوان.. والجهية

ولاحظ قيادي سابق في جبهة العمل الاسلامي إن قرار الاخوان أتخذ بأغلبية ضئيلة مشيراً إلى أن مثل هذه الأغلبية غير متوفرة في قيادة الجبهة وذلك في تلميح إلى أن الأمر لو ترك للجبهة فإن هذا القرار لم يكن ليحصل على الأغلبية.

وتسالم كاتب اسلامي عن موقف المستقلين من أعضاء جبهة العمل الاسلامي ومدى الزام قرار الاخوان لهم طالما أنهم ليسوا أعضاء في الجماعة.

لقد جاء قرار الاخوان كما قلنا أشبه بقتيلة حاول كل من الأحزاب والحكومة التعامل معها بطريقة الخاصة، وما زالت بعض الأحزاب تناقش مراقبتها في ضوء هذا القرار القليلة في الوقت الذي أكدت فيه الحكومة أن الانتخابات ستجري في موعدها المحدد وأنها لن تعجز أحدًا على خوضها.

لقد وضع الاخوان شروطاً للعودة عن قرارهم لكنها شروط مستحيلة التحقيق مما يعني أن الارتباك الذي أحدثه قرارهم سيبقى طويلاً. وحتى يأتي موعد الانتخابات في شهر نوفمبر القبل ستبقى كل الاحتمالات مطروحة.

هذا الاطار اختارت الجبهة مرشحها للانتخابات.

غير أن عملية الاختيار هذه لم ترمسلاًة بل تجرت في إطارها الخلافات بين من يرغبون في ترشيح أنفسهم، وهو خلاف اشتد مما جعل عدداً كبيراً من مرشحي الجبهة الذين فشلوا في الوصول إلى قوائم الانتخابات يتحالفون مع عدد من قيادة الجبهة الذين يبلرون إلى مقاطعة الانتخابات.

وفي لحظة من اشتداد الخلاف بين مؤيدي المشاركة في الانتخابات والرافضين لها حدد الأمين العام للجبهة الدكتور اسحق فرحان بالاستقالة، بل أن الصحف نقلت خبر الاستقالة، لكن الدكتور فرحان عاد فعدل عنها، وذلك في جو كانت فيه الأغلبية في الهيئات القيادية للجبهة مع المشاركة، لكن الرافضين كانوا أعلى صوتاً.

في هذه الاجراء المحمومة داخل الجبهة جاء قرار الاخوان المسلمين بمقاطعة الانتخابات، وهو ما قسره بعض المراقبين على أنه تدخل من جانب الاخوان لإعادة جبهة العمل الاسلامي إلى بيت الطاعة ووضع حد لاستقلاليته، خاصة وأن الأغلبية في الهيئات القيادية للأخوان تميل إلى المقاطعة، وذلك بعكس الجبهة، علماً بأن القيادة العليا للأخوان تضم عدداً من قياديي الجبهة كما

كبير من الاسلاميين المستقلين من صفوف الجبهة بسبب «هيمنة» الاخوان المسلمين على قرارها» كما أعلن في حينه.

وإن كان الحوار داخل الحركة الاسلامية في الاردن حزياً من الحوار الذي تشهده الحركات الاسلامية في البلدان الأخرى كما يقول الدكتور مشير حمامته، فإن الحوار داخل الحركة في الاردن بات إلى حد كبير محكوماً بشناتية الجماعة الجبهة منذ تأسيس الجبهة في العام ١٩٩٢، فقد تشكلت منذ ذلك الحين قيادتان، واحدة للأخوان والأخرى للجبهة. وفي الوقت الذي كانت فيه قيادة الجبهة تقضي نحو استقلالية في اتخاذ قرارها السياسي كانت قيادة الاخوان تحاول الهد من هذه الاستقلالية وفرض نفسها كمرجعية لقيادة الجبهة. وفي الوقت الذي علب الطابع السياسي البراغماتي قرارات الجبهة وممارستها السياسية ركز الاخوان على الجانب الأيديولوجي.

ونتيجة للممارسة السياسية ذات الاستقلال النسبي والاحتكاك بالأحزاب المعارضة كان الطابع البراغماتي يزداد لدى الجبهة، وس هذا المنطلق لم يكن غريباً أن تقضي الجبهة قدماً نحو المشاركة في الانتخابات بوصفها عملية سياسية يجب على الجبهة خوض غمارها. وفي



بخطى أسرع من

توسعه

شرقاً

حلف الاطلنطي يتوسع جنوباً

○ ○ ماذا بهما من امر  
توسع حلف الاطلنطي  
شرقاً؟ أليس هذا شأن  
أوروبا بهما؟ ألا يرمى إلى تثبيت  
الأوضاع التي نشأت عن انهيار النظام  
السياسي ومعه حلف وارسو ونهاية  
الحرب الباردة بصورتها القديمة التي  
استمرت من نهاية الحرب العالمية الثانية  
حتى أواخر الثمانينات؟

ماذا بهما من ضم بولندا والمجر  
والجمهورية التشيكية في المرحلة  
الأولى من توسع حلف  
الاطلنطي (الناتو) وبعد ذلك من  
احتمالات ضم رومانيا وبulgaria  
ودول البلطيق أو غيرها؟ أليس  
هذا كله بعيداً عن حدود المنطقة العربية  
الجغرافية والسياسية  
والجغرافية والسياسية؟ أليس هذا كله  
من شئون العلاقات الاستراتيجية  
والسياسية وربما الاقتصادية بين أوروبا  
وأمریکا؟

○ ○

سمير كرم



تونس عرضت نفسها

لتكون قاعدة الناتو جنوب

البحر المتوسط.. والأردن يتطلع لدور بؤرة التوسع في الشرق

تحالف تركيا وإسرائيل أول حصور عبور الناتو إلى الشرق الأوسط

هذه كلها- وغيرها- أسئلة تثار من يراقب التطورات التي تدور كلها في إطار الخطة التي أطلق عليها الأمريكيون منذ البداية عنوانها «توسع الناتو شرقا» . وهي أسئلة مشروعة... لكن في حدود كونها أسئلة منطقية مجردة ، وفي حدود كونها تتعامل مع الواقع والتطورات الحاضرة فيه وكأن «حلف الناتو» قد قبع داخل حدود أوروبا الغربية في المرحلة السابقة. وأنه ربما يخطر فوق حدود أوروبا الغربية الآن إلى أوروبا الوسطى والشرقية... لكن دون أن يخرج من القارة الأوروبية أي اتجاه.

وتاريخ هذا الحلف- الذي لم تتزحزح الولايات المتحدة أبدا عن مركز القيادة وصنع القرار فيه- يؤكد منذ نشأته عكس ذلك. فقد كانت أوضاع الحرب الباردة قد دفعت الحلف والولايات المتحدة إلى توسيع مظلته الاستراتيجية لتغطي منطقة البحر الأبيض المتوسط بما فيها جنوبها (الذي تطل عليه مصر وليبيا وتونس والجزائر والغرب) بما فيها شرقها (الذي تطل عليه سوريا ولبنان وفلسطين)... كما كانت قد أعطت للحلف والولايات المتحدة مبررا لنشر مظلته العسكرية حورا حتى تغطي منطقة الخليج. ثم هذا في ظل وجود المنافسة والمناخنة من جانب دولة أعظم وقوة استراتيجية معاكسة وحلف مضاد. ولا يمكن تصور احسان المظلة الاستراتيجية والعسكرية للحلف والولايات المتحدة في المرحلة الراهنة بعد زوال العدو الرئيسي ووقوعه تحت سلطة جعلت مهمتها الرئيسية محو التناقض مع هذا الحلف واسترضاء قيادته الأمريكية.

لكن هذا بدوره كلام مجرد. منطقي نعم. لكنه لا يحل ردودا تفصيلية على ثلث التساؤلات من واقع ما يجري الآن.

عندما قام جينادي زيجانوف زعيم الحزب الشيوعي الروسي في زيارة لواشنطن قبل عدة أشهر تحدث في محافل كثيرة ظهر أمامها عن مدى معارضة الروس- شيوعيين وغير شيوعيين ، اصلاحيين ومتشددين، مؤيدين ليلتسين ومعارضين- خطة توسيع حلف «الناتو» ليشمل عددا من الدول التي تعتبرها روسيا قربة إلى حد الخطر على أمنها. وكان ممن تصدى للرد عليه السيناتور الديمقراطي الأمريكي جوزيف

ليبرمان (وهو يهودي من أبرز مؤيدي إسرائيل وأكثرهم حماسا للدفاع عنها بنسابة وغير منسابة). قال ليبرمان بالحرف الواحد: «إنني أستطيع شخصيا أن أضمن لك أن توسيع حلف الناتو لا يقصد به أبدا فرض أي تهديد على روسيا، ولن يكون هذا هو القصد بأي حال».

وطبيعة الحال فإن سياسيا أمريكيا ذا نزعة صهيونية لا يستطيع أن يفتح زعيم حزب شيوعي- خاصة إذا كان زعيم الحزب الشيوعي الروسي- نبيل أهداف الخطة الأمريكية ، لتوسع «الناتو» بمجرد النطق بعبارة أشبه ما تكون بتقديم قسم أو تعهد بأن زحف قوات «الناتو» والقوات والقوات الأمريكية إلى قرب حدود روسيا أكثر من أي وقت مضى لا يرمى إلا إلى مديد الصداقة إلى الروس.

فالقناعة السائدة لدى المفكرين الاستراتيجيين الروس- وتزيد بها مؤشرات كثيرة في العالم الغربي نفسه- هي أن توسيع «الناتو» شرقا يهدف إلى محاصرة إقليمين يقعان على أطول خطوط الحدود الروسية: آسيا الوسطى والشرق الأوسط. وهؤلاء يعرفون منذ بدايات العام الحالي، ومنذ أن أصبحت الدعوة إلى توسيع حلف «الناتو» شرقا حملة سريعة في أرجاء العالم أن أول منادون مشتركة بين قوات حلف «الناتو» وقوات ثلاث من بلدان آسيا الوسطى (السوفياتية سابقا) هي كازاخستان وأوزبكستان وقرغيزيا .

يشجرو في شهر سبتمبر القادم. وسبيل تلك المبادرات مباشرة تنفيذ اتفاق بين أذربيجان والأمن العام لحلف الاطلسنطي خافير سولانا بمراقبة قوات أطلنطية في المنطقة خراسة حقول البترول في بحر قزوين وخطوط الأنابيب التي تستخدم منها إلى الغرب.

لكن ما بدا أنه توسع عسكري للناتو -دون مؤثرات أو خطط معلنة ومناقشات برلمانية وصحفية-لدارك الاستراتيجيين الروس وغيرهم. لم يفرق مدارك الاستراتيجيين والساسة في المنطقة العربية حتى حينما مهدت أميركا خطة التوسع الاطلسنطي شرقا بإقامة تحالف استراتيجي ثنائي بين تركيا وإسرائيل، وحتى حينما كانت أولى خطوات تركيا بعد قيام هذا التحالف الأول من نوعه بين إسرائيل ودولة إسلامية هو اقتحام القوات التركية مناطق شمال العراق بأعداد ضخمة في حملة ضد الأكراد.

لقد برهنت الأحداث التالية لقيام التحالف الاستراتيجي الثنائي بين أميركا وإسرائيل على أن ارتباط ارتباطا وثيقا بغطة توسع «الناتو» وأنه اتاح- أول ما اتاح- وجود أجهزة تجسس للاطلسنطي وإسرائيل أقامت القوات التركية في شمال العراق، وأقامتها القوات الأمريكية المراقبة في السعودية. ولم يكن من قبيل الصدفة أن تبذل واشنطن أقصى جهودها منذ ربع قرن لتهدئة التوتر بين تركيا واليونان (عضوي حلف «الناتو» الذين يرتبطان بعلاقات عداوة تاريخية عميقة الجذور) . فلأول مرة منذ تفجر المشكلة «التركية -اليونانية» التي نشأت عن غزو القوات التركية لقرص وتقسيمها بين منطقتين تركية ويونانية في عام ١٩٧٤ اهتمت الولايات المتحدة بأن تفرض على الدولتين التمهيد بتجديد الصراع بينهما. ليس فقط بالنسبة لقرص. إنما أيضا بالنسبة لنزاع المياه الاقليمية بينهما في بحر إيجه.

لم يكن هذا نشاطا أميركيا واضحا. أوسع منه كان وقوف واشنطن إلى جانب المؤسسة العسكرية التركية-والتي قام على قاعدتها وقيادتها التحالف التركي الاسرائيلي-ضد الحكومة التركية المنتخبة. حكومة حزب الرفاه الاسلامي بزعامة نجم الدين أربكان. وعلى الرغم من أن أربكان وحزبه لم يقاموا التحالف العسكري الذي ارادته أميركا بين تركيا وإسرائيل، إلا أن واشنطن لم تكن مطمئنة اطمئنانا كاملا إلى «نوايا» الرفاه» وأربكان» والتيار الاسلامي بالنسبة لمستقبل العلاقات مع إسرائيل.

وهكذا تم الانقلاب السلمي في تركيا لمصلحة التحالف العسكري التركي الاسرائيلي.. ولمصلحة تأمين امتداد استراتيجي «الناتو» في شرق البحر الأبيض المتوسط في خط مواز لامتدادها في وسط وشرق أوروبا.

وبنينا كانت الأضواء مسلطة تماما على قصة«دينغرف» في الولايات المتحدة (من ٢٠ إلى ٢٢ يونيو الماضي) لجموعة الدول السبع الغنية وروسيا.. وقبل نحو ٢٠ شهرا يومها فقط من قصة مدريد التي خصصت لاتخاذ القرار النهائية لتوسيع «الناتو» عقد في أثينا يوم ١٨ و١٩ يونيو-مؤتمر دولي بشأن «أمن البحر



أركان



حسن بن صلال



بن لادن

**خطط الاستراتيجية الأمريكية الواسعة ، أو محدودة بهذه القيادة بعيدا عن صانعي القرار في واشنطن.**

كذلك فإن الزيارة التي قام بها وزير الدفاع الأمريكي ولهام كوهين لبلدان منطقة الخليج في شهر يونيو الماضي (قبل مؤتمر أقيمت وقمة مدريد) لم تكن منطقة الصلة بالظواهر المتعلقة بخطط توسيع حلف «الناتو» . بل إن مصادر «النتاجون» (وزارة الدفاع الأمريكية) لم تنكر ذلك . فقد كان بين أهم الموضوعات في محادثات كوهين مع زعماء منطقة الخليج دعم التعاون بين دولهم وحلف الاطنتلي في المرحلة الجديدة من توسعهم .

وقد مهدت لمحادثات وزير الدفاع الأمريكي مع دول الخليج شهر من المحادثات على مستوى الخبراء والقادة العسكريين ولم يكن من قبيل الصدفة أن جاءت زيارة كوهين لمنطقة الخليج في الجولة ذاتها التي زار خلالها عددا من الدول الأوروبية.

وتراقت المعلومات عن بحث مسائل التعاون بين «الناتو» الموسع ودول الخليج

للصراع أخطر من أي مسرح آخر. إنه الميدان الأكثر احتمالا لعمليات عسكرية يخوضها الحلف خارج منطقته الأساسية». وللتدليل على هذا قال إن أزمة تتطلب استجابة من سفن الأسطول السادس تمجدت في المتوسط مرة كل خمسة أشهر. ولهذا أنشأت القيادة الجنوبية قوة بحرية دائمة لمنطقة البحر المتوسط، مؤلفة من مجموعات من السفن النشطة أمريكية وغير أمريكية تابعة لقيادة حلف الاطنتلي حاضرة على الدوائر للاستجابة للأزمات في المنطقة.

ويتحدث الأدميرال جوزيف لوهيوت قائد قوات حلف الناتو في منطقته الجنوبية- وهو أمريكي أيضا- عن الأزمات المحتملة في منطقة مسؤوليته العسكرية فيعطى أمثلة على البحر التالي على كثرة الأزمات المحتملة: انهيار اقتصادي في بلغاريا-فوضى شائعة في ألبانيا- مذابح واضطرابات أهلية أوسع نطاقا يقوم بها الاسلاميون في الجزائر-تمجد الصراع الدامي بين أذربيجان وأرمينيا -انهيار كامل لعملية السلام في الشرق الأوسط- تمجد التوازن بين الخليفتين في الناتو تركيا واليونان- تراكم أسلحة كبير لدى دول خارجة على القانون مثل سوريا وليبيا .

في شهر مايو الماضي أشارت نشرة «ناشيونال جورنال» الأمريكية -ذات التوزيع المحدود وفي مقابل اشتراكات باهظة- وهي بشرة متخصصة بسنن الدوائر الحاكمة الأمريكية. عن «مبادرة متوسطة» تعمل لتعزيزها القيادة الجنوبية للاطنتلي لتعزيز علاقاتها في المنطقة . وقالت عن هذه المبادرة أنها ترمي إلى تأمين توفير المال اللازم لتمويل عقود عسكرية مع بلدان مثل مصر والمغرب وتونس وموريتانيا. وتشمل هذه المبادرة تبادل المعلومات وإجراء المناورات المشتركة.

ويشار هنا بشكل خاص إلى اهتمام القيادة الأمريكية لجنوب البحر الأبيض المتوسط بالمناورات المشتركة مع بلدان كانت تتسرع في الماضي بأسلحة سوفياتية الصنع، باعتبار أن ذلك يهدد لمناورات ستجري بالصورة مع بلدان أوروبا الشرقية التي ستضم إلى حلف الاطنتلي (...).

**وبطبيعة الحال فإنه لا يمكن تصور مبادرة كهذه من القيادة الجنوبية في «الناتو» منفصلة عن**

**الأبيض المتوسط وتوسيع الناتو.** وانقضى هذا المؤتمر فيما يشبه السرية. مع أن عقده في هذا الموعد، دون انتظار لنتائج وقرارات قمة مدريد كان أمرا بالغ الدلالة على علاقة حطة التوسع شرقا وخطة احاطة «الناتو» ببحر المتوسط التي اوتكرزت أول ما اوتكرزت على التحالف الثنائي الاستراتيجي بين تركيا وإسرائيل. لم يكن «الناتو» يتحرك شرقا فحسب. إنما كان يتحرك في الوقت نفسه جنوبا.

بل الواقع إن التحرك -أو التوسع- شرقا كان ولا يزال خططا مبدئية على الورق. مرهونة بمناشآت واستطلاعات وحسابات للنفقات خاصة من جانب الكونجرس الأمريكي- والمعارضون فيه لهذا التوسع كثيرين في جو تسوده الكراهية لأية اضافات للأعباء المالية على الولايات المتحدة. أما التحرك- أو التوسع أيضا- جنوبا من جانب حلف «الناتو» بخطط أمريكية وأهداف أمريكية بالدرجة الأولى فإنه يتخذ صورا ملموسة تعكسها تحركات القوات وتعكسها المناورات التدريبية والاستعدادات وعمليات تحديث الخطط العسكرية .. الخ.

وعلى سبيل المثال فإن الأسطول السادس الأمريكي- في البحر الأبيض المتوسط- قد أجرى خلال عام ١٩٩٦ وحده ٦٨ من المناورات العسكرية الرئيسية وأكثر من ٤٠٠ زيارة للموانئ و ٢٥٠ زيارة متعاقبة مع القيادات العسكرية لدول المنطقة (منطقة «الجناب الجنوبي» مع حلف «الناتو» التي أصبحت لا تقتصر على بلدان السواحل الجنوبية للبحر المتوسط إنما تمتد إلى تشاد وحتى إلى زائير في أفريقيا، وقد على الجانب الآخر إلى الخليج، إلى السعودية والبحرين والكويت وقطر وعمان).

ودلال الأشهر القليلة الماضية أجرت قيادة الأسطول السادس الأمريكي- التي يوجد مقرها الرئيسي في مدينة تاهولي الاطالية- أكبر حركة تمجيد في منشآتها ومبانيها- بما في ذلك منشآت ومباني «القيادة الجنوبية للحلف» التي تعرف باسم Afsouth- استعدادا للانتقال إلى قيادة جديدة قبل حلول عام ٢٠٠٠.

وقد صرح نائب رئيس أركان القادة الجنوبية لشئون الحفظ والسياسات والمستلزمات أو جوستوس كلارك بأن الجناح الجنوبي لحلف الناتو بشكل سرعا





كلينتون

## \* الأسطول السادس في البحر المتوسط نفذ ٦٨

### مناورة رئيسية وأكثر من ٤٠٠ زيارة موانئ وقيادة الاطلنطي الجنوبية بدأت تحديث منشآتها العسكرية.

مع «أصدقائنا الفعليين والمحتملين» في المنطقة.

وقد تكشف هذه المعلومات عن اقتراح بن يحيى التوتسي بشأن دور لبلاده في «الثاتو» في مرحلته الجديدة أن توتس لا تعرف أن أمريكا بصدد تنفيذ مشروع متكامل بشأن الحلف، وأنها لا تغفل - كما يظن بن يحيى - عن منطقة الجناح الجنوبي للحلف في وقت يبدو فيه أن اهتمامها مركز على التوسع شرقا.

لكن الأمر المؤكد أن محادثات على مستوى الخبراء والقيادات العسكرية بين حلف «الثاتو» وعدد من بلدان الشرق الأوسط والمغرب تجري بلا انقطاع منذ أواخر العام الماضي، ولا ينتظر لها أن تتوقف في المستقبل المنظور، على الأقل قبل وضع الركائز بعلاقات تضمن لـ «الثاتو» في مرحلته التوسعية الجديدة التوسع في كافة الاتجاهات.

ولم تكن توتس وحدها الدولة المتوسطية الوحيدة المعنية بإيجاد دور لها مع «الثاتو».

لقد أكدت نشرة «ديجنيس نيوز» الأمريكية المتخصصة بالشؤون العسكرية أن جولة قام بها ولي عهد الأردن الأمير حسن في أوروبا - وهي جولة قام بعدها بزيارة لرواشطن - قد استهدفت بدء حملة أردنية لاقامة شبكة اقليمية من علاقات الثقة والأمن المتبادل مع حلف الناتو... وذلك من خلال اقامة روابط تفصيلية ذات طبيعة «عسكرية وسياسية» مع الحلف، بهدف خلق نظام رسمى لتفادي الأزمات في شمال أفريقيا والشرق الأوسط على مدى خطوط نظام الأمن والتعاون في أوروبا..

وصفت نشرة «ديجنيس نيوز»

جنوبيا في ذلك التورات الخاصة بين تركيا واليونان عضوى الحلف، ومشكلة الغرب في الصحراء الغربية، وخطر التجار الاسلامي المتطرف في الجزائر وما أسماه الوزير التونسي «المخطر الليبي على المصالح الغربية وموقف ليبيا المناهض لعملية السلام في الشرق الأوسط».

ورشح بن يحيى - وفقا لرواية زاكهايم الذي تربطه صداقة شخصية مع الوزير التونسي - حكومته للعب أكثر الادوار ايجابية في اطار توسيع اهتمامات، حلف «الثاتو» وفي اطار وضع عملية السلام. كما وصف توتس بأنها أخرى باهتمام الولايات المتحدة ومساعدتها من كثير من البلدان العربية التي تقعا بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية بينما لا تحصل توتس على ما يكفيها من المساعدات على رغم من اضطرابها لزيادة ميزانيتها العسكرية «لواجهة الأخطار عبر حدودها».

وأوضح وزير الدفاع التونسي لمجلس الأمن القومي الأمريكي ان من الخطأ أن تستمر الولايات المتحدة في النظر إلى توتس على أنها بلد «فرانكوفوني» (ناطق بالفرنسية ومعنى بالثقافة الفرنسية). فان المؤسسة العسكرية التونسية قد أقامت روابط وثيقة مع «الليتايجون» لأكثر من ١٥ عاما جرت خلالها اجتماعات وزيارات ومناورات مشتركة بصفة منتظمة وكانت مرضية دائما للجانبين.

ودعا بن يحيى الولايات المتحدة إلى تكوين رؤية محددة لخطوة جديدة لحلف «الثاتو» في منطقة البحر الأبيض المتوسط تركز على دور فعلى للحلف وتقدير متكامل وأكثر دقة لعلاقات أمريكا

ضمن محادثات وزير الدفاع الأمريكي في المنطقة في يونيو الماضي مع الكشف عن تقدم توتس بعرض محدد إلى الولايات المتحدة لكي تصبح قاعدة لحلف «الثاتو» في جناح الجنوبي، أو في جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

وقد أحاط جرو من السرية بزيارة قام بها وزير الدفاع التونسي حبيب بن يحيى للولايات المتحدة بالمحادثات التي أجراها في واشنطن مع كبار المسؤولين في إدارة الرئيس كلينتون، من فيهم وزير الدفاع كوهين ورئيس هيئة رئاسة الأركان الأمريكية جون شالهيكا شفيلى، إلا أنه بعد انتهاء الزيارة وانقضاء أسابيع قليلة على عودة بن يحيى إلى بلاده، كشف مصدر أمريكي رفيع الصلة بالوزير التونسي عن الهدف الحقيقي للزيارة، فقال أن بن يحيى جاء من أجل «تنبيه الإدارة الأمريكية إلى الأخطار التي تهدد مصالحها ومصالح الغرب في الجناح الجنوبي لحلف الأطلسي».

المصدر الذي كشف هذه الحقيقة هو دوف زاكهايم مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق والذي يرأس حاليا إحدى المؤسسات الاستشارية الدولية المعنية بالشؤون العسكرية ويحتفظ بعلاقات وثيقة للغاية من خلالها مع أكبر المسؤولين في «الليتايجون» وروكالات المخابرات الأمريكية. وهو في الوقت نفسه من أشد أنصار إسرائيل.

يؤكد زاكهايم أن بن يحيى نيه المسؤولين في مجلس الأمن القومي الأمريكي في اجتماعات معهم خلال زيارته في أواسط شهر مايو الماضي إلى أن الاهتمام بخطت توسيع «الثاتو» شرقا قد يؤدي إلى اغتيال المشكلات الأكثر تضررا التي تواجه الحلف

## « الخطوة القادمة

### مؤتمر موسع على غرار

«مدريد» تعلن فيه خطط

### الحلف بالنسبة للشرق

### الأوسط والخليج وآسيا

### الوسطى.



زهرجانبور

رئيس الحزب الشعبى الروسى

الأردن بأنه واحد من البلدان التى تلعب دورا قياديا فى وضع الدول العربية ذات الميول نحو الغرب إلى تطوير روابط أقوى مع كل من الاتحاد الأوروبى وحلف الأطلسى، كما أن عمان كانت لاهيا رئيسيا فى تطوير برنامج الشراكة المتوسطية الناشئ بين الناتو ومنطقة حوض البحر المتوسط. وأردت كان هذا البرنامج أحد البود التى تم الاتفاق عليها بعد ذلك فى قمة مدريد التى عقدت بومى ٨ و٩ يوليو الماضى بمدريد.

فى «فصلية البحر الأبيض المتوسط» (ميونخ) كوارترلى) التى تصدر عن مؤسسة للدراسات تعنى بمصداقية المنطقة فى واشنطن-وفى عدد حصص عن

«أمن البحر المتوسط على مفترق الطرق» صدر فى شهر يونيو الماضى، كتب خافير سولانا الأمين العام للحلف مقالاً عن «حلف الأطلسى والبحر المتوسط» قال فيه: «وتحت تقرب من القرن المقبل تبدو قدرة حلف الناتو على تحقيق الاستقرار لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط واسعة بلا نهاية. أن لدى حلف الأطلسى الكثير ليسم به فى بناء علاقات أمنية جديدة عبر المنطقة. لكن مثل هذه القدرة تتطلب أولا فهما أكمل لطريقة التحالف الشاملة فى تناول الأمن اليوم».

ولنلاحظ أن أمين عام الحلف لم يقل -فى الوقت نفسه وكما يتوقع المرء- أن الأمر يتطلب أيضا فهما من جانب الحلف لمشكلات وأوضاع منطقة البحر المتوسط. إن سولانا يعتبر هذا أمرا مسلما به، أو بالأحرى يعتبر أن الأمور ينبغي أن تؤخذ حسب فهم حلفه الناتو لها (...).

وفهم حلف «الناتو» -كما يشرحه سولانا نفسه فى هذا المقال- هو أن أمن البحر الأبيض المتوسط كان جزءا من المواجهة الشاملة بين الشرق والغرب فى حقبة الحرب الباردة.. أما الآن فقد أصبحت حقبة القضية الثانية (وجود دولتين أعظم فى حالة-

مواجهة عالمية) قد أصبحت خلف ظهورنا. مع ذلك فإن حرب الخليج والصراع فى يوغوسلافيا السابقة قد أظهرنا أن سلاما مستقرا ومستقرا فى أوروبا وحولها ينبغي أن يتحقق. لقد أضاف هذين الصراعين إلى الهواجز لدى حلف الناتو لتوسيع أفعه مستخدما «دينامياته» ومخدراته الخاصة من أجل حوار لم يطرّق كاملا بعد وتعاون جديد بشأن القضايا الأمنية. الحقيقة أن نهاية الصراع بين الشرق والغرب تسمح لنا بأن نتبنى منظورا أكثر تغاييرا وأكثر شموليا فيما يتعلق بأمن البحر المتوسط».

والواقع أن أمين عام حلف «الناتو» يكشف فى هذا المقال عن وجود خطط معدة بالتعاون بين الحلف والاتحاد الأوروبى لعقد «مؤتمر بشأن الأمن والتعاون فى البحر المتوسط والشرق الأوسط...». وأن الهدف منه سيكون «توجيه النظر الساسى للمنطقة برمتها- وليس فى الشرائط الشمالية للمتوسط فحسب- فى

اتجاه بناء، أى فى اتجاه يخدم مصالح «الناتو» بالدرجة الأولى. ويشير فى هذا الصدد إلى أنه يتعين على دول منطقة البحر المتوسط أن «تشيد أبنية أمنية جديدة من الصفر» حيث أن المنطقة فقيرة للغاية فى هذا الصغار، وذلك حتى يصبح بإمكان الحلف أن «يؤدى دوره فى تحقيق الاستقرار فى المنطقة».

ويحدد سولانا المجالات والمستويات التى سيسهم حلف «الناتو» من خلالها فى تحقيق هذا الهدف فى: الأمن الجماعى -إدارة الأزمات وحفظ السلام- الشراكة (أو المشاركة) من أجل السلام- حظر انتشار أسلحة الدمار الشامل فى منطقة البحر المتوسط (وعن تعرضه لهذه المنطقة فإن الأمين العام لحلف «الناتو» لا يذكر كلمة واحدة- عن الترسنة النووية الإسرائيلية). لكنه لا يفرط الفرصة دون أن يذكر أن وجهة نظره الشخصية تذهب إلى أنه بسبب الاختلافات بين تجارب أوروبا ومنطقة البحر المتوسط فإن تحقيق الأهداف الأطلسية فى هذه المنطقة سيستغرق وقتا أطول، هو الوقت اللازم لإيجاد حلول للمشكلات القائمة فى المنطقة (وهى إشارة أكيدة إلى مشكلة الشرق الأوسط).

ومصيح أنه لم تصدر أية إشارة مباشرة وواضحة بعد من حلف «الناتو» أو من الولايات المتحدة -صاحبة القرار الأعلى فيه- بأن الحلف يستعد للتوسع رسميا فى منطقة البحر المتوسط والخليج وجنوب ووسط آسيا.. لكن الدلائل متوفرة على أنه سيفعل. ويعلن الحلف ذاته أنه لن يتردد فى أن يشرح الدور الذى قام به فى حرب الخليج، ربما كما لم يشرحه من قبل، وسيكون معنى هذا أن الحلف توسع عمليا إلى هذا الحد قبل أن يطرح موضوع هذا التوسع بهذا الاتجاه رسميا أو نظريا. أى عكس ما جرى بالنسبة لأوروبا الوسطى والشرقية. وهو ما يقول القادة العسكريون الأمريكيون أن بضته على دور الأطلسى فى التوسع جنوبا قدرا أكبر من المصادقية والشرعية من خطط توسعه شرقا.

يعنى أوضح فإن خطط حلف «الناتو» للتحرك جنوبا قطعت أشواطا أبعد بكثير من خططه للتوسع شرقا. حتى قبل أن يعلن عنها رسميا (...).



بشسين

عما قريب سنجد نحن كذلك مكانا لنا تحت شمس الناتو. فقد أشارت مصادر من مقر الحلف في بروكسل إلى أن الحلف يتأهب لمشروعات شراكة خاصة مع مصر والمغرب والجزائر وبالطبع إسرائيل، وبمعنى آخر فإنه يستعد لشراكة حقيقية مع إسرائيل يوم عليها بأوراق توقيع مع دول أخرى عربية.

وقد طرحت مشاريع التوسع - ليس شرقا بعد أن أصبح الشرق في جيب الحلف ولكن حوبا في قمة الحلف بمديرد في ٧-٨ يوله وذلك عندما أكد خافير سولانا سكرتير الناتو أن الحلف - الذي تأسس عام ٤٩ سيجعل على رأس جناحه الجنوبي قيادة إسبانية تصبح مديرد مقرها الرسمي. وقد سعت واشنطن لتقديم تلك الهدية إلى أسبانيا لاغرناها بالانضمام لهاكل الحلف العسكرية بعد أن التحقت فقط بهياكله السياسية عام ١٩٨٧.

## مكان تحت شمس (الناتو)

الحلف - سبع وعشرون دولة أخرى سبق أن وقتت اتفاق أطر الشراكة العامة مع الناتو في يونيو ١٩٩٥ من بينها كاتفيمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق مجتمعة علاوة على بلغاريا ورومانيا واليابان والنمسا والسويد وفنلندا ومالطاوعمليا فإن كل تلك الدول مرشحة - في أوقات مختلفة وبصيغ مختلفة - لعضوية الحلف.

وهكذا فإن قوة الناتو - الذي حل عليها محل الاتحاد السوفيتي السابق في كافة أراضيه - تتجاوز الرقم ١٦ للآعضاء الأساسيين والرقم ١٩ للآعضاء الجدد إلى الرقم ٤٣. وتتألف في حقيقة الأمر «حكومة عالمية» طالما راودت الأحلام الكتيبة لميخائيل جوربا تشوف فدعا إلى تشكيلها مرارا لئذعن لتعليماتها شعوب مختلف القارات الجائنة، وهي حكومة كبيرة تقودها الدول السبع الصناعية التي تسيطر علاوة على سبعين بالمئة من إجمالى الناتج المحلي في العالم على أحدث

### رسالة موسكو

#### أحمد الخميسي

تصديق برلمانات الدول الست عشرة أعضاء الحلف على قرار مديرد.

وفي اليوم الثاني من عمل القمة اجتماع المجلس الأوروبي للتعانق الأطلسي» الذي تأسس في ٣٠ مايو ٩٧ بدلا من مجلس التعانق الأطلسي» المؤسس عام ٩١ ووقعت أوكرانيا والحلف «ميثاق شراكة خاص» ينص على تبادل المخلتبات العسكرية والتشاور في حالة ظهور أية مخاطر تهدد أمن أوكرانيا» والتعاون العسكري الخ. وقال الرئيس لبونيد كوتشما بعد ذلك إن بلاده حصلت بالميثاق على «كل ما كانت تريد». وشاركت في نفس الاجتماع - مع دول

وشملت الرشوة الأمريكية حن أسبانيا في الرقابة على منطقتين : الأولى التي يقع بين اليابسة الآسية وحزر الكبارى وكانت البرتغال وكيكة الحلف فيها. ووقف لهذا المشروع سبيح بوسع الملك خوان كارلوس الأول أن يمد جسوره البحرية إلى الشواطئ العربية المغربية ومينائى سابته ومعليلة . لكن فرنسا وبريطانيا وإيطاليا أتلفت الهدية الأمريكية برفضها المشروع لكن طرح ذلك المخطط جنباً إلى جنب مع مشاريع موثيق الشراكة الخاصة مع دول البحر الأبيض المتوسط بيت أننا لم نعد بمعدين عن معنى وأهداف وأثار توسع الحلف التي ستكرس سيطرة إسرائيل على المنطقة واستمرار جنودها في دوس مصاحف القرآن وتلطيف صور العذراء مريم.

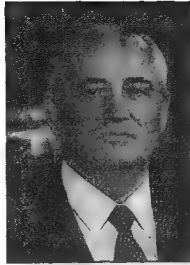
ولكن القرار الأهم - الوحيد فعليا لقمة مديرد - كان دعوة بولندا والمجر وتشيكيا للانضمام للحلف. ولا تعنى تلك الدعوة أن هذه الدول الثلاث قد أصبحت أعضاء في الحلف، لأنها ما زالت في انتظار

**المعدات العسكرية.** فالتضية لا تقتصر على توسع الحلف شرقا، ولا على خطفه للفرز نحو الجنوب، ولكن الحديث يدور بالفعل عن حكومة عالمية كاملة تحدد مسار النظر وفقا لتصوراتها ومصالحها السياسية والاقتصادية.

وإذا كان «ميثاق الشراكة الخاصة» مع أوكرانيا يمثل التعبير السياسي عن العلاقة بين الطرفين، فإن المناورات العسكرية التي ستجرها أمريكا مع أوكرانيا في أغسطس هذا العام ستكسب ذلك التعبير قوة الفعل التي تلقت دعوات هامة بالمعونات الاقتصادية الأمريكية التي جعلت أوكرانيا البلد الثالث بعد إسرائيل ومصر من حيث حجم المعونات التي تصلها. وقد صرح وزير الدفاع الأمريكي بعد زيارته لكيف في ١٤ يولييه ٩٧ بقوله: «إن انضمام كافة دول الاتحاد السوفيتي السابق إلى الحلف أمر قادم لا محالة».

وقبل أن ينفذ جبر قرار ضم بولندا والمجر وتشيكيا ألقى الحلف باعلان صريح عن أن الدعوة القادمة من المرحين لعضوية عام ٩٩ تشمل جمهوريات البلطيق الثلاث ورومانيا وسلوفاكيا، وقامت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية بعد خمسة أيام من قمة مدريد بزيارة لبطرسبورج حيث التقت بنظيرها الروسي ييفغيني بريجاكوف. وكانت أولى القضايا المطروحة هي «مصير جمهوريات البلطيق الثلاث» علاوة على قضايا أخرى. ثم طارت أولبرايت إلى فيلنوس عاصمة ليتوانيا، ومنه إلى براغ عاصمة تشيكيا حيث رارت نير والدينا اليهوديين قرب السيناحوج، ووضح بريجاكوف في لقائه معها أن تقدم روسيا ضمانات لدول البلطيق مقابل عدم انضمام جمهوريات للحلف، لكن أولبرايت أعادت على مسامعه موقف الحلف: «لقد قلنا دائما إن أبواب الناتو مفتوحة لكل الدول الديمقراطية ذات الاقتصاد الحر بغض النظر عن موقع تلك الدول على الخريطة». وهو نفس المعنى الذي أكدته بيان مدريد الختامي. وأعلنت أولبرايت خلال زيارتها السرعة لقبيلنوس أنه من حق جمهوريات البلطيق وحدها أن تخير النظام الأمني الذي يلائمها وأن تحدد بنفسها من الذي يمكنه أن يقدم الضمانات لها ومن الذي لا يمكنه.

وإذا كانت بولندا والمجر وتشيكيا قد أعربت عن ترحيبها بالتحاقها بمكادر



جوزيف بياشوف



مادلين أولبرايت

لفيلسوف في مارس هذا العام ووضعوا الخطط لبناء قاعدة تسليح جديدة وشرعت ليتوانيا في تلقي دفعات من المدافع الأمريكية م-٦٠ و-١٤٠، مما يشير إلى أن البدايات ولطانات الأمريكية ستظهر عما قريب في البلطيق.

وبسبب دارت قمة مدريد نفسها بشعارات عن «النظام الأمني الأوروبي» قائما وضعت خطط تقسيم جديدة في أوروبا لأول مرة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، واعتبرت واشنطن وعن حق أن «القمة تاريخية» بينما أعلن خافيير سولانا «إن أمريكا وأوروبا المهدتا لتتقاربا مجرى التاريخ في القرن القادم». وخلال ذلك فضل الرئيس بيلتسين أن يتجه إلى كاريبي لقضاء أجازته السنوية بعيدا عن قمة مدريد كأفضل تعبير عن توطئه الصداقة مع التوسع، ولم تكن مشاركته في مدريد لتقدم أو تؤخر بعد أن قبلت روسيا في ٢٧ مايو بباريس بالوثيقة الموقعة مع الحلف بأنها «لا تتمتع بحق الفيتو بالنسبة لضم الدول الأخرى».

وفي نفس الوقت أعطت مدريد دفعة قوية لا تظهر لها لسباق التسليح في الدول الثلاث المرشحة التي تشتري بشحن باهظ مكانا لها تحت شمس الشاتو. فقد أعلنت المجر أنها تنوي شراء ثلاثين طائرة حديثة بقدر سعرها بليار دولار، وأعلنت بولندا أنها تعتزم شراء مائة طائرة مقاتلة، أما تشيكيا بعينها البصير ويدعا القصيرة فاتها اعترفت لضالة مواردها

الحكومة العالمية الجديدة ولو في مناصب صغيرة، فإن ترحيب جمهوريات البلطيق بمجرده ترشيحها بعد عامين لم يكن أقل حرارة. وأعلن الرئيس الليتواني براؤوسكاس أن بلاده ستضخ للحلف بالفعل عام ٩٩، وقال الرئيس الاستوني ليثارت ميري إن «ستكون استونيا عضوة ما أن يرى أعضاء الحلف أنها استكملت استعدادها للعضوية». وإذا كان الميثاق الموقع بين أوكرانيا والحلف يحول دون استرداد روسيا في وقت لاحق للقرم وسيباستوبول فإن انضمام دول البلطيق سيفاقم مشكلات لم تحسم منها النزاع على منطقة كالينينجراد الروسية التي يطالب البلطيق بتحويلها لمحافظة منزوعة السلاح.

وقد أكد الحلف على عزمه على ضم البلطيق باعلان عن مناورات عسكرية مشتركة في ١٤ يولييه بين الجمهوريات الثلاث والقوات الأمريكية والتروبية وغيرها دون مشاركة روسية بالطبع، كما هي الحال في المناورات مع أوكرانيا التي لم تدع إليها روسيا.

وقد بدأت بالفعل عملية إعداد واسعة النطاق لإعادة بناء الجيوش الصغيرة في البلطيق بحيث تتخلص نهائيا من الأسلحة السوفيتية والروسية بدعوى ضرورة اتساق نظمها العسكرية مع نظم الحلف. وفي ذلك الساق قام عدد من الخبراء الأمريكيين بزيارة

الشركات العسكرية تقديمها كمنالوجات كاملة بأساطيل جوية رهن إشارة الدول الثلاث. وعمليا يتعين على تلك الدول المحدودة الامكانيات أن تدفع أتاوة للحلف مقابل حمايتها لها، كالاتاوة التي يقدمها الناس لرحال العصابات حماية لانفسهم من تلك العصابات نفسها.

أما عن روسيا فان رئيس وفدها في اجتماع «الجلس الأوروبي للتعاون الأطلسي» بمديري فلوري سبروف أعلن أن روسيا لم تعد من الآن فصاعدا عدوة للناتو، كما أنها لا تنظر إلى الحلف باعتباره عدوا لها. وعندما وقع الرئيس الروسي في باريس وثيقة مع الناتو في ٢٧ مايو ٩٧ اعتبرت الأوساط الوطنية الروسية أن الوثيقة «هزيمة وضك استسلام»، بينما كتب الجنرال ليهيد مقالا بعنوان «النااتو يرمي لنا عظمة كلب» واعتبرتها أوساط أخرى حلا وسطا لا يمثل نصرا لأمريكا ولا هزيمة لروسيا. وتلبيم الوثيقة وموقف روسيا عامة بمعايير «النصر»، و«الهزيمة» يتضمن خداعا شديدا، ويضئ على الموقف الروسي مالميس فيه.

فالاتصارات والهزائم ثمار المعارك. بينما كان موقف القيادة الروسية الحقيقي هو أنها تتوسع في الأخرى مع الناتو دون معارك أو خلافات. أما حديث بلتسفين المتكرر عن أنه ما زال يعتبر التوسع «خطأ تاريخيا» فانه أصبح حديثا مضحكا بعد أن كان مأسويا. إن القيادة الروسية لم تخض معركة ضد الحلف لكي يقال إن الوثيقة نسر أو هزيمة، اندحار روسي أو ظفر أمريكي، لكنها قامت بالاتدماج الكامل مع الحلف ببعض إرادتها تحت غبار الخلافات.

ويظل السؤال الرئيس قائما: ما الذي يريده أكبر حلف عسكري في العالم باحتشاده الضخم هذا؟ وتوسع قوامه ليضم ٤٣ دولة؟ وما هو الخطر الذي يفترض أن يتصدى له؟ ولئن تتألف هذه الحكومة العالمية؟ وأي نظام احتشاعي وسياسي تريد فرضه على المحكومين؟ ثم من هم المحكومون الذين تضيق أمهامهم فرض الاحتجاج في ظل حكومة كئلك لاحد لقراراتها الاقتصادية والعسكرية؟.

مثال اللوبي الصناعي العسكري في قوام لجنة توسيع الناتو.

وتقدر احتياجات البلدان الثلاث بولندا والمجر وتشيكيا فقط من الطائرات بعشرة مليارات من الدولارات. وحتى رومانيا التي عد سوقها في السنوات الأخيرة حكرا على الطائرات المرحية الفرنسية قامت بالتوقيع على عقد بليار دولار مع الشركة الأمريكية «بيل تيكسترون». وفي حمية المنافسة تقترح أمريكا إنشاء مركز لتجميع طائرات الفانتوم في المجر. وتدخل فرنسا الصراع فتؤلب المجر على الأمريكيين متسائلة باستنكار: من يكون المجرين في نهاية المطاف؟ أنهم أوروبيون وليسوا أمريكيين، وبدأت مختلف الدول الغربية تعرض قروصها بموائد هزيلة وتسهلات في الدفع على أن تشتري تلك الدول الطائرات من مصانعها. بينما قامت واشنطن بطرق الحديد وهو ساخن في مدريد لعرض ضمانات مالية على الدول الثلاث لكي تشتري الأسلحة الأمريكية، أما المستولون من

فعرضت عليها أمريكا أن تزجها بيع طائرات مستخدمة من طرازوف-١٨ المعروفة باسم «خوئيت». وأعلنت الدول الثلاث أنها تعتزم زيادة نفقاتها العسكرية بنسبة عشرين بالمئة وتسعى تلك الدول بكل هذا للتأهل لعصوية الحلف بغير كل المعدات العسكرية السوفيتية السابقة مما أدى لاندلاع منافسة حادة من أجل انتزاع الصفقات في أسواق السلاح في أوروبا الشرقية بعد أن طردت روسيا نهائيا من تلك الأسواق. وقُتل تلك الأسواق متجمعا من الذهب لواشفتون خاصة أن الجمع العسكري الصناعي الأمريكي هو المرشح الأول لمزاومة دول الغرب الأخرى في إغراق تلك الدول بالسلاح. وفقا لما نشرته صحيفة هيجارو فان جميع «لوكسيد نوتروب جرامان» و«جميع بوينج-كادونيل-دوجلاس» يهرعان من الآن لتبذل طائرات الليج والتسو الروسية بالطائرات الغربية. ولهذا السبب تحديدا دخل

#### الامكانيات الحربية للدول الثلاث التي دعت للحلف ورومانيا وسلوفينيا

القوات المسلحة	تشيكيا	المجر	بولندا	رومانيا	سلوفينيا
الجيش	٢٨	٤٨	١٧٨,٧٠	١٢٩,٨٠٠	٩,٥٥٠
الاستدعاء	١٥٤٠	٣٠	١٠٨,٤٠٠	٩٠٠	٥٥٠
الدبابات	٩٥٣	٨٣٥	١,٧٢١	١,٢٥٥	٥٠
المدفعية	٨٣٠	٨٤	١,٥٨١	١,٣٥٩	١٦
الطيران	١٦٠	١٦٣,٠	٥٢٠	٤٧,٦٠	-
الاستدعاء	٣,٩	١١,٢	٢٩,١٠	٢٧,٧٠٠	-
طائرات مقاتلة	١٢٦	١٢٧	٤٣٧	٣٦٨	-
طائرات مروحية	٣٦	٥٩	٢٢	١٦	-
البحرية	-	-	١٧,٨٠	١٨,٥٠٠	-
الاستدعاء	-	-	٩,٦٠٠	٩,٥٠٠	-
حاملات طائرات	-	-	٢	١	-
غواصات	-	-	٢	١	-

دعت بولندا والمجر وتشيكيا لعصوية الحلف بعد قمته في ٨ يوليو بمديري



## ألمانيا

شينجن SCHENGEN بلدة في لوكسمبورج اشتهر اسمها بعد أن أصبح اسماً لوحدة من أهم معاهدات الوحدة الأوروبية . والمعاهدة تجدد أن تتولى الرقابة على الحدود فيما بين بلدان الاتحاد الأوروبي بحيث تلغى إجراءات رقابة الجوازات والجمارك بالنسبة للأشخاص . في يونيو ١٩٨٥ وقعت ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورج المعاهدة التي تعد بأن يصبح السفر فيما بين هذه البلدان بلا مشاكل . وانضمت بعد ذلك أسبانيا والبرتغال إلى المعاهدة . ولكن لم يتم رفع إجراءات مراقبة الجوازات على الحدود بين البلدان السبعة إلا في مارس ١٩٩٥ .

## أوروبا للأغنياء فقط

### أوروبا الغربية تقيم " ستارا حديدا " ضد شعوب العالم الثالث وروسيا

التقدم في إزالة الحدود التي كانت بين الدول المنضمة إلى الاتحاد الأوروبي تحل الأسوار التي يقيمها الاتحاد الأوروبي على حدوده الخارجية تجاه غير المرغوب فيهم من شعوب العالم . وهذا الستار الحديدي يشكل في الواقع من الشروط المفروضة للحصول على فيزا لزيارة اللجنة الأوروبية الغربية وهي إقامة الدليل على امتلاك دخل عال أو إثبات أن هناك ضامناً يملك مثل هذا الدخل العالي . ولضمان تنفيذ هذا بدقة أقرت ثلاث مقاطعات ألمانية ما يسمى بـ " التعمد غير القابل للتزوير " وهو استمارة بيانات عن دخل المواطن المقيم بألمانيا ويرغب في دعوة مواطن من بلد من بلدان العالم الثالث أو شرق أوروبا . ويعطى التعمد للسلطات إمكانية التحقق من دخله الذي يفترض ألا يقل عن حد معين على لكي يقبل الطلب . وإضافة للأسئلة والاجازات المذلة التي

## رسالة ألمانيا

### نبيل يعقوب

دول الاتحاد الأوروبي التي فرضت ( مع بقية بلدان الغرب ) على بلدان العالم الأخرى أن تفتح أبوابها أمام الرأسمال الأجنبي لاستثمار وبيع ويستعيد أرباحه بتحويلات لا تحدها قيود نجحت في فرض واقع معناه أن تستعيد هي وحدها وأن تخلق إيراداتها بدون أدنى مراعاة للظرف الآخر . والان أقامت " ستارا حديدا " يحول دون دخول المهاجرين أو العمال أو الزوار القادمين من العالم الثالث ومن روسيا وأوكرانيا جمهوريات آسيا التي كانت متتمة سابقا للاتحاد السوفيتي . ويقدر

وقد انضمت مؤخرا إيطاليا والنمسا واليونان للمعاهدة وسيبدأون بتنفيذها في خريف هذا العام . الدائمك والسريد وقتلنا والترويج وأيسلندا دخلوا المعاهدة في ديسمبر ١٩٩٦ ولكن سيمر وقت غير قصير حتى تنزل هذه الدول نقاط الحدود . وتنص معاهدة شينجن إجراءات أكثر . فهي تفرض على البلدان العضو توحيد إجراءات الفيزا وسياسات اللجوء . وتلزمها بالعمل مشترك في مكافحة تهريب المخدرات وأنشأت نظاما كاملا لتشدّد الرقابة على الحدود الخارجية للدول العضو وهي مركز مشترك للحساب الإلكتروني في شتراسبورج غرسا نتجح كافة المعلومات عن الأحزاب الداخلي إلى دول المعاهدة وتوجد مصامت طالي اللجوء وتجرن البكروني وتكون تحت تصرف شرطة بلدان الاتحاد الأوروبي .

## الانتخابات الألمانية تقترب

## والهجمات ضد الأجانب

## تزايد



هيلموت كول

الذي سببته شركة شل في أرضي شعب الأوغوني في نيجيريا . وكان سارو ووا الذي قاد شعبه في حركة احتجاج سلمى اعدمه المحكم العسكري النيجيرى . هل القادم من هذه البلدان لاجئ اقتصادى أم سياسى؟

المشكلة التي يعيشها الآن عدد كبير من اللاجئين لألمانيا في الإجراءات التكديرية التي أقرتها الحكومة الألمانية لتطفيشهم.

وكانت ألمانيا قد استقبلت العدد الأكبر من لاجئى الحرب البوغسلاعية ( مايزيد على ٣٠٠ ألف لاجئ ) . الآن تريد ألمانيا استمجال عودتهم . ولم يقبل وزير الداخلية الاتحادى رجا . زملائه وزراء الداخلية في المقاطعات ولا رجا . وزير الخارجية ووزير الدفاع الألمانى اللذين صرحا بأن الوضع في مناطق عديدة من البوسنة والصرب لا يسمح بعودة آمنه للاجئين . ولم يتراجع الوزير حتى بعد انتقاد أمريكا للسياسة الألمانية وصدرت نقد صريح من الأمم المتحدة.

الاجتماع الذى يراى به الآن التأثير على إقامتهم بحيث يعودوا زهقا هو وقف المعونة الاجتماعية التقديرية وتحويلها إلى معونة عينية . بحيث يحصلون لا على الطعام الذين يريدون ويستطيعون شراءه بل على طعام غطى في علب من الكرتون توزع عليهم . والحكمة التي يبرر بها هذا الاجراء هي جعل ألمانيا أقل جاذبية للاجئين . الكنائس الألمانية أصدرت بياناً ينتقد بشدة سياسات الحكومة تجاه اللاجئين . وقد فتحت الكنيسة دور العبادة للاجئين من الجزائر ومن نيجيريا وراثير وأوكرانيا وفيرها لحمايتهم من الترحيل.

### الانتخابات وبداية الحيرة الكبرى

الناس تتسأل عن المتوقع في الانتخابات البونستحاك العام المقبل . وقد زعم الناس من حكومة المحافظين بعد أن تدهورت الأوضاع الاجتماعية الى درجة لا تحتمل بالنسبة للملايين . ومع كل إصدار جديد لتنتائج معاداة استطلاع الرأي عن المزاج الانتخابى للألمان يتكرر القول أنه لم يحدث أن كانت أسهم حكومة المستشار كول بهذا السوء . ومثل اليوم ( الأحد ٢٠ يوليو ) تقول هذه النتائج أن الانتخابات لو تمت اليوم لجات أغلبية من الاجتماعيين الديمقراطيين والحضر . ولدخل حزب الاشتراكية الديمقراطية البرلمان بعموره النسبة المطلوبة . ولكن ماذا تصنع الأحزاب بهذا المزاج الشعبي؟

في الاجتماعى الديمقراطى يتصارع رئيس الحزب أوسكار لافونتين وهو رئيس وزراء مقاطعة السار في غرب ألمانيا مع رئيس وزراء مقاطعة نيدر ساكسن جيرهارد شريفلى على من يكون مرشح الاجتماعيين الديمقراطيين في الانتخابات في مواجهة

. وكان يكفى في الغالب أن يعبر مواطن مجرى أو روسى أو تشيكى عن رغبته في اللجوء لتبدأ إجراءات ادماجه في المجتمع . ولكن استفاد من قانون اللجوء الليبرالى أيضا عشرات الآلاف من الأكراد والأتراك والمثليين والأفارقة وغيرهم.

ولكن الحال تغير تماما منذ عام ١٩٩٣ . في عام ١٩٨٩ رحبت ألمانيا الغربية بمنتأ الآلاف من القادمين من ألمانيا الشرقية . وأثناء عملية انهيار المعسكر الاشتراكي (٩٠ - ٩٢) نزحت أعداد هائلة من مواطنى دول شرق أوروبا إلى ألمانيا . وقتها لم يتحدث أحد عن لجوء اقتصادى غير مقبول . ولكن الآن أدى تعديل الدستور والاتفاق الفعلى للمادة ١٦ منه بوضع عدد من الاضافات أصبح قبول اللاجئين متوقفا لا على أسباب طلب اللجوء بل على الطريق الذى وصل من خلاله إلى ألمانيا . اللاجئين الذى يصل عن طريق البر إلى ألمانيا ( مثلا من الغرب عبر فرنسا أو من الشرق عبر بولندا أو تشيكيا أو غيرها ) لا يقبل طلبه مهما أثبت أنه تعرض للاضطهاد . وتبرير الرفض أنه جاء عبر " بلد آمن " . ولا يبقى أمام اللاجئين سوى الهبوط من السماء أى الوصول بطائرة قادمة من بلد " غير آمن " أو تسليم أمرهم لمساعدى الهروب التجاريين الذين يحصلون من الفرد الواحد على ما يتراوح بين ألفين وستة آلاف دولار لادخاله إلى ألمانيا بدون أوراق.

ويكثر الاعلام من الحديث عن لجوء سياسى وآخر اقتصادى . ولكن ما معنى لجوء سياسى ولجوء اقتصادى عندما يجرى الجنود الأتراك في حملاتهم العسكرية قرى الأكراد وقومهم فيضطرون للهجرة .. أو تصبح الحياة مستحيلة اقتصاديا وسياسيا في ظل حكم هويوتو . أو يسبب مذابح رواندا . أو يسبب تدمير البيئة وبناء عليه القضاء على الزراعة

بترصص ليد المصرى والهندي والصيني والروسي وغيرهم يصبح قبول الزائر متوقفا على ثروته وليس الباعث العائلى أو الصحى أو لثقافى أو العلمى الذى يدفعه للسفر . أوروبا مفتوحة فقط للطبقات العليا .

ومن العجيب أن تصتت حكومات العالم الثالث عن الممارسات المهينة الموجهة إلى مواطنيها والمحتلة في الأسلحة والشروط المتضمنة في استمارات الحصول على تأشيرات الدخول لبلدان الغرب وفي معاملة المواطنين أمام القنصليات الأجنبية . ونفس هذه الدول التي تتقدم فبوحها للقطرة أو العجرفة يحصل مواطنوها على تأشيرات الدخول لمصر وغيرها من بلدان العالم الثالث في المطار خلال دقائق أو يدخلون بلا فيزا . ألم يكن هناك مبدأ اسمه المعاملة بالمثل ؟

### إجراءات تكدير للاجئين

قوانين اللجوء الألمانية كانت قبل سنوات قليلة تتيح عن مثيلها في العالم . يعق اللجوء للملاطين سياسيا هذه الجملة القصيرة يكملهاها الأربع هي نص المادة ١٦ في القانون الأساس الألمانى (المستور) والتي كانت قبل تعديلها سنة ١٩٩٣ تعطى الحق الدستوري في اللجوء لألمانيا لكل انسان يتعرض للملاحقة لأسباب سياسية أو عنصرية أو دينية بغض النظر عن جنسيته . وكانت القوانين تنص على أن يتمتع اللاجئين بمساعدات مادية تعينه على الحياة.

هذا الحق وجد طريقه إلى نصوص البستور الألمانى الصادر عام ١٩٤٩ بسبب التجربة المريرة التي عاشها شعب ألمانيا في ظل النازية واضطرار مئات الآلاف منهم للجوء لبلدان أوروبا وأمريكا.

بعد الحرب كان اللجوء ( لألمانيا الغربية ) أساسا من شرق أوروبا واستثمر في الصراع بين النظامين العلميين والألمانيين



المحافظين) حتى ابرى الهر شريف رئيس وزراء مقاطعة نيدر ساكن وأحد زعماء الحزب الديمقراطي الاجتماعي ليديله بدلوهم مسهما في تبعية الرأي العام ضد الأجانب . جاء هذا في قوله إن من الضروري ترحيل الأجنبي الذي يسمى إلى حق الضيافة وبسرعة . ويذكر هذا القول بصيحات متشنجة من اليمين المتطرف والمحافظين الذين بلا احترام للقوانين الدولية وال دستور الألماني ذاته أرادوا ترحيل عدد من الأكراد لأنه دعا عن أبناء وطنهم كانوا قد نظمو مظاهرات احتجاجية ضد تصدير ألمانيا للأسلحة لتركيا . السيد شريف بتصريحه هذا سيجد تصفيقا من الجمهوريين ( من أحزاب اليمين المتطرف ) ومن الأوساط التي ينتشر في وسطها الكراهية للأجانب . وموسم الانتخابات هو في العادة موسم الاعتداءات الشفوية والدعوية ضد الأجانب . وقد تكاثرت في الفترة الأخيرة مظاهر العدا للآجانب في عدة كبير من المدن الألمانية . وقُتل سلطات الأمن الألمانية في الكشف عن أخطر حوادث الاعتداء على أجانب (إحراق أسر أجنبية وبيوت للأجانب والاعتداء على كنائس تقوم بأبوابه ) (لاجئين ) بعد علامة مقلقة للأجانب وعاملا مشجعا للاهاليين اليمينيين الألمان.

الحكومة معه . والاحتمال المقبول والذي ترشحه استطلاعات الرأي هو التحالف بينهم والحضر . ولكن قيادة الحزب الاجتماعي الديمقراطي تظل تكرر أنها لن تعطي وعدا بالتحالف الا بعد انتهاء الانتخابات وإعلان النتائج وكل من الحزب الاجتماعي الديمقراطي والحضر أعلنهما سيخوضان معركتهما الانتخابية في شرق ألمانيا ضد حزب الاشتراكية الديمقراطية في محاولة للحصول على جانب من أصوات ناخبي هذا الحزب التي قتل نحو ٢٠ بالمائة من أصوات الألمان الشرقيين . ولكن هذا يعني أن الذين يريدون تشكيل حكم بديل لحكم المستشار كول لن يتفرغوا لحوض الانتخابات ضد حزب المستشار بل في محاولة للقضاء على حزب اليسار في شرق ألمانيا . لهذا كله بدأ ناخبون يتذكرون أحوال المعركة الانتخابية عام ١٩٩٤ والتي انتهت بنجاح حزب المستشار . وكان السبب أن حزب المعارضة الرئيسي ( الحزب الديمقراطي الاجتماعي ) اتخذ ذات المواقف المتردة والمضطربة وأثار حيرة الناخبين.

**مرة أخرى للعب بورقة الأجانب**  
لم يكن المستشار كول يصرح بأنه سيجعل من قضية الأمن الداخلي قضية انتخابية رئيسية ( اللعب بخاف المواقف من الجريمة هو دائما موضوع محبب لدى



موتونو

المستشار كول. الأول يوحه النقد للنهج النيولبرالي ويقول أن المشكله ليست مجرد ذهاب حكومة كول بل في الأساس ذهاب السياسة التي تطبقها وبدعو لاقوتيتين لاعتماد سياسة اجتماعية تحل مشكلة البطالة وي طرح بعض الأفكار القريبة من فكر الحضر واليسار . الثاني هو التجم الفصل من الاعلام والصناعة ودوائر الاقتصاد وهو مركب كل موحدة تأتي شعبية مثل استثناء مخاوف الألمان من اسسائل لمارك بالعمله الموحدة للاتحاد الأوروبي ابتداء من سنة ١٩٩٩ دون أن يكون له بهج واضح في مجال الوحدة الأوروبية . ولم يعد شير البهشة أن يلتقي نهجه مع رئيس وزراء بافاريا شتوبير في العديد من القضايا المطروحة في الساحة . ومن المفهوم أن فرصة الاجتماعيين الديمقراطيين في الفوز ستكون أقل لو لم يكن من الواضح أنهم سيجدون حليفا يشكلون



## حول تجديد الاشتراكية

# صورة الاشتراكية في ظل العولمة

## كيف يتحقق المشروع الاشتراكي في البلاد العربية؟

براصل في هذا العدد متابعة ندوة مجلة «الطريق» «تجديد المشروع الاشتراكي» المهداة إلى الشهيد مهدي عامل الذي اعتقدت في بيروت بين ١٦-١٨ مايو ١٩٩٧. ولقد عرضنا في العدد الماضي من اليسار لبحث الدكتور سمير أمين، ونعرض في هذا العدد لبحث الدكتور ماهر الشريف الذي عرضه في الندوة تحت عنوان «إشكاليات تجديد المشروع الاشتراكي» (أفكار أولية). وهو عنوان ينطبق على مضمون البحث. فالبحث يعرض للإشكاليات التي تتعرض لها وواجهها التطبيق الاشتراكي، ولابد من حسنها استشرافاً للمستقبل

## محمود أمين العالم

التقدم الذي جعله ماركس -كما يقول د. ماهر- مائلاً لتطور القرى المنتجة الذي يقود بالضرورة إلى الاشتراكية- وفي تقديرى أن في حكم د. ماهر هذا تقليصاً شديداً للنظرة الثقينة -المجتمعية- الانسانية التي عرض فيها ماركس لفهم التقدم في منظورته الفكرية العامة.

ثم يعرض د. ماهر بعد ذلك لاختلاف المفاهيم الماركسية لبيّن قصورها عن مطابقة مستجدات الواقع الراهن: فمفهوم الصراع الطبقي، بما يعنيه من ازدواجية طبقية بين البروليتاريا والبرجوازية، لم يعد كافياً لاستيعاب أشكال أخرى من السيطرة لا ترجع إلى التناقض بين العمل ورأس المال، والاستغلال الطبقي عامة، مثل اضطهاد المرأة، والنظام الأبوي، وغط الإنتاج المنزلي. وحتى البروليتاريا الحاملة الاجتماعية للاشتراكية، لم يعد مفهومها القديم يمثل القوة الأساسية -كما يقول د. ماهر- من قوى التحول الاجتماعى. بل إن البروليتاريا في بعض البلاد الرأسمالية -كما يذهب بعض الباحثين- قد خانت نفسها وأحلت الوعى القومى محل وعيها الطبقي، فضلاً عن أن تطور المعلوماتية والأتمتة جعل من العلم قوة إنتاجية مباشرة. أما مفهوم الطبقة نفسه فقد أخذ يتخلل عنه الخطاب الاشتراكي المعاصر، وحل محله مفهوم الشعب والأمة، بسبب أن

ولهذا يناقش البحث بعض المفاهيم الأساسية. لهذه الإشكاليات ثم يجتهد بعد ذلك في تقديم بدائل تتجاوز هذه الإشكاليات، ثم ينتهى أخيراً إلى التجربة في البلاد العربية، ناقداً لها. ثم عارضاً لبدائل نظرية وعملية لها.

يبدأ الدكتور ماهر بحثه معترفاً اعترافاً جليلاً بأنه بعد سياحته الفكرية في العديد من الدراسات والمساهمات في إشكاليات ومفاهيم الخطاب الاشتراكي الجديد. أخذ يتزعزع اليقين الذي كان يمتلكه نصير الاشتراكية في وقت مضى. ذلك أن النقاش الذي يجرى اليوم حول الاشتراكية، أخذ يضع موضع التشكك مفاهيم كانت لها مكانة مركزية في الخطاب الاشتراكي القديم، مثل مفاهيم البروليتاريا والصراع الطبقي، والتشكيلة الاقتصادية الاجتماعية، فضلاً عن مفهوم الانتقال إلى الاشتراكية. وقصور هذه المفاهيم جميعاً عن تجديد علاقتها مع إشكاليات حديثة مثل إشكالية الحداثة وعلاقة الإنسان بالطبيعة والليبرالية السياسية.

فأدأ وقتنا -مؤقتاً- على سبيل المثال عند مسألة العلاقة بين الاشتراكية والطبيعة أو الأيكولوجيا بوجه خاص، للاحتفا أن الزعة الانتاجية أو الانتاجية على حد تعبير د. ماهر التي حكمت سياسة التصنيع سواء في البلاد الاشتراكية أو الرأسمالية، قد ألحقت دماراً هائلاً بالبيئة. فماركس -كما يقول د. ماهر- قد قصر دراسته على العلاقة بين البشر على حساب تركيزه على العلاقة بين البشر والطبيعة، وهنا ما يضع موضع الشك مفهوم

سياسات وأسس المال المالي في البلاد الرأسمالية أخذت تهدد مصالح مجموع الشعب. وكذلك الأمر بالنسبة للبلدان التي تسمى بالجنوب أو العالم الثالث إذ أن التبعية البنيوية للرأسمالية العالمية أخذت تعزّز بمصالح الشعب عامة باستثناء مصالح الفئة الكومبرادورية.

وهناك كذلك هذه المزاجية بين السوق والتخطيط التي يقوم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج يرى البحث أن ماركس ارتكب خطأ نظرياً عندما جعل الرأسمالية والسوق استبعاد كل منهما الآخر. على أساس أنه من غير الممكن إلغاء الرأسمالية دون إلغاء السوق. ويرى البحث أن اشتراكية

المستقبل ستقوم على تعدد أشكال الملكية. ويشير في ذلك إلى «التيب ومشروع الإصلاح الاقتصادي في التجربة السوفيتية الذي قال به لينين ثم إلغاءه بعد ذلك. والواقع أن هذه الإشارة إلى «التيب» مع نماذج وتجارب اشتراكية أخرى تكاد تغلق ما يقول به البحث عن الازدواجية الاستيعادية المظلمة بين السوق والتخطيط والذي ينسب إلى ماركس والتجارب الاشتراكية عامة. هناك بغير شك قدر من الصحة في نقده. ماهر ولكن وقائع التجربة الاشتراكية فضلاً عن النسق الشامل لفكر ماركس يستبعد هذا الحكم المطلق الذي يذهب إليه د. ماهر في نقده، أو في ترويده لنقد بعض الباحثين.

ويشير البحث في شكل تساؤل كبير إلى صورة الاشتراكية في ظل العولمة: هل سوف تقضى إلى استبعاد امكانية بناء الاشتراكية على مستوى قومي محلي. وخاصة أن هناك ظواهر عالمية جديدة أخذت تخرج عن إطار «الدولة - الأمة» كما هو حاصل اليوم في أوروبا مثلاً.

أما فيما يتعلق بالتشكيكة الاقتصادية الاجتماعية فهي نفى بالضرورة إلى موضوع الانتقال إلى الاشتراكية، فما طبيعة هذا الانتقال؟ يرى البحث أنه هناك إمكانية للتمييز بين علاقات إنتاج رأسمالية وأخرى اشتراكية. ولكن من غير الممكن التمييز بين الرأسمالية والاشتراكية. أي أن اشتراكية المستقبل كما تتصوّر في الخطاب الاشتراكي الجديد، لم تعد تمثل غرضاً مجتمعياً مختلفاً بصورة توعية عن النموذج المجتمعي الرأسمالي وليس بينهما قطعة فاصلة مطلقة، بل أن النموذج الاشتراكي هو نموذج مجتمع متطور عن النموذج المجتمعي الرأسمالي ومتولد في رحمه. فماركس كما يقول البحث لم يعالج قضية الديمقراطية السياسية ولم يترك نظرية عن دولة القانون. بل إن مفهوم دكتاتورية البروليتاريا ومفهوم الثورة يعانين القضيعة مع المجتمع القديم ومع الشكل المعروفة عن الديمقراطية السياسية. ولم ينجح -هذان- الفهمان- في توليد أشكال وعبارات أكثر تقدماً.

وهي فكرة سبق أن أشار إليها. سمير أمين في بحثه الذي عرضنا له في العدد الماضي من «اليسار» واعتبرها د. سمير



لينين

أمين إضافة جديدة أضافها إلى فكر ماركس. وقد أشرنا في العدد الماضي إلى أنها من أفكار ماركس الرئيسية وسنعود إلى ذلك في نهاية عرضنا لبحث د. ماهر. ونأسي على وجهة النظر هذه. يرى البحث ضرورة إعادة النظر في مفهوم الاشتراكية نفسها. ويرى أنه من اللازم التعامل مع الاشتراكية كحركة سياسية اجتماعية ورثت قيم الحرية والإخاء والمساواة والسعي من أجل وضع هذه القيم موضع التطبيق، وذلك بالنضال من أجل القضاء على كل الأشكال والعلاقات التي تولد الاستغلال والتمييز والاستلاب. ومع هذه الإجابة العامة يبقى السؤال: كيف؟ وما آليات تلك المسيرة النضالية؟

يلتزم البحث إلى أن الخطاب الاشتراكي الحديدي البود يعود إلى استعادة مفاهيم الليبرالية السياسية غير دعوته إلى إشاعة التعددية السياسية. أي أن السبيل هو الديمقراطية المعصية انطلاقاً من المفاهيم التي اكتسبتها عبر نضالات الماضي والتي أصبحت مكسباً إنسانياً. هنا إلى جانب تجارب الاشتراكية الواقعية بقيادة الأحزاب الشيوعية التي تركت رسيداً في ميدان اكتساب الديمقراطية مضامين اجتماعية، أي الحرص على الجمع بين الديمقراطية السياسية والاجتماعية. وهكذا تصبح الاشتراكية خياراً مفتوحاً أمام كل البلاد، إلى جانب إشاعة الديمقراطية في العلاقات الدولية وإلغاء مظاهر السيطرة والاستغلال في هذه العلاقات، وإصلاح المؤسسات الدولية كهيئة الأمم وغيرها، وهكذا يصبح النضال من أجل الاشتراكية في البلاد التي قطعت شوطاً طويلاً في طريق الحداثة هو الارتقاء بالديمقراطية السياسية من مستوى الديمقراطية التمثيلية إلى مستوى الديمقراطية المباشرة. أي أن يصبح العمل من أجل الاشتراكية مشروعاً من أجل تطوير وتعميق الحداثة

ويشير البحث إلى القرارات الأخيرة كمؤقر الحزب الشيوعي الفرنسي الذي انعقد في كانون الأول عام ١٩٩٦. وقد سبق أن عرضنا في عدد سابق من «اليسار» إلى نتائج هذا المؤتمر وتكاد النتائج التي انتهى إليها د. ماهر أن تكون مستسلمة أو قريبة من النتائج التي انتهى إليها مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي هذا. فيما يتعلق بالبلاد الرأسمالية المتقدمة.

ينتقل بحث د. ماهر بعد ذلك إلى السؤال المركزي: «كيف يتحقق المشروع الاشتراكي في البلاد الغربية؟». إذا كان مشروع الاشتراكية في البلاد الرأسمالية المتطورة -على حد قول د. ماهر- هو مشروع تطوير وتعميق الحداثة، فإن مكانها ما هو طريقها في البلاد العربية، التي لم تقطع شوطاً كبيراً في طريق الحداثة؟ فما يزال الواقع العربي متخلفاً، والتحديث ما يزال ورائياً لم ينفذ إلى جوانب من المجتمع، وما تزال دولة القانون غائبة، وما تزال قوانين الطوارئ سائدة، وما يزال مستوى المعالطة متدنياً، وما يزال الدين متشابهاً في السياسة. وما يزال الحريات العامة والفردية مغيبة، وما تزال حقوق الإنسان منتهكة وخاصة حقوق المرأة.

## حول تجديد الاشتراكية



كارل ماركس

كان من الطبيعي والمنطقي بعد المذمات السابقة المتعلقة بالانتقال إلى الاشتراكية في البلاد الرأسمالية المتطورة، وفي إطار هذه الأوضاع التندنية في البلاد العربية، أن يكون سبيل الانتقال في البلاد العربية هو تحقيق الحداثة أو استكمالها على الأقل، فلا سبيل كما يقول البحث لهذا الانتقال إلى الاشتراكية إلا بالاعتراف أولاً بالتعددية الوطنية والقومية وتداول السلطة سلمياً، والاحتكام إلى العقل وفصل

الدين عن الدولة وتأمين حرية الصحافة، وضمان وصول المعلومات والأعلام الموضوعي إلى الناس ورفع وصاية الدولة عن النقابات والمؤسسات الجماهيرية مما يسع على الإنسان العربي صفة المواطنة ويتمكن من التمييز والاختيار، فضلاً عن ضرورة وقف الحروب الأهلية بين العرب، والأعلا، من شأن الولاء الوطني على الولاء الطائفي والمذهبي والاثني، ومواجهة الاحتلال والتبعية والسير في طريق التنمية ووقف عمليات الخصخصة، والسعي إلى إقامة صناعات ذات طابع استثماري، والسيطرة على القطاع المالي والمصرفي وتطوير الاقتصاد نظيراً لتجنب، مع حماية الملكية التعاونية مع الحفاظ على الملكية غير فردية وتفعيلها لمواجهة، الأزمت الاقتصادية والاجتماعية والقضاء على الأمية وال فقر. والارتداد بمسوى التعليم والعرفة العلمية، وتواصل المتفقين مع المخطات الأهلية، وتشجيع مناخ للإدحار في المصارف الوطنية، ومحاولة تحويل قطاع الدولة إلى قطاع عام يحترم مصالح العاملين أي باختصار كي تكسب الاشتراكية المصادقية لا بد من إشاعة الديمقراطية في حياتنا الداخلية والتعددية في صفتها.

هذه العناصر والآليات التي يقترحها د. ماهر حتى يتحقق مجتمع الحداثة والتي تضمن قيام ديمقراطية تشيلية صحيحة نعد لقيام ديمقراطية مباشرة وتكاد هذه النتيجة الأخيرة التي توصل إليها الدكتور ماهر في بحثه عن الطريق إلى الاشتراكية العربية أن تكون تطبيقاً أكثر تفصيلاً لما سبق أن عرض له في دراسة سابقة له بعنوان «اجتهادات في تجديد الفكر الماركسي العربي» قدمها في ندوة البصار العربي وقضايا المستقبل، يركز البحث العربية في ١٣ كانون الثاني عام ١٩٩٦ ثم نشرها في مجلة دراسات اشتراكية في العدد ١٥٩-٦٦ عام ١٩٩٦ وذكر فيها أن سبب قصور الفكر الماركسي العربي هو انقطاع الماركسيين العرب عن الانطلاق من أفكار التنوير العربي ولا سيما أفكار المتنورين العرب الذين اتجهوا نحو الاشتراكية، أي بتعبير آخر، انقطعوا عن حركة الحداثة العربية ولم

يبدأوا منها مصورتهم نحو الاشتراكية، بل لعل كل تيارات الفكر العربي المعاصر - كما يقول د. ماهر وليس التيار الماركسي وحده - قد عانت من هذه القطيعة مع حركة التنوير العربي ومع الروحية الفكرية التي خيمت على عصر النهضة.

ولعلنا نختلف معه في ذلك، فالفكر العربي المعاصر عامة، بما فيه الفكر الاشتراكي هو امتداد بمسوى أو بأخر لأفكار عصر النهضة بحسب الميائات الموضوعية والتاريخية للبلاد العربية المتجددة المختلفة وفضلاً عن هذا فانه لو صبح الانقطاع، أو حتى الاتصال دون تنمية وتطوير وتجاور بين فكر عصر النهضة والفكر الاشتراكي العربي فذلك لا يرجع فحسب إلى سبب نقالي هو الانقطاع أو الاتصال الهش وإنما يرجع إلى أسباب متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية، فضلاً عن الثقافية كذلك. إن تخلف أو جمود الفكر الاشتراكي أو التجربة الاشتراكية في البلاد العربية نتيجة مركب متعدد الابعاد الذاتية والموضوعية، وهي قضية أخرى لا مجال لمناقشتها هنا.

على أن محاولة د. ماهر الربط بين حركة التنوير النهضوي والحركة الاشتراكية العربية سواء بسبب أن القطيعة بينها هي سبب الفصل كما يقول، أو أن إعادة التواصل والربط بينها هو السبيل لاستعادة الحركة الاشتراكية العربية، فإن هذا يكشف عن الطابع الاصلاحي الليبرالي الجديد لنظرية الدكتور ماهر حول تجديد الفكر الاشتراكي العربي.

لا شك أن تجديد الفكر الاشتراكي العربي مشروط بعقد تفهم الواقع العربي عامة تاريخياً وموضوعياً، ومدى الفاعلية الفكرية والعملية الجماعية فيه، ولكنه ليس مقصوراً على الامتداد بفكر التنوير النهضوي. فقد يكون الأمر هو ضرورة تجاوز هذا الفكر لتجهته لطابعه القوياني من ناحية، وضرورة اللاعلا، والتفاهل مع الميائات المتجمعة القومية والعالمية الجديدة، ولكننا نكاد نتبين في محاولة د. ماهر لتجديد الفكر الاشتراكي العربي أو الفكر الماركسي العربي أنه يقيم هذه المحاولة على أسس ثلاثة هي: الليبرالية السياسية والقومية والدين، ولا شك أن هذه الأمور الثلاثة هي جذور عميقة للثقافة العربية، ولا سبيل لأي اشتراكي حق أن يتنكر لها أو يتشبها. ولكن هناك فارقا بين احترام هذه الجذور وقفلها وبالتالي تجاوزها - كما أشرنا من قبل - بين تبنيها كشرط لاجلحظ أنها جميعاً جذور ثقافية أيديولوجية لها أصعبها الكبرى في صياغة المخصوصية الثانية لتجربة الاشتراكية العربية. ولكنها كما ذكرنا من قبل لا تشكل رجعا الأساس الموضوعي المادي لتحقيق هذه المخصوصية.

وأخيراً أن أقول إن الحركة الماركسية العربية تسعى إلى أن ترتدى في كل مرحلة لون الأيديولوجية المهيمنة، ففي الستينات سعت إلى أن تتبارى مع الحركة القومية في ارتداد الزى القومي. وبعد فشل التجربة القومية أخذت تتبارى في ارتداد الزى الليبرالي. ونتيجة لصدور الحركة الاصولية الدينية أخذت تتبارى في ارتداد، الزى الديني. والحشية أن يتم تقييب المخصوصية الفكرية الاشتراكية في ضم هذا (الديفيلية) الاستعراضى للأزبا، المختلفة.

أو السعى أخيراً إلى ارتدائها جميعاً بشكل ترفيقي تليفي في محاولة

الماركسي كما يقول د. سمير بوجه خاص بل ولعله أن يكون تصحيحا لمسارات إرادية غير صحيحة. إن الاشتراكية تولد في رحم الأنظمة السابقة عليها إذن، وليست الماركسية إلا الوعي الذي يتيح التعجيل بانسحاب عمليات التحول. لأن التحول ليس عملية انتاجية أو انتاجية بحتة- على حد تعبير د. صاهر- بل وانتاجية -مجتمعية، مادية ثقافية، وموضوعية -إنسانية، مرتبطة بوعي العلمي بها، وليست عملية تلقائية، والباطل العمل التفاضلي، ولما كان هناك ضرورة لأحزاب أو لدولة أو لاشكال اجتماعية مختلفة للثورة ونجاحها ما هو سائد.

ومفهوم القدرة لا يعنى الانقلاب، ولا يعنى لحظة انقطاع مفاجئة. وإنما هي عملية تغيير تجميع بين الأسس الموضوعية والوعي الذاتي بهذه الأسس. ونتيجة لطبيعتها التي يدخل فيها العامل الذاتي الإنساني بالضرورة فانها تخطئ وتصيب، وتعطل وتعمل إلى غير ذلك.

المهم أن الليبرالية السياسية والقيمة والتجديد الديني عوامل إيجابية في الفعل السياسي التغيير. ولكن تحقيق التغيير استلزم آليات وأدوات وأشكال تنظيمية وارتباطات مجهرية، ومستويات من الوعي ومبادرات إبداعية، وشكلا للسلطة، أو للدولة، وكهديات مرحلية وأساليب تكتيكية في طريق الهدف الاستراتيجي. أي أن الأمر يتعلق بالانتقال أو التحول، ليس جسوداً ماضوية أو وضوحاً تلقائياً للواقع أو مجرد تفنيدية إنتاجية أو مجرد تهيئة لروية ثقافية بل هو تخطيط دقيق وعمل تنظيمي وتنمية لوعي وحشد لقوى اجتماعية، وتحديد لأهداف مرحلية تكتيكية واستراتيجية عامة، ومرونة عملية في الممارسة بحسب مستجدات الواقع وملازماته الموضوعية والذاتية، بدون هذا يصبح كل حديث عن الاشتراكية أو أي عمل باسمها زُفة ورومانسية ثقافية سيئة.

ما قصدت بهذا أن أقدم إجابة نهائية على الحوار الدائر حول تجديد الاشتراكية، وهو بغیر شك حوار جاد عميق ومخلص، وإنما أريد أن أخرج من حدود ما تصورت أنه المخرج من حالة الاسترخاء التلقائي الذي يرين على حياتنا وفكرنا- كاشتركيين- إلى شحنة اللحظة الفكرية والتضالية.

ولكن تبقى بعد ذلك ضرورة القيام بمناقشة تفصيلية لبعض المفاهيم مثل مفهوم الطبقة والهولويةاها والتشكيكية الاقتصادية الاجتماعية والحداثة والعلاقة مع الطبيعة والديمقراطية وغيرها من المفاهيم المتعلقة بقضية الاشتراكية يستدعي الأمر تحديد مقياس علمي دقيق لهذه المناقشة التي ينبغي أن تتم على أرفع مستوى من المعرفة والموضوعية والخبرات العملية والدقة المنهجية.

وتبقى أخيراً قضية القضايا الإشكالية وهي:

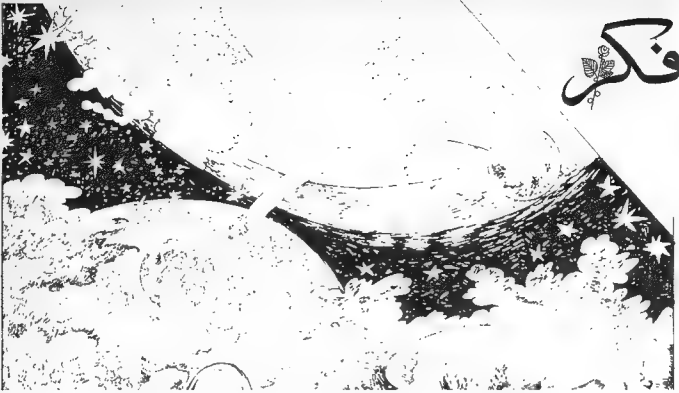
كيف تتحقق الاشتراكية التي تحتم التخطيط والقطاع المجتمعي العام- مع ضرورة الديمقراطية المصقة. فلقد انتقد كل من د. سمير ود. صاهر إنعقاد الديمقراطية في التجربة السوفيتية، ولكننا في الوقت نفسه أكدنا على ضرورة التخطيط الانتاجي. فهل يكفي لحل هذه الإشكالية رفع شعار «الاشتراكية السوق» كما أن الأمر يحتاج إلى رؤية أكثر عمقا وجسارة. إن هذه القضية تأكدت من نظرية الاشتراكية والإشكالية تطبقها العمل. وأخشى أن أقول إنها لا تحل في ملكوت الذهن وحده بل تحتاج إلى خبرة عملية.



د. سمير أمين

لاحتوائها إيديولوجيا وأحراس جميع الأصوات المعارضة أو المشككة في وطنية وقرمية وديمقراطية والتدين الصحيح للحركة الاشتراكية. وحتى لا يساء فهمي، أقول إنني أرى أنه من المأمور بل من الخطأ الانقطاع أو التكرار للجدور والاتجاهات والخبرات الليبرالية والقرمية والدينية في تراثنا القديم وواقعنا الراهن ولكن المهم هو أن يتم نقل هذه الجدور والخبرات، لا تبنيها تبنياً شكلياً مظهرها أو موضوعها ومضمونها، وإنما يتم نقلها جدلياً عقلانياً نقدياً في إطار الوعي بقوانين الواقع الموضوعي. وفي محاولة -كما ذكرنا من قبل- لتجاوز هذا الواقع نحارزاً حذرياً يتبع الانتقال والتحول إلى مرحلة جديدة من البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي أي ما نسميه بنقط انتاجي مختلف، ذي طبيعة اشتراكية متجددة.

هل هذه قطعة كما يتصور د. صاهر وكما تصور- كما أثرت في العدد الماضي من اليسار -د. سمير أمين؟ لا بالطبع فلم يقل لا ماركس ولا المجلد ولا لينين شيئاً من هذا بل لعل جوهر قصور كتاب رأس المال ماركس أن تتضمن رؤية تحليلية استردادية استرجاعية تاريخياً لكشف كل العمليات الطويلة التفصيلية المعقدة للانتقال- من الأفضل القول للتحول- من قط الانتاج القطاعي إلى قط الانتاج الرأسمالي. ولولا الاطالة لعمرت للمراحل المتعددة التي تحقق فيها هذا التحول في رحم قط الانتاج القطاعي، هذا هو لب كتابه العظيم ورأس المال. لم يتحدث ماركس بالطبع في هذا الكتاب عن آليات التحول إلى الاشتراكية للطبيعة الخاصة للكتاب. فهو كتاب خاص بالنظام الرأسمالي، وكيف تشكلت بنيتة وما هي تناقضاته. وفي كتاباته الأخرى يحدد ماركس قانون التحول الاجتماعي بشكل عام. فكلنا يعرف فقرته المشهورة حول أن التحول من قط الانتاج الرأسمالي إلى قط الانتاج الاشتراكي إنما يتحقق في قلب المجتمعات الرأسمالية الأكثر تطوراً. بل قال ماركس بإمكانية التحول في بلد كروسيا إلى الاشتراكية بدون المرور بكل التطور الرأسمالي. ولكنه قال إن هذا بعد استثناء. ولعله قال كلاماً قريباً من هذا في أواخر أيامه في رسالة إلى المجلد حول الأراض في الجزائر. إن القانون الماركسي العام في هذا الشأن هو أن كل شكل تاريخي محدد لعملية انتاجية يواصل تطوير قاعدته المادية وأشكاله الاجتماعية وفي لحظة معينة (أي مرحلة تاريخية) من نضج هذا الشكل الانتاجي التاريخي المحدد يأخذ في التحلل والتناكح والاستلاخ ويحل محله شكل انتاجي أكثر رفقا. لا مجال إذن للقول بأن في هذا تجديداً للفكر



## إلى أين تتجه.. الحركة الاشتراكية؟

### إعادة نظر شاملة

للمستقبل، ولم تكن مسألة الاشتراكية هذه موضع جدل أو خلاف بينهم لأن الهدف النهائي والطريق إليه كانا يبدوان واضحين إلى حد أن الاختلاف حول أي منها كان يلقى بالاختلاف مع وجهة النظر الرسمية إلى خارج تلك الأحزاب مباشرة . بل بعيدا عن حوض الحركة الثورية كلها أحيانا.

أما اليوم وفي ظل الفوضى الذي عاد يكتنف الرؤى، ووسط ضجيج الأسئلة التي طفتت تتعاورنا، أصبحت جميع الاختلافات مشروعة ، وكل الهرطقات مقبولة. إذ أنه لا بد من الاعتراف بأن إنهاء المصعبر الاشتراكي قد عاد بقضية الاشتراكية إلى نقطة الصفر . عاد بها إلى البدايات الأولى عندما لم تكن الاشتراكية أكثر من مجرد حلم، تكذب لو قلنا من أحلام الفقراء، بل من أحلام المثقفين ذوي الضمائر الباردة. عندما كانت الاشتراكية مجرد ترقى إلى العدالة والمساواة ونيل الظلم والاستقلال. وذلك قبل أن تستند هذه التطلعات النبيلة على دراسات منهجية للتاريخ وللواقع الاقتصادي لتستنتج منه ليس فقط واقعية تلك الأحلام بل وحمية تحقيقها على أرض الواقع . كما ظلت المادة التاريخية أنها قد فعلت.

بالعودة إلى تلك البدايات الأولى عادت أسئلة- ظننا أننا تجاوزناها منذ زمن بعيد- تعيد طرح نفسها علينا من جديد وتلح. أسئلة مثل:  
-هل حقا نحن في عصر انتصار الاشتراكية وإنهيار الرأسمالية؟ إذن لماذا نرى أولى تجارب الاشتراكية تنهار تحت وطأة أخطائها، بينما ترتق الرأسمالية ثوب جسدنا البالي وتواصل المسير؟  
هل الثورة الاشتراكية حتمية تاريخية؟ بل هل هناك حتمية تاريخية من أي نوع؟ رغم أن الانسان كما نرى يصنع تاريخه بل، إرادته التي تتعزز كل يوم بفضل فؤ قدراته على الفعل. بل هل هناك أصلا حتمية من أي نوع كانت في التاريخ أو في الطبيعة؟  
ليس هذا فحسب بل هناك أسئلة أخطر من ذلك بكثير بدأت تلح

إسحورا لي أيها الأعزاء. أن أتذكر معكم بالرائ في موضوع الساعة الذي تطرحونه للنقاش. موضوع الرؤيا المستقبلية للأحزاب الاشتراكية موضوع هوية حزبكم الذي لم أتشرف بنيل عضويته. إذ أنني لا أستوفي شرط المواطنة بالصيغة التي يتطلبها حزبكم. ولكن هذا لا يمنعى مشاركتكم الرأي. إذ أن الأمر يتخطى حدود حرب واحد لتشمل جميع الأحزاب الاشتراكية على نطاق العالم ويتخطى حدود مجموعة من المثقفين برصهم رباط المواطنة. ليشمل بال جميع المثقفين الاشتراكيين على نطاق العالم. أولئك الذين ظلوا يعقود مصب يتباهون بأنهم قد تجاوزوا حدود رباط المواطنة الضيق ليجتمعهم رباط الأتمية الأشمل والأسمى.\*.\*

موضوع الهيرة قد أصبح الآن مطروحا أمام الأحزاب الاشتراكية والمثقفين الاشتراكيين على نطاق العالم، وبشكل لم يسبق له مثيل من قبل. فخلال العقود الستة الماضية ظل الاشتراكيون على قاعة راسخة بأنهم يمثلون أصدق تفسير للماضي وأوضح رؤية

على العنبر

## هل حقا هناك حتمية تاريخية؟

الحياة . أننا بعض آلات هذا الإيقاع، وأنتا إذ تفعل تكون الممثلين والشاهدين في آن واحد لذلك علينا أن نولي نشاطنا الخاص وأثره على موضوع الاختيار أهمية أكبر. على الأخص عندما تكون في حالة تعامل مع مجال من مجالات الحياة لا نستطيع النفاذ إليه دون المرور عبر ذواتنا. مثل سائر مجالات النشاط الانساني، بما في ذلك الاجتماعي والسياسي منها.

هذه الفكرة الواضحة التي ربما لا نجد غضافة في الاتفاق معها بلا تردد، لم تكن مقبولة في قبل الماديين الأوائل الذين لم يروا فيها أكثر من تغليب للذاتي على الموضوعي. إذ أن السائد حينئذ في جميع مجالات المعرفة المادية ذات التأثير كان فصلاً تصفياً ما بين الذات وموضوعها، مما يجعل الموضوع مستقراً خلال عملية اختياره، وثابتاً في حركته في اتجاه واحد بغض النظر عن حركة أجزائه الداخلية. إذ أن أدوات اختبارهم لم تكن لتنفذ بهم أبعد من حدود السطح. كانت تلك هي حال العلم ومستوى المعرفة في مجال العلوم التطبيقية ذات الأثر المباشر على التعميمات الفلسفية، عندما ظهرت المادية التاريخية بتقريراتها وثقوبتها المثبتة في الحتمية التاريخية. لقد كانت تلك الحتمية في توافق تام مع العلم في ذاك العصر . عصر الميكانيكا النيوتونية، التي كانت تغفر بأنها قد ملكت الناس على الأرض، ومن الأرض، قوانين حركة الكون كله. ألم تمكنهم من متابعة حركة أجهزهم المساوية. وحساب كتلتها وزونها والتنبؤ بجمع خسوفها وكسوفها، بدقة عالية.

في تلك الأجواء لم يكن من المستغرب أن يظهر عالم اقتصاد واجتماع عظيم في حجم ماركس ويقول بكل ثقاف أنه من المعظم، وبغض النظر عن مشيئة البشر، أن يؤدي التطور الاجتماعي والاقتصادي الحالي إلى مجتمع يمكن توصيفه وتحديد الطريق إليه منذ اللحظة وبدقة عالية . ويمكننا أن نتصور مدى انتشار تلك النظرة الوثوقية والروح التقريرية بين المثقفين الماديين في ذاك

العصر إذا ما علمنا أن المادية التاريخية بحتميتها قد بسطت لأول مرة بشكل متماثل في «البيان الشيوعي» الذي كان قد أعد من قبل ماركس وجلس ليجاز كوثيقة من وثائق أحد مؤثرات المثقفين الشيوعيين آنذاك.



تلك كانت حال المعرفة العلمية في ذلك العصر. أما اليوم وقد تعافت معارفنا العلمية وغصتنا في

علينا، أسئلة تشكك في جدوى حلما الأساسي الذي دفعنا للتفكير في هذا كله. أسئلة تشكك في جدوى العدالة والمساواة كحل لمشكلة تطوير علاقات الإنتاج، من أجل تطوير وتجديد وسائل الانتاج وبالتالي خلق الانسان ذاته.

أسئلة مثل أيهما أقوى دفعا لتطوير الانتاج ووسائله: المنافسة أم المساواة ؟ الربح والعائد المادي أم الرقبة المجردة في اكفاء الحاجات الاجتماعية؟ ثم بدون الربح كيف نفيس قدرة منتجنا على اكفاء حاجات الناس؟ كيف نفيس درجة تعليم لها.

ويعد أن يتسرب اليها الشك هكذا في المبرر المادي لبنا الاشتراكية ، ولا يبقى غير المبرر الأخلاقي الذي هو بالطبع غير كاف لقيادة عمل سياسي من أجل تغيير اجتماعي جذري كالذي نرغب فيه، يتسرب اليها حينئذ الشك في الممارسات الأخلاقية المرتقبة داخل المجتمع الذي ننوي خلقه. يتجسد التساؤل حول مدى أخلاقية الطريق المقترح للوصول إلى الاشتراكية على النحو التالي:

-هل لابد من الثورة للوصول إلى السلطة أم أن ذلك يمكن أن يتم دون إراقة دماء . وعن طريق التطور السلمي؟ وبعد الوصول إلى السلطة هل لابد من ديكتاتورية البروليتاريا؟ الا يمكن بناء الاشتراكية في ظل التعددية الحزبية ؟ ثم هل يمكن الاستغناء عن الديمقراطية السياسية بالديمقراطية الاجتماعية أم أنه لابد من مزاجتهما معاً؟

وغيرها.. وغيرها من الأسئلة التي لم تكن، من قبل، تكلفنا الاجابة عليها غير نص من هنا ونص من هناك ونحن نهزأ ونسخر من طارحها. فلماذا عادت اليوم تطرح نفسها بهذه الحدة وهذه الجدية وهذا الالاحاق؟

إن القاعدة المادية التي انطلقت منها هذه الأسئلة سابقة للحملة انهيار المسكر الاشتراكي . والذي حدث هو أن الدوي الهائل لهذا الانهيار هو الذي جعلنا نفق وننتبه من أحلام بقلتنا. أما الضوء الساطع الذي اتبع منه فقد كان كائناً لا ضاءة بجور الواقع وتحدياته الجديد منها والتقديم مما جعلنا نبحث عن رؤيا أسقط للواقع والمستقبل ،ومن هذا المنطلق فإن انهيار المسكر الاشتراكي ليس كله سيئا . فلنهار -كل ما لا يستطيع الصمود أمام تحديات الضرورة . فإن انهياره سيحلج البصائر، ويقوى الغزائم، ويحعل التطلعات أكثر حراً وواقعية. وعليه فلنتطرح أمامنا جميع الأسئلة السابقة واللاحقة بكل حرة ولنجاول الاجابة عليها بكل صدق ونجهد.

ولأن الموضوع كما سيبيدي لكم أكبر من أن يغطي مقال واحد بأسطر لإيجاز حيث لا ينبغي وأعدوني إذا بدت الأفكار في بعض جواب موصوعنا مكثفه ومردحة إلى حد التداخل والامتزاج. ولنبدأ بالأساس النظري للمسألة.

### الحتمية التاريخية

لقد كن للاشترائيين، والماركسيين منهم على وجه التحديد دور بارز في ترسيخ النظرة المادية للتاريخ. تلك النظرة التي ظهرت بداياتها الأولى قبل ذلك بكثير ولكنها تعافت ورنسخت من خلال عمل الرواد الأوائل في القرن التاسع عشر. أيام سادة الأفكار العلمية القطعية . عندما كانت قواييم الطبعية نظراً إليها لقوانين نافذة رغم كل إرادة . وبإقية لا تتغير. تماماً كما تبدت لكثفتها لأول مرة.

اليوم تعلمنا أنه من الحكمة ألا ننسى حينما نريد أن نكتشف إيقاع

○ ○ أما اليوم وقد تعمقت معارفنا العلمية

، غصنا في الطبيعة بعيداً عن السطح إلى

أعماق جزئيات الذرة فلسوء الحظ لم تترسخ

تلك الوثوقية بل انهارت كل قلاع الاطمئنان

عندما سقطت السببية وظهرت ميكانيكا الكم



التراكل والعجزية القائمة على أن المادية التاريخية لا تدعونا لنحاز  
المهمات الملحة بقدر ما تطمئنا بأننا إن لم نتجزها فسينجزها غيرنا.  
ولقد أدى ذلك إلى ممارسات طريفة ونوادير مبهكة نرجو أن نتجاوزها  
ببنى فهم أكثر ديناميكية لحركة التاريخ.

### محتوى العصر

هل نحن حقاً في عصر انتصار الاشتراكية وانهيار الرأسمالية؟  
هذا السؤال بدأ يطرح نفسه بعد أن خابت محاولات الاشتراكيين خلال  
القرن العشرين أن تخلق مجتمعات اشتراكية. وبدلاً من ذلك ظهرت  
مجتمعات رأسمالية تحت ظل الشعارات الاشتراكية وفي الطرف الآخر،  
في معسكر الرأسمالية ظل الاشتراكيون ينتظرون الأزمة المدمرة، قمة  
أزمات الرأسمالية الدورية كما وصفها ماركس. الثابتة من إنفلاتات  
عملية الإنتاج، المؤدية إلى تكسك المنتجات، وتوابعه من بطالة، وتوقف  
لعملية تطوير وسائل الإنتاج في ظل العلاقات الانتاجية القائمة. الشئ  
الذي يدفع بالتناقض بين علاقات الإنتاج ووسائل الإنتاج إلى المقدمة،  
ويدعو للثورة من أجل حل هذا التناقض. فيتم الخلاص. ولكن شيئاً من  
هذا السيناريو لم يتحقق. طال الانتظار. وبات الترقعات بالفشل.

تجسدت خيبة الأمل في كلا الحالتين التجارب الاشتراكية  
الوليدة لم تستطع أن تتجاوز أخطاءها وتقدم من نصر إلى  
نصر كما توقعنا، بل انهارت من الداخل، والرأسمالية برهنت  
أنها أكثر قدرة على المروعة والدوران حول أخطائها. لقد  
أرخنا بداية نهاية الرأسمالية بشورة أكتوبر الروسية عام ١٩١٧. وكنا  
نتوقع أن يبدأ بعد ذلك بنیان الرأسمالية في الانهيار لانه تلو الأخرى،  
وبلا عودة تماماً كما حدث للنظم الإقطاعية من قبل على يد الرأسمالية.  
ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. معسكر الرأسمالية يتقدم العالم في  
مجال التقنية والاقتصاد. والمعسكر الاشتراكي يتعثر في خطوته، بل إن  
الرأسمالية تغزو في عقر داره. وتتركز كطليقة جديدة من داخل مؤسساته  
الحاكمة. ما الذي يحدث هنا؟ لماذا لا يسير التاريخ سيرته السابقة؟  
وبنهد القديم وتبقى الجديد. هل يحايي التاريخ الرأسمالية ويغاصم  
البروليتاريا؟ لا بد أن هناك أسباباً أكثر موضوعية من ذلك. لنجدها  
عندما ننسى خيبة أملنا ولادة الحماسة الجوفاء. ونفكر بروية أكبر.

نجد أن الرأسمالية عندما جيمت على النظم الإقطاعية وحقت  
انتصاراتها الحاسمة تلك، لم تكن فقط تبشر بعلاقات إنتاج  
أكثر عدلاً وأقل استعباداً للشغيلة بل كانت تدفع  
أمامها وسائل إنتاج جديدة أكثر عدلاً لا يمكن تشغيلها  
في ظل العلاقات الانتاجية السائدة آنذاك. جاءت تدفع

الطبيعة بعيداً عن السطح إلى أعماق جزئيات الذرة وكوم الطاقة، فلسوء  
الحظ لم تترسخ تلك الوثوقية المطمئنة. بل انهارت أمام أعيننا جميع  
قلاع الاطمئنان عندما سقطت السببية في مجال فيزياء الجزيئات وعالم  
اللامرئيات. وظهرت ميكانيكا الكم (Quantum Mechan-ics)  
بدنياميكياتها التي قربتنا في مجال الفكر من سرعة حركة  
الواقع. ولما تبين لها ألا مجالاً لادراك سرعة حركة الواقع عن طريق الفكر  
الذي هو أحد نتائجه، بدأت تحتال عليه بواسطة علم المصادقة  
والاحتمالات. فرفعت من شأن الاحتمال والمصادفة وقللت من شأن  
التقريرية والحتمية.

ونذكر مدى علاقة هذه الكشوفات العلمية بموضوعنا إذا لم نغفل  
أوجه الشبه بين عالم الجزيئات والمجتمعات البشرية. وذلك في جانبين  
أساسيين: جانب عشوائية حركة الأفراد وبالتالي احصائية قوانينها  
وجانباً مرنية حركة الأفكار في المجتمع وتشابهها مع لا مرنية حركة  
الجزيئات في المادة. وحركة الفكر في المجتمعات البشرية هي التي تؤدي  
إلى تغير أوضاع ميدان الدراسة الذي هو المجتمع، تماماً كما تفعل  
جزيئات مادة الاختيار عندما تسقط على جزيئات المادة موضوع الاختيار  
فتحرك جزيئاتها وتجعل من المستحيل تحديد مواضعها وسرعة حركتها  
بدقة مطلقة. الفرق بين المثلين هو أنية تأثير الفوتونات على الجزيئات  
، وعدم أنية تأثير الفكر على حركة المجتمعات البشرية. والآن ومع ازدياد  
سرعة انتقال المعلومات بقرص هذا التأثير من الآنية.

إن ما يحدث في المجتمع هو شبيه جداً بما يحدث على المستوى الذري  
والجزيئي في المادة. مع الفارق طبعاً. هناك قوانين تحكم العلاقات ولكن  
هناك أيضاً مقدار من الحرية في الحركة يجعلنا نحتاج إلى الاحتمالات  
لنتابعه.

واليوم وبعد أن تطورت وتعمقت معرفتنا بالطبيعة وبالمجتمع.  
وغصنا في الطبيعة إلى حدود جزئيات الذرة وكوم الطاقة وفي المجتمع  
إلى حدود العلاقة بين الخاص والعالم، أصبح من غير الممكن الاعتراف  
باللفظ فقط بالفعل ورد الفعل في المجتمع مع التمسك في نفس الوقت  
بالهتمية. لقد أصبح من الممكن أن نرى وبكل وضوح أنه ليست هناك  
حتمية تاريخية غيبية كما كنا نتصور. بل هناك ملزومات  
موضوعية للنظر تقابلها من الجهة الأخرى قدرة لا محدودة للبشر على  
الترويض والتطوع والتجاوز للواقع. ويمكن أن تستخدم هذه القدرة في  
أى من الاتجاهين.

لقد سادت تلك النظرة الوثوقية التقريرية الغيبية عن الحتمية  
التاريخية لسنين طويلة داخل الأحزاب الاشتراكية. وانتشرت معها روح

محدودة للامسان على التطوع  
والترويض والتجاور.

عما مضى يتضح أن بيتنا وبين عصر  
انتصار الاشتراكية تصنيع مجتمعنا  
والوصول بها إلى عتبة الأتمتة. ولقد  
برهن الجانب الايجابي في تجربة الاتحاد  
السوفيتي وشرق أوروبا والصين أنه  
ليست الرأسمالية وحدها هي القادرة  
على نقل المجتمعات المختلفة إلى  
مجتمعات صناعية. وأنه من الممكن أن  
يتم التصنيع دون أن تكون السيادة  
المطلقة في الدولة للرأسمالية.. ولكن  
من الأفضل أن يتم في ظل علاقات  
السوق.



كارل ماركس

## هل نحن حقا

في عصر انتصار

الاشتراكية

و انهيار

الرأسمالية

لماذا وإلى متى  
نستبقى علاقات السوق  
علاقات السوق (البضاعة والمال)  
هي علاقات  
تبادلية  
سابقة

للمرأسمالية

تسهل عملية

التوزيع. وعملية بيع المنتوج بأعلى من  
سعر التكلفة لا تتم فقط بدافع المصنع الرأسمالي. ولكن تحصيل الربح  
ضرورة موضوعية من أجل تجديد أدوات الانتاج ومن أجل فتح آفاق  
انتاجية جديدة ومن أجل الصرف على أعضاء. في المجتمع فاعلين ولكنهم  
لا يشاركون مباشرة في عملية الانتاج. إنها وسيلة من وسائل توجيه  
الاستهلاك ليكون دائما أقل من الانتاج حتى يستطيع المجتمع تطوير  
عملية الانتاج. لذلك فالتوزيع الذي هو تدبير ما قبل رأسمالي  
والذي تحكم في كل شيء خلال حقبة الرأسمالية سيبقى  
بعد زوال سلطة الرأسمالية. لأنه ليس شراً في ذاته ولكن  
الشر هو أن يذهب الربح إلى حيث لا ينبغي. أن يصب في جيوب من لا  
ينتجون الربح لا يخطأ نوازع الأنانية الا عندما يستغل من أجل الأفراد  
الشخصي. أي أن سرقة الربح هي التي نتج من وتقوى الأنانية  
والتنازع. السوق ليس سبباً لهد الأنانية ولكنه علاقة اقتصادية لا زالت  
ضرورة بين البشر في المرحلة التاريخية الحالية واللاحقة. السوق إذا ما  
أبعدت أرباحها عن جيوب الرأسماليين يمكن أن يصبح نظاماً جيداً للتوزيع  
العادل للمنتجات بدلاً من التوزيع المركز الذي يخدم بيروقراطية الدولة  
والحزب وأن يصبح موجهاً جيداً للعائدات في استثمارات يحتاجها المجتمع  
بدلاً من توجيهها لبناء صناعات تقاخرية صفة مترهلة تحت ثقل  
أجسادها. كما حدث في الاتحاد السوفيتي.

رغم أن مركزية الاقتصاد بدأ بدوافع ثورية وربما برغبة صادقة في  
خدمة الجماهير العريضة وتنمية المجتمع إلا أن النتائج التي تؤدي إليها  
بعد ذلك من تدرج في الضروريات، وسلطة وسطرة ونفوذ غير  
محدودة لفئة قليلة من المخططين السياسيين والاداريين التنقيديين سرعان

أمامها الآلة البخارية ثم آلة الاحتراق والكهرباء. وألأنها المختلفة وسارت  
في هذا المضمار تجدد حتى الآن. مما قفل الباب تماماً ومنذ البداية أمام  
عودة الانقطاع.

أما ثورة ١٩١٧ وما تلاها من امتدادات لم تقم إلا على الأساس  
الأخلاقي المتمثل في فرض علاقات إنتاج أكثر عدلاً مما هو سائد في النظم  
الرأسمالية. ولكن ما هي وسائل الانتاج الجديدة التي أدخلتها على ما يكن  
في مقدور النظم الرأسمالية استيعابها؟ لا شيء. أي أن ما سمي  
بالمعسكر الاشتراكي لم تفرض وجوده ظهور وسائل انتاج  
جديدة لم يستطع سلفه استيعابها، لم ينشئ على أسس  
مادية جديدة، بل فقط على أساس أخلاقي جديد. ولأن  
الأحلام والتطلعات مهما كانت نبيلة لا يمكن أن تتخلل وحدها نباشاً  
اجتماعياً ثابتاً انهار الحلم الاشتراكي قبل أن يبلغ عامة الثمانين.

ولكن لماذا لم يجد الاشتراكيون غير الأحلام النبيلة يشيدون عليها  
معسكرهم؟ ببساطة لأنه لم يكن يوجد غيرها. فالأساس المادي للثورة  
الاشتراكية لم يكن قد ظهر بعد. وسيلة الانتاج الجديدة التي يعجز البناء  
الاجتماعي للرأسمالية عن استيعابها لم تكن قد اخترعت بعد. هذا  
الأساس المادي الذي شئني عليه مجتمعات اشتراكية حقيقية واسعة  
البنیان، وتبديل على أساسه علاقات الانتاج بأخرى لا تركز عنها. هذا  
المحول الذي سيهدم به الاشتراكيون قلاع الرأسمالية هو  
اللاتمة. هو عملية إحلال الآلة محل الانسان هذه الآلات  
الذكية التي تحاكي عمل الانسان وتتفوق عليه في بعض الجوانب هي  
وسائل الانتاج الجديدة التي لن تستطيع الرأسمالية استيعابها قط. لأنها  
لن تستطيع استخدامها الا على حساب استقرار مجتمعاتها.

إن أكبر تحد تواجهه الرأسمالية اليوم هو فرض  
الربوط على مصانعها. وإحلال الأزرع الآلية ومنظومات  
التحكم الأوتوماتيكي والانظمة الذاتية محل العامل  
القابع للآلة. مما سيؤدي إلى ارتفاع غير مسبوق في  
معدل البطالة مشعلاً فتيل أزمة الرأسمالية النهائية..  
وبينما تؤدي الأتمتة في المجتمع الرأسمالي حتماً إلى البطالة بحكم  
علاقات الاستغلال الطبقي السائدة، التي لا ترى في العامل غير مشروع  
استنزاف. يمكن أن تؤدي هذه الفتنة التكنولوجية في مجتمع أكثر  
عقلانية إلى عمالة كلية مع ساعات عمل أقل وساعات ابداع أكثر. أي  
تؤدي إلى المزيد من التطور التكنولوجي والمزيد من توفيره للامسان بدلاً  
من البطالة والتشرد الذين ينشرون بايقاف عملية الأتمتة. وعملية عقلية  
تطور وسائل الانتاج في ظل  
علاقات الانتاج الرأسمالية القائمة.

هذا هو التناقض الذي لا حل له  
في ظل علاقات استغلال طبقي من  
أي نوع. وتلك هي وسائل الانتاج  
التي يستوجب استيعابها وتطويرها  
القضاء على علاقات الانتاج  
الرأسمالية القائمة وإحلال علاقات  
انتاج أكثر جماعية محلها. ولكن  
ننبئ أن نذكر دائماً أنه ليست  
هناك حتمية تاريخية غيبية. هناك  
ملزمات للتطور تقايلها قدرة لا





حاجات هامة جداً يرى في اكتفائها تهديداً لوجوده فنحن مثلاً لا نتوقع أن يستثمر الرأسماليون في نشر الفكر، والأدب والفن الثوري، أو عنوماً في نشر الثقافة المجادة رغم أنها حاجات اجتماعية ضرورية جداً.

كما تقدم ترى أن اقتصاد السوق له وعليه، له المرونة والقدرة على تحسّس نبض الشارع من خلال حركة السوق ثم الاستجابة السريعة لحاجات المجتمع الاستهلاكية لذلك قلما توجد في ظلّه ندرة في الضروريات، وعليه يتبدد ثروات المجتمع في المضاربات، والسعي نحو الاحتكار، والتعامل اللامسئول مع البيئة والحامات والثروات الطبيعية، ثم الأعمال المتعبد لكل ما هو إنساني وقيم ولا ربحي في حاجات المجتمع.

**إذا فالمعضلة هي كيف نجمع ديناميكية الاقتصاد السوق وانسانية الاقتصاد المخطط في منظومة واحدة.** وذلك كما أسلفنا ليس مستحيلاً إذا سدنا القنوات التي يتدفق من خلالها

الربح إلى جيوب غير المنتجين، ولسد هذه القنوات لابد من تحويل مؤسسات الرأسماليين إلى الملكية العامة، ورغم أن هذه الملكية العامة قد ارتبطت بالاقتصاد المخطط إلا أن هذا الارتباط لم يكن أكثر من مجرد خطأ في التطبيق ولده الحرس الزائد عن الحد للقيادات الاشتراكية الأولى والثاني من إحساس المثقفين الداخلي بأن أحلامهم الاشتراكية تلك كانت معزولة عن الواقع، ومصرص بها من قبل



ليبين

أعداء أشداء قادرين على استعادة سيطتهم إذا لحوا أي بأداة ليبرالية.

**ولكن من يمال إن الملكية العامة هي ملكية بيروقراطية الدولة لوسائل الإنتاج؟**

أليس من الممكن أن تكون هذه الملكية العامة مؤسسات انتاجية ذات ادارة حرة وصياغة من قبل المنتجين مع قوانين عامة تنظم علاقتها بالدولة ولكن دون تدخل مباشر من قبل السلطة المركزية؟ وفي هذا الاطار يمكن أن تتبدع أشكال عديدة أخرى تستقي الرقابة وفي نفس الوقت لا تترصد أبواب الخلق والابداع... أشكال قادرة على استيعاب ما هو قائم من الحرية الاقتصادية ولكن في إطار الملكية العامة. ولحماية ادارات هذه المؤسسات من بيروقراطية الدولة البعيدة عنها يمكن اتباع تعابير على النحو التالي

- إن تترك الحرية للمؤسسات الانتاجية أن تحدد أسعار منتجاتها على أساس تكلفة الإنتاج والربح المطلوب، وعلى أساس العرض والطلب.
- أن يفتح الباب للمؤسسات الانتاجية لتستثمر أرباحها في فتح مجالات انتاجية جديدة لكفاءه الحاجات الاستهلاكية المهمله أو الجديدة.
- ألا تساعد السلطة المركزية أي مؤسسة انتاجية على تغطية عجزها إلا في شكل قروض قابلة للسداد من الأرباح أو على حساب دخل المنتجين.
- أن تعتمد الدولة عن تشييد المؤسسات الانتاجية العملاقة التي

ما تفرز فئة بيروقراطية تعجدها فوق المجتمع ومستأثرة بجبل انتاجه الضعيف. ثم بعد ذلك تنمو روابط مصيرية بين البيروقراطية والاقتصاد المركز. ويدين كل منهما ببقائه للأخر فالسيطرة على السوق من قبل جهاز الدولة بدعوى الفائه هي مقدمة للفساد السياسي والاجتماعي لأن السوق لن يزول إلا مع زوال الدولة.

إن رغبة معظم الناس، بين فيهم مواطن ما أسيناه بالمعسكر الاشتراكي، في المزيد من الاستهلاك والقليل من العمل، وعدم حماسهم لرفع انتاجيتهم إذا لم يصاحب ذلك ارتفاع في مداخيلهم، لا يمكن التخلص منه إلا في مجتمع به وفرة حقيقية تجعل حاجات جميع أفرادها الأساسية مقضية إلى الحد الذي يبعد عملية الاستهلاك في مجال المنافسة بين أفراد المجتمع بشكل قاطع.

وحتى نصل بقدرات مجتمعنا الانتاجية إلى ذاك المستوى ينبغي أن نتعامل مع الواقع بما يستحقه من

موضوعية. وأن نفهم أن الرغبة في الاستهلاك، الرغبة في التصنع بجاه الحياة ليست أخلاقاً مرحوزية وإن الرهينة والتسكك والتصرف ليست أخلاقاً بروليتارية بل هي مواقف معادية للحياة والتقدم.

كما أسلفنا فإن احتكار الدولة للإنتاج، مع التخطيط المركزي، والتوزيع الموجه لا يلغي السوق ما دامت هناك دولة، ولكن فقط يذثره بغطاء أسود، ويحرم الادارة الانتاجية بالادخال السوق ومتطلبات الاستهلاك، يحرمها

من الآثار الايجابية للسوق ولا تمنحها اتاده السلبية فما هي هذه الآثار السلبية والاييجابية للسوق؟

لقد برهن اقتصاد السوق أنه قادر على التغلب على الندرة في الأساسيات، كما أن وجوده وضرره للإنتاج، ولكنه في المقابل يبدد الطاقات الانتاجية والثروات الاصناعية من خلال حروب السوق التي يشعلها في مجال المنافسة والمضاربات. كما يؤدي في النهاية إلى احتكار ثروات المجتمع من قبل فئة صغيرة من أفرادها، ورغم هذا الطابع البذخي والصفاء التبتدية للاقتصاد السوق إلا أننا نجد أكثر تماسكاً وقررة في الاقتصاد التخطيطي لأن التزود المستمر للحاجات الاستهلاكية الجديدة، التجدد الدائم لهذه الحاجات والنتاج أحياناً من عملية استهلاك المنتجات الموجودة نفسها، هي عملية ديناميكية لا يستطيع أي نظام تخطيطي توجيهها الانتاجية لها بالسرعة الكافية، لفقدها المرونة بحكم تخطيطه المسبق. أما اقتصاد السوق فـ رغم - انفلاته المدمر إلا أنه يحكم هذا الانفلات نفسه له المرونة الكافية التي تجعله يستجيب في فترة زمنية معقولة للحاجات المتولدة حديثاً. ورغم أنه من المستحيل أن يفسر تطور الإنتاج وتطور الحاجات الاستهلاكية على نفس العتبات في نفس الوقت بنفس الوتيرة لكن على أي حال ديناميكية اقتصاد السوق يجعله يسرع بتوجيه العملية الانتاجية لكفاءه الحاجات الجديدة طبعاً ليس كل الحاجات الجديدة يستجيب لها اقتصاد السوق الرأسمالي، إنه يتخبر من بين الحاجات ليس أهمها ولكن أكثرها ادواراً للربح، كما أنه يهمل



## ديمقراطية اجتماعية أم ديمقراطية سياسية

عندما اقترح لينين ديكتاتورية البروليتاريا كحل لمعضلة تثبيت السلطة الوليدة في وجه محاولات الطبقة المهيمنة لاستعادة مواقعها كانت بعض دوافعه ومنطلقاته هي:

١- وضع حل واقعي وعملي لقضية ثبات واستقرار السلطة السياسية خلال عملية البناء الاشتراكي التي حتما لن تقابل بالترحاب من قبل الأعداء الطبقيين في الداخل والخارج.

٢- الاحترار المصفي لما سمي بالديمقراطية البرجوازية بتعددتها الحزبية التي هي ليست أكثر من مجرد خداع للجماهير، التي تحرم من أبسط مقومات الحرية والاستقلال الاقتصادي ثم تعرض عليها الحرية السياسية. ويطلب منها اختيار ممثلها السياسيين في حرية كاملة، ولكن بعد أن توضع كل مفاتيح اللعبة السياسية والاعلامية منها والاقتصادية في يد طبقة واحدة هي الرأسمالية.

٣- الايمان بأن «علاج الديمقراطية هو المزيد من الديمقراطية» وأن ذلك يتحقق، كما كان يرى بسيادة الديمقراطية الاجتماعية. بالتوزيع العادل لثروة المجتمع، الذي كان يرى أنه لا مانع من أن يتم تحت التوجيه المباشر لقيادات ولجان الحزب الحاكم، في ظل «الديمقراطية المركزية». وعندما تنجز هذه المهمة لا يعود هناك أي ميرر لتعددية حزبية، إذ أن الأساس الطبقي لهذه التعددية يكون قد انهار. وهكذا تكون قد انحللت مشكلة الديمقراطية دون الحاجة إلى الرأي الآخر. وعلى أي حال ما دام الطريق يبدو واضحا والاتجاه واحدا فما الحاجة إلى الرأي الآخر؟

في غمرة هذا العداء لكل ما هو برجوازي دمغت التعددية واحترام الرأي الآخر بصفة البرجوازية ورفضت بتسرع لم يتح الفرصة لتبين أن الديمقراطية السياسية والتعددية الحزبية ليست أدوات للخداع السياسي البرجوازي بمقدار ما هي منجزات سياسية انسانية مفروضة على البرجوازية نفسها. وإن البرجوازية عندما تحضن التعددية الحزبية، بعد تدجينها طبعاً، لا تفعل ذلك الا مرغمة ومجبرة على قبول الأمر الواقع، فالبرجوازية تتنازع بمقدار من المرونة والبرجماتية تجعلها تتراجع وتتلازم مع الواقع عندما يكون التشدد معناه الوقوف ببلافة أمام عجلة التاريخ. وهذا أحد أسرار نجاحاتها في التغلب على أزماتها حتى الآن.

تغطي السوق كله ولا تنافس.

- أن تخلق منافسة غير أنانية وغير مدمرة بين المدن مثلاً. بتوزيع مؤسسات منتوج واحد عديد التوزيعات عليها. مما يساعد على الوفرة والتنوع.

وغير ذلك من التدابير التي تقرتها من مجتمع العدل والمساواة الكاملة الذي طالما تقفنا اليه ولكن في نفس الوقت لا نحاول اجبار الواقع على ما لا يقبله.

عندما كتب ماركس ما كتبه عن اقتراب العمل. وعن توق الانسان الأبدى لأن يعمل وينتج بدافع الرغبة الحقيقية في العمل المنتج الذي يجدد من خلاله ذاته. لم يكن من الممكن أن يواجهه عاقل بأن الدافع الحقيقي للعمل ليس تهديد الذات. وإنما هو عصى الحاجة وذل الفقر. وفي أحسن الأحوال التنافس والرغبة في اثبات الذات من خلال النجاح الفردي وتجاوز الآخرين. وغير ذلك من الدعاوى البرجوازية الوضعية. أما الآن وقد إنهارت بين أيدينا أولى محاولتنا القسرية لبناء مجتمع خال من الحاجة والفقر والتنافس الفردي، فقد أصبحت أكثر موضوعية من أسلافنا وتبين لنا أن دوافعنا وتطلعاتنا نحن المثقفين ليست بالضرورة هي تطلعات جميع أفراد مجتمعنا. إن مجتمعنا لا زال يعيش في عصر ما قبل الرأسمالية ويدور تحارز هذه المرحلة لا يمكن أن نفرس تطلعاتنا الثورية هذي في عقول افراد أولئك الذين لم يتعلموا بعد التجاوز العقلي لواقعهم.

ينبغي أن يصبح الاشتراكيون أكثر واقعية وأن تقرول جميع الأحزاب الاشتراكية أن مهمتها الأولى هي خلق مجتمعات جميع أفرادها متحررون من القلق حول متطلبات الحياة ليوم غد. وخالية من الاستغلال الطبقي والفراخ الطبقية. أما المساواة بالمعنى الحرفي للكلمة، إلى حد إنكار الحافز المادي، فهي حتى الآن عند العديدين دعوة للخمول والتواكل ومخمد لمجدوة الإبداع الفردي.

لينا، مجتمع جديد ينبغي خلق الانسان الجديد جنباً إلى جنب مع القاعدة المادية الجديدة، وهذه ليست دعوة للموظ والارشاد ولكنها دعوة لمراقبة الواقع وتبدلاته على المستوى المادي والأخلاقي حتى يثبت أهليته للجديد. إنسان من هذا النوع فاعل وخالق لا يمكن بناؤه في ظل ديكتاتورية أب كان اسماً. لا يمكن بناؤه إلا في جو ديمقراطي حقيقي متعش ونقي.

○ ○ المعضلة هي كيف نجعم بين ديناميكية اقتصاد

السوق وإنسانية الاقتصاد المخطط في منظومة

واحدة وذلك ليس مستحيلاً إذا سددنا القنوات

التي يتدفق من خلالها الربح إلى جيوب غير المنتجين



المهم أن ندرك نحن الآن أن قبول الرأي الآخر واحتضانه في مؤسسة السلطة السياسية والإعلامية هو مستوى حضارى للبني الفوقية وصلت إليه الإنسانية بعد طول معاناة مع النظم القمعية الاستبدادية ولن تراجع عنه.

**والاستماع للرأى الآخر ليس فقط موقفاً أخلاقياً**  
ولكن ضرورة موضوعية ، اجتماعية واقتصادية . لأنه بدون الاستماع للرأى الآخر ، بدون الرقابة الشعبية الحرة لا يمكن اكتشاف الأخطاء وتعديل مسار حلال عملية البناء . كما أنه لا يمكن ترسيخ ثقافة الجماهير لمخطط الثورى الصحيح الا من خلال الصراع بين الرأى والرأى لأخر . أما رفض الرأى الآخر بدعى الحفاظ على وحدة الصف ومكافحة الأفكار الانهزامية وتعبئة الجماهير من أجل هدف واحد نهائى ، الطريق إليه واحد أحد فليس الا تبرير العاجز للاستبداد والديكتاتورية . الديكتاتورية التى ظلت مقبولة كتصحية مؤقتة من أجل هدف نبيل هو تهئية الظروف الموضوعية لحلق المجتمع الفاضل . تلك التهئية التى كان يتم تصورها كعملية بناء اقتصاد اشتراكى معرولة عن وسابقة لعملية بناء الانسان الاشتراكى . وذلك على أساس فهم خاطئ يقول بأن الانسان يتغير اذا غيرون واقعهم الاقتصادي . والصحيح هو أن الانسان يتغير من خلال تعبيره هو ، الواعى والارادى ، لواقعهم الاقتصادي . وليس من خلال الفئانه فى واقع مفروض عليه ، حتى لو كان هذا الواقع هو جنة الاشتراكية .

هذا الفهم الاستاتيكي الخاطئ للعلاقة ما بين الشروط الموضوعية والتطور الذاتى والاجتماعى هو الذى برر عدداً من التصحيحات الخاطئة والتبرجعات الأبرية الضارة . ولقد رأينا فى تجربة الاتحاد السوفيتى وشرق أوروبا كيف أدت التصحية بالفرد من أجل الجماعة إلى ضياع الفرد والجماعة . وأدت التصحية بالمحاضر من أجل المستقبل إلى خسارة الحاضر والمستقبل . أما التدخل اللغز فى الحيارات الفكرية والأخلاقية لأفراد المجتمع فقد أعجب انساناً متردداً ماتت فيه روح الجرأة والاحتحام والتصحية والتألق والابداع التى أنجز بها ثورته ودخل بها أعوام البناء الأولى . فأصبح بعد ذلك باناساً منطرباً يفرق بأسه وجهته ولامبالاته فى الحبحر فكانت أعلى نسبة إدمان فى العالم هى فى موسكو .

من المؤكد أن الاشتراكية لا يمكن أن تنشى بدون ديمقراطية . ليس فقط ديمقراطية اجتماعية ولكن أيضاً وأولاً وأساساً ديمقراطية سياسية . لأنه من غير الممكن تجاوز أخطاء التطبيق دون الاستماع للرأى الآخر . ومن الخطأ الاعتقاد بأن اختلاف الرأى أساس اختلاف المواقف الطبقية فقط . وإننا ما دمتا بسبيل إزالة الفوارق الطبقية فائنا سنوحد الآراء وتلقى الرأى الآخر نهائياً . هذه العقلية التوتاليتارية هى أحد أسس الموقف الخاطئ للأحزاب الاشتراكية من حرية الرأى . أيضاً من الأسس النظرية الخاطئة التى برر بها عدد من صنوف التمتع والكبت والارهاب الفكرى الاعتقاد بأنه ما دام الهدف نبيلاً فيمكن التضحية بكل شئ من أجله . وما دام الطريق واضح المعالم فإن أى اختلاف حول شعابه ومسالكه غير مبرر وغير مقبول . وينسى أن ما هو واضح المعالم بالنسبة للبعض ليس بالضرورة واضحاً بالنسبة للجميع . بل ليس بالضرورة أسلم الطرق

مسلكاً إلى الهدف . وبما أن عملية بناء مجتمع جديد لا هى مؤامرة ولا هى مهمة نخبة مصطفىاء دون الآخرين بل هى عمل حاضى ينبغى أن يشارك فيه الجميع عن قناعة وباختيار ، لذلك لا بد من الديمقراطية من أجل بناء الاشتراكية . كما أن التعددية الحزبية فى إطار الواقع الاشتراكى أيضاً ممكنة . إذا كانت الرأسمالية الأقل إنسانية وعقلانية قد ارضت التعددية بل وجدت فيها تثبيتاً وتقوية لسلطتها فلماذا لا يصح ذلك مع السلطة الاشتراكية .

نعم إنه من الممكن بناء الاشتراكية فى ظل التعددية الحزبية ، ولكن هل من الممكن وصول الاشتراكيين السلطة من خلال الديمقراطية السياسية القائمة فى المجتمع الرأسمالى ؟

الديمقراطية السياسية القائمة تسمح بالتعددية الحزبية ولكن فى إطار المجتمع الرأسمالى وهذا مفهوم جدا . ولقد برهنت تجربة الاشتراكيين الديمقراطيين وعدد من الأحزاب الشيوعية الأوروبية أن وصولها إلى السلطة من خلال صناديق الاقتراع غير ممكن وغير مسموح به الا بعد تقليص أطراف الاشتراكية وتدريبها إلى الحد الذى يجعلها غير مؤذية ومقبولة للرأسمالية ولأن الاشتراكيين بالضرورة أكثر تمسكاً بالديمقراطية من الرأسمالية ينبغى أن يصروا على النضال من خلال المؤسسات الديمقراطية القائمة التى هى كما أسلفنا مفروضة على الرأسمالية . وأن يصروا على توسيع دائرة ديمقراطية هذه المؤسسات حتى تضيق بهم الرأسمالية وتقتف بهم إلى ميدان المواجهة المسلحة . وعندئذ فقط يتأكد بالدليل القاطع أن الجديد قد اكتسب من الشعبية ما يؤهله لهزيمة القديم .

إن هذا الطريق ، طريق النضال السلمى السابق للحظة الجسم الثورى ، ينبغى أن يغير بصير وروية وأى محاولة متعجلة لاختصاره مضرة إلى الحد الذى يحول الثورة إلى مؤامرة .

والآن يمكننا إيجاز ما تقدم فى الآتى :

- ليست هناك حصصية تاريخية غيبية . هناك ملزمات موضوعية للتطور تقابلها قدرة لا محدودة للانسان على التطويع والترويض والتجاوز .

- لن تهد الطبقات الثورية المجتمع القائم الا وفى أهادبها وسيلة انتاج جديدة لا يستطيع البنيان المجتمعى القائم استيعابها .

- السوق وسيلة توزيع ما قبل رأسمالية وستبقى فى ظل الاشتراكية ولكن بعد إبعاد أرباحه عن جيوب الرأسماليين .

- الديمقراطية السياسية ليست بدعة بروجوازية ولكنها بناء فرقى متطور لن تتخلى عنه الا تجاوزاً . ومن الممكن بناء الاشتراكية فى ظل التعددية الحزبية .

- لا يمكن أن يصل الاشتراكيون إلى السلطة من خلال صناديق الاقتراع الرأسمالية . ولكن محاولة اختصار الطريق بالقفز فوق صناديق الاقتراع دون مبرر يمكن أن تحول الثورة إلى مؤامرة محكوم عليها بالفناء .

أصبح مصطلح «التبعية» مفهوماً الآن لدى كثرة من الناس، سواء كانوا متخصصين، أم مواطنين عاديين. وهو يصور علاقة بين اقتصاديات ضعيفة، واقتصاديات أخرى مهيمنة. بعبارة أخرى، يصور العلاقة بين بلدان العالم الثالث، وبين البلاد الرأسمالية الصناعية، حيث تسيطر هذه الأخيرة على الأولى، عن طريق شركاتها العابرة للقوميات. وتستنزف حانياً كبيراً من ثرواتها في شكل تجارة غير متكافئة، وأرباح عالية، وفوائد كبيرة على رؤوس أموالها، بالتفصيل، الذي سبق قوله في مقالاتنا عن التبعية في الأعداد السابقة من اليسار..

والتبعية أخطر من الاستعمار التقليدي. كان الاستعمار القديم فجاً، يباشر الاستغلال للمستعمرات، بطريقة مباشرة عقلية. عساكره وأساطيله تحرس عملية الاستغلال الاقتصادي جهاراً نهاراً. فظهر الجانب العسكري والسياسي لهذا الاستعمار، وأثار القوى الوطنية، وناضلت الشعوب للتخلص منه وما إن وضعت الحرب العالمية أوزارها، حتى هبت شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية المستعمرة، فطالبت بالاستقلال، وتحقق لكثير منها هذا الاستقلال السياسي، وجلاء عساكر الاحتلال عن أراضيها. ولكن رؤوس الأموال في الغرب، في حاجة ماسة للمستعمرات القديمة، فهي أسواق واسعة لمنتجات الغرب الصناعية، وهي حقول كبيرة للمنتجات الأولية، اللازمة لتلك الصناعة..

وتطلب الأمر أن تطور وسيلة الاستغلال. فبدلاً من النهب لثروات المستعمرات في حراسة الجيوش المحتلة للمستعمرات، طبقت وسائل أخرى فاعلة، قد لا تكون مريبة للشخص العادي، فالمستعمرات أصبحت مستقلة. ولكن المعروف، أن الهدف الأكبر للاستعمار، هو الاستغلال الاقتصادي، ولا بأس أن تقوم بذلك الشركات الاحتكارية، العابرة للقوميات، حيث تفرض على بلاد العالم الثالث، وهو موطن المستعمرات القديمة، تبعية خاصة بالتجارة والتكنولوجيا، ورأس المال، أكثر كثافة وإحكاماً منها في الفترة القديمة.

## التخلص من التبعية

وأصبح الاستقلال شرعياً، تزايد، وتطلبه بعض حكومات العالم الثالث. ولا بأس بتلك الحكومات، ورجال أعمالها، فكثير منهم يفضل التبعية، وأن يعيش طفلياً تابعاً لرأس المال الأجنبي، وأن الحكومات يعود عليها بعض الأداة الظاهرة، في شكل ما يسمى «بالمعونات».

وقد ظهرت قصة المعونات في مصر، في الأيام الأخيرة، حيث ألغيت المعونات الأمريكية، باقتراح «شيخ» من مجلس الشيوخ الأمريكي، أو لجنة من لجانه، متعاطفة مع إسرائيل، وما أكثر المتعاطفين في أمريكا مع إسرائيل ضد العرب.

## واجب القوى الوطنية

وقد تآمر نأياً قطع المعونة فزعاً في الدوائر الرسمية، وبدأ بعض الكتاب المزيدين للمعونات في مهاجمتها، والتقليل من شأنها. وردوداً ما أوضعه الاشتراكيون من قبل، من أن هذه ليست معونات خالصة، ولكنها تخدم الاقتصاد الأمريكي. فهي تخلق وظائف للغير، «الأمريكيين في البلاد المعانة». وتشترط إنفاق حصيلة المعونة في شراء سلع أمريكية وأسمالية أو استهلاكية: أي تشجيع التجارة والصادرات الأمريكية. وطبيعة الحال، لم يتعرض هؤلاء الكتاب لبقية الأضرار السياسية والاقتصادية التي تنجم عن التبعية، والقيود السائدة، التي يمكن أن تفرضها في المجال السياسي والقمي. فكثير من الحكومات، مثلاً، لا تستطيع أن ترفض تعليمات صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للتمعيم، وهما مؤسستان دوليتان من حيث الشكل، أمريكيتان من حيث الموضوع—حتى لو كانت ضارة بشعوبها. هاتان المؤسستان تشرقان على تدعيم النظام الرأسمالي، وتضعان برامج «المخصص» للحكومات التابعة، وتحميان مصالح الدول الرأسمالية النائنة واستثماراتها في البلدان «النامية». وتفتحان قروصاً أعلى ربحاً لرأس المال الأجنبي، وبذلك تحاولن حل أزمة الركود التي تعترى الاقتصاديات الرأسمالية المتقدمة منذ زمن بعيد، يفتح مجالات استثمارية في البلاد المقترضة ومن المعروف أن شطب الاعتمادات المخصصة لمصر، قد اقترح. ورغم محاولات الحكومة المصرية «المخصصة» في إرضاء الرأسمالية الأمريكية بكافة السبل.

وبغض النظر عما هي النشاطات، التي تستخدم فيها تلك المعونات، وهل هي مشروعات تنموية حقيقية، أم مشروعات أخرى لازمة لوضع الحكومة، فالهم أن الاعتماد على رؤوس الأموال الأجنبية، هو الاعتماد على مقدر غير مضمون، يمكن أن يتوقف في أية لحظة يتعارض فيها مع القضايا القومية، أو الاجتماعية الخاصة بالبلد الذي يتلقى المعونة.

نقول إن التبعية أخطر من الاستعمار، لأن الشركات العابرة للقوميات التي تفرضها قد استطاعت أن تكسب الحكومات إلى جانبها، وكذلك بعض رجال الأعمال. ومن المصالح المحلية للحكومات أن الشركة تعاون في تقديم بعض المعونات إليها، كما سبق القول. كذلك فهي تقدم وظائف مرموقة مالياً لبناء الوزراء، وأقاربهم، وتقدم لهم نشاطاً تابعاً لنشاطاتها.

د. خليل حسن خليل

كتوكيلات ومقاولات، وأعمالا من الباطن، وهي تفعل ذلك بالنسبة لقرنين من رجال الأعمال، الذين يجدون في الشركة الأجنبية ضمانا كبيرا لنجاح أعمالهم ككتابعين ، أو شركاء.. هؤلاء، ينسبون أن النضال لتحقيق الاستقلال الاقتصادي يعتبر الهدف الأكبر للاستقلال السياسي وأن الاقتصاديين العظام، أمثال طلعت حرب، هم الذين قادوا عملية الصناعة في مصر في فترة من أحلك فترات الاستعمار البريطاني في مصر، قادوها بفخر ونجاح، خلدنهم من أجلها التاريخ.

وإذا كانت الحكومة التي يفترض فيها أنها تمثل الشعب، راضية عن تلك الشركات، ومتحالفة معها في استراتيجيتها، التي تؤدي إلى تخلف بلادها، فهذا تكون الطامة الكبرى، حيث تكون الحكومة، ورجال الأعمال حلفاء للشركات، التي تتسبب في إفقار شعوبها وفي تخلفهم.

وأخطر من ذلك أن بعض الحكومات تدعو لتلك الفلسفة، يجعل القوانين في خدمة الشركة ورووس أموالها واستثماراتها، أي كانت تلك الاستثمارات نافعة للاقتصاد القومي، أم ضارة به. وبهذا تحاول الحكومة أن تفتح شعبها بفوائد التعاون مع الشركة، أي بفوائد التبعية. وأرجو أن يتحسّن الدارسون للمشروعات التي يستثمر فيها رأس المال الأجنبي من أن يبينوا لنا ما إذا كانت تلك المشروعات مبررة للتنمية الحقيقية، ومشروعاتها المجددة في إقامة قاعدة صناعية صلبة أم أنها استثمارات خفيفة ضئيلة، ومشروعات غير تنموية، أي استهلاكية ترفية، أو في مصاربات مغامرة، ومالية في البورصة أو غيرها.. المهم نحن نقول إن إطلاق الاستثمارات الأجنبية دون قيد، كما هو الحال في بعض القوانين المشبعة لرأس المال الأجنبي، قد يؤدي إلى كارثة.. والكوارث التي حدثت لمصر من زلزال الأموال الأجنبية، معروفة، ويجب أن نضعها أمام أعيننا دائما.

ومن الاقتراحات الساذجة التي يقترحها بعض الكتاب للحكومة، أن فتح الباب على مصراعيه، للاستثمار الأجنبي، سوف يؤدي إلى أن تنضم مصر إلى مجموعة «النمو الآسيوية». وهذا اقتراح ساذج بقدر ما هو غير سليم.

«النمو الآسيوية» ليست في الحقيقة غمرا، ولكنها مجموعة من القطط! لها وضع خاص، فهي في معظمها جزر بنت ثرواتها على التجارة.. فيونج كونج، التي عادت أخيرا إلى الصين، أمرها معروف وسنفاخرة كذلك وكوريا الجنوبية، بلد محتل برأسة القوات الأمريكية.. تعمل في الشركات الأمريكية حاجرة كاملة. ولم يزد كونهما غمرا إلى انعكاس ذلك على جماهيرها، فالاضرابات والاعتصامات والتمظاهرات السياسية ضد الحكومة ضد الأمريكيين لا تنقطع.. فليس هناك استقرار سياسي، المقروض أن الاقتصاد الناجح يؤدي إليه.. وحموع العمال والمخدم، الذين هاجروا من بلاد «النمو الآسيوي» الكوري، إلى بلاد البترول العربي، عددهم كبير جدا، كان أولى بهم هذا الزواج الذي يقول به أصحاب نظرية «النمو» والحال كذلك في تايبوان: محنته وخاصة للامريكان في كل الاتجاهات.

وهناك ظاهراتان يجب دراستهما جيدا فيما يتعلق بهذه النور: أولا دور الشركات العابرة للقوميات، وعلى الاستثمارات هنا حقا كورية جنوبية. أو تابوانية أو غيرها.. أن هذه المشروعات فروع للشركات

الكبرى العابرة للقوميات. وثانيا: أرقام الدخل التي أسست عليها نظرية «النمو». أو أرقام الناتج المحلي الإجمالي.. هذا الأرقام مخادعة فهي تعطي صورة للدخل القومي، بما فيه نصيب الشركات الأجنبية الكبيرة. وهي يجب أن تطرح من الأرقام التي تدّعي، نصيب تلك الشركات من الناتج المحلي الإجمالي.. من أرباح وفوائد وأجور وغيرها.. لتكون في وضع نصف فيه أو البالد، أم قفط. حينما نستبعد كل هذه المسائل نجد أن ما يتبقى للمواطنين، أقل من الأرقام المعلنة بكثير..

ونحن هنا لا نفرق في تقييم معيار الناتج المحلي الإجمالي، كمعيار لقياس الفقر أو التقدم، فالأرقام خادعة، وقد يكون نصيب الرأسمالية أجنب ومحلين، مثلا للجانب الأكبر من نتائج التنمية وبذلك لا تكون التنمية تنمية للشعوب، ولكن تنمية «النمو» الرأسمالية أجنب أم محليين» الذين يفترون للشعب في جنوب وشرق آسيا.

والتخلص من التبعية ليس عسيرا.. فتركيز التجارة مع الدول الرأسمالية الصناعية، يمكن أن يخفف، دون صعوبات كبيرة.. فإذا كانت التجارة العربية مع تلك البلاد تصل إلى ٧٠٪ من مجمل تلك التجارة، يمكن تخفيفها بسهولة في عشر سنوات مثلا إلى ٤٠٪ وإلى ٣٠٪ الباقية يمكن أن توزع على المجموعات التجارية الأخرى، المجموعة العربية، يمكن زيادتها زيادة متواضعة بمقدار ٢٪ سنويا مثلا لتصل إلى نحو ٩٠٪، ويوزع الباقي بين بلدان العالم الثالث وبلدان شرق أوروبا.. ويمكن أن يحدث ذلك بسهولة أكبر بعد قيام المشرعات العربية، منطقة تجارية حرة أو سوق مشتركة.

كذلك فالتكامل العربي، يمكن أن يعاون المجهودات القبطية للتنصل التدريجي من التبعية التكنولوجية وما تجمّع لدى الدول العربية من فائض النفط، أو حتى البلاد غير النفطية كمصر، التي جمعت نحو ٢٠ مليار دولار نقدا أجنبيا احتياطيا، يمكن بسهولة أن تنضمك الانقطار العربية فرادى، أو جماعة، من بدء الاستراتيجية الجماعية للاعتماد على الذات.

إذن القضاء على التبعية، والاعتماد على الذات في تنمية مستقلة، أمر ممكن، وليس عسيرا. والفوائد السياسية والقومية، إلى جانب الفوائد الاقتصادية يمكن أن تتحقق. وذلك إذا التزمت الحكومات ورجال الأعمال ببدئية التخلص من التبعية.

وعلى ذلك فدور القوى الوطنية أساس في الدعوة إلى النضال ضد التبعية.. والقوى الوطنية هي الأحزاب والجمعيات والمثقفون، والكتاب، والنقابات العمالية، والمهنية، والجمعيات غير الحكومية، والجمعيات العاملة في المصنع والمحل وقطاعات الخدمات.

لا بد لهذا، جميعا أن يناضلوا نضالا شرسا ضد كل القوى المستفيدة، والباعية، والراضية عن التبعية فالوطن ملك للجماهير، والجمعيات العاملة والمثقفة، هي طلائع هذا الشعب.. ويجب أن تتلاحم ضد القوى للقضاء على التبعية، التي هي استثمار جديد، أخطر من القديم.

الجماهير العاملة، وهي الكثرة في الوطن. تريد وطنًا لها، لا وطنًا مقصورا على القلة المستفيدة، فالوطن لم يعد أرضًا خضراء، وسعاء صافية تحبس، ولكن أرضا تنسبط عليها الجماهير، ويفعلونها لمصلحتهم، ومصنعا ينتج الخير والمستوى المعيشي الأعلى لهم ولآبائهم، ولن يرتضوا بأن تكون خيرات بلادهم للأجانب من ناحية وللقلة الرأسمالية الطفيلية من ناحية أخرى.

عن

در شيبيل

عدد

٢٣ (٢٦)

يونيو ١٩٩٧

من علم

الأثار

وصية

فرعون

هل كانت ملكة داود الكبرى-والتي امتدت حسب العهد القديم من الفرات إلى البحر الابيض المتوسط- حقيقة أم مجرد أسطورة؟ هل جثت فعلاً أن استولت الجيوش الاسرائيلية عسكرياً على أرض كنعان كما نقرأ في نص العهد القديم؟ هل دوت المسألة الآن بكتب موسى في القرن العاشر قبل المسيح أم مئات السنين بعد الميلاد؟ ومن كتبها هذه بعض الآيعة التي يتناقلها مقال بمرور مجلة «دريشيل» أكثر سياسية أسرع المبيعات (٥ ملايين قارئاً) في عدد (٢٦) الصادر في ٢٦ يونيو ١٩٩٧. ونحن نقد هنا ترجمة للعالم الذي يعطي صورة عن الأبحاث التي يقوم بها علماء أوروبا من مختلف المذاهب الفكرية والدينية في تاريخ العصور القديمة. وبالنسبة لنتائج جديدة جديرة بنقل إليها البحث العلمي يخص موضوع «العهد القديم» من الانجيل. واهتمام الجسار بنشر هذا الموضوع مهم. إلى جانب فائدة الإطلاع على اتجاهات البحث العلمي في العالم، إن دولة إسرائيل والقوى المتصارعة لها تتخذ خصوصاً «العهد القديم» بمثابة جنة ملكية تهر اغتصاب حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه. بل ويثير التسوية الإسرائيلية في التعامل مع الشعب التي صورت كشعوب عبودية ويجب الأبحاث العلمية على أسئلة مطروحة هل تتطابق هذه التصريح مع الحقيقة التاريخية؟ وما يقوله القارئ من تعديلاته على هذا النص؟ هل موسى تطلق على صورة حياة أمير مصري. ولكن هذا القول تجد من قبل من سيجسولد لفرود في «البناء التاريخية» التي صدرت عام ١٩٩٦. وعنوانها «الرجل موسى» و«ديانات الفرجة» - كما استند لفرود في بحثه على المنبع القسسي التبعيلي يستبعد علماء الآثار والطابع السليم والمصريان وحراً، الانجيل «العهد القديم» وسأنا وأساليب البحث الأثرى والتاريخي.

## هل كان مؤلفو العهد القديم محرفين للتاريخ؟

سايغريد من هابليرج النظرية معقولة والمجيب التي تدلل عليها فاطمة والباحثون في الانجيل اعتادوا المفاجآت. إذ تبين تحت نيران الأبحاث العلمية أن المحتوى التاريخي الأساسي للعهد القديم ليس سوى موجات تحليلة: هناك تهمة شخصيات حقيقية في عوالم خادعة زائفة تاريخياً. وفيه يتداخل الخيال والحقيقة. وكان علماء الآثار أساساً قد وجهوا في السنوات الأخيرة ضربة مدبرة للعهد القديم. وكانت حصيلة البحث والتقصي في الأراضي المقدسة ميقظة:

« أن خروج القبائل اليهودية من مصر Exodus ما هو إلا أسطورة.

« أن ملكة داود الكبرى -والتي امتدت حسب الانجيل من الفرات إلى البحر الابيض المتوسط- لم توجد.

« لم يحدث أبداً أن استولت الجيوش الاسرائيلية عسكرياً على كنعان كما يزعم العهد القديم.

« جان اصحابات موسى الحسنة لم تنشأ في القرن العاشر قبل المسيح بل ٥٠٠ سنة بعده.

ورأتى هذه المعارف الجديدة بخيبة أمل للباحثين الذين أخذوا التاريخ القديم لإسرائيل حرقاً من العهد القديم. وحتى سنوات قريبة كان الرائج وسط هذه الجماعة أن موسى قد حرر الاثنى عشر قبيلة (اليهودية -الترجم) منذ نحو ٢٣٠٠ سنة من الأسر المصري

ممتد تاج الحرب الأزرق كالبذخانة المتسللة فوق الشمال الكواثر الذي يبلغ من العمر ٣٢٠٠ سنة ومن تحتها ينظر بعيني كيريت وبأبصار متعة فرعون شاب يعطي إبطاعاً حرياً.

ولكن الانطباع الناشئ جادع. لأن الملك الإله «أمين» مهمه Amenmesse كان انقلاباً أراد احصاء أقوى بلاد العصر القديم بالقرعة

عمل رولف كراوس Rolf Krauss العالم بالمتحف المصري في برلين طوال ٢٠ سنة على ذلك لفز هذه الشخصية البالغة الغموض لواء من حكام البلد الواقع على ضفاف النيل. والتي لم تترك سوى معلومات شحيحة عن سيرتها. وكانت شجيرة البحث أن هذا الابن الأصغر حاول منذ ١٢٠٣ سنة قبل ميلاد المسيح. وكان عمره وقتها نحو ٢٥ سنة. حاول أن يطيح بالملك سبت (سبتي أو سبتوس) الثاني ليتربع هو على العرش. وكان هذا الملك والده هو بالذات. وغرقت البلاد في صراع دموي لسنوات أربع

هذا المصعب بالمعبد. والذي خلف نفسه في ستة قنايل ضخمة في «العاصمة المضادة طيبة». هو حسب رأي كراوس، نفس الشخص الاعجازي الذي ذكره الانجيل. هو الذي شق البحر الأحمر وأثنى بالوصايا العشر من سيناء: « هو موسى.

في الشهر الماضي قدم كراوس فرضيته المقلدة أمام جمهور مختار في جامعة هابليرج. واستمع ٤٥ من الباحثين في الانجيل (العهد القديم) وعلماء الآثار. وعلماء الصريات إلى محاضرة الضيف القادم من برلين ليقبل أسطورة «الأب الأصلي» الانجيلية رأساً على عقب.

هل يعقل أن يكون أحد القراعة هو النبي؟ هل قاد مصري اليهود إلى أرض الميعاد؟ والعجيب أن هذا الكلام على عرابته لم يثر أي دهشة لدى المستمعين. قال عالم الصريات قريديريكة

نبيل يعقوب

## اكتشافات جديدة لعلم الآثار

### تزعزع المضمون التاريخي

#### للعهد القديم

إحدى النقاط التي استند إليها الباحث في ثانياً أصحاب الخروج ١١-١٢  
 هناك يمكن أن اليهود أجبروا على العمل بالسخرة في بناء مدينتي فيشوم  
 ورعمسيس «الذين كانتا بمثابة مخازن. والبحث الحديث في التاريخ القديم  
 يقدر أن البلد -بناء- مدينة ورعسيس الواقعة على ضفاف النيل كان نحو عام  
 ١٢٧٠ قبل الميلاد

ولكن هل كان «أبناء الله» فعلا من صائمي أجيال البناء على  
 ضفاف النيل؟ منذ عشر سنوات يقوم عالم المصريات إدجار بوش Edgar  
 pusch هيلدسميهام بفحريات في مدينة ورعسيس عاصمة الملك التي تبلغ  
 مساحتها ١٥ كيلومترا مربعا ولم يجد أي أثر حتى الآن للعبيرانيين  
 العاملين بالسخرة.

ولا دليل على الأحداث التالية التي يربوها الانجيل من الخروج. بعد ٤٠  
 سنة من التيه في الصحراء -يسلم موسى القيادة ليشوع قائلا: «أنا اليوم ابن  
 مئة وعشرين سنة. لا أستطيع الخروج والدخول بعد...» (العهد القديم.  
 تثنية ٣١-٢٤ / المزمع). ويستولي يشوع بهجمة عنيفة على أرض  
 كنعان طاردا الشعب الذي كان مقبها بها بالثار والسيوف. ويصف إسحاق  
 بشرع المعارك بشكل درامي. عاي والجيل (جرون) سرت بهما الأرض. «وأربعاً  
 التي تهاوت أسوارها بفعل نهر أبراق» «الكهنة السبعة» يحتفلها ٤٠٠٠  
 إسرائيل.

هل كان هذا خيالاً؟ منذ سنوات عديدة تبحث فرق حفر  
 إسرائيليين -فرائين تشير لمعارك جرت في العصر الحديدي  
 في فلسطين- ولكن بلا طائل.

صمم إسرائيليين فيكتشافين «هو عالم آثار من تل أمهيي ،  
 سيناريو جديداً تماماً لصلبة الاستيطان . بناء على هذا السيناريو جاء رعاة غنم  
 رحل ١٢٠ سنة قبل الميلاد من شرق الأردن إلى فلسطين وقاموا ببناء قرى  
 جبلية صغيرة وعاشوا بسلام إلى جانب الكنعانيين الذين كانت منهم مقاومة في  
 الوديان. لا أثر لحرب.

بعد الأبحاث الدقيقة التي قام بها العلماء لم يبق هناك كثير من آثار  
 المملكة الكبرى في ظل الملك داود، والتي يفترض أن تكون قد تلت  
 الأحداث الموصوفة. وكان مدون كتب موسى هو الكاتب الرسمى ليلا دأود طبقاً  
 للرواية السائدة حتى الآن.

على كل حال يجوز أن تكون هذه الشخصية الأسطورية قد عاشت لمدة  
 قصيرة وعلى مساحة أصغر بكثير . ولكن من غير المحتمل أن تكون جميع  
 الأسباط القبائل العشر قد عاشت في ظلها. إن إثبات وجود  
 «أثنية» إسرائيلية ممكن فقط ابتداء من العهد الروماني . قبل  
 ذلك كانت البلاد متنازعة بين قبائل ودول قزمية ومجموعات متصاعدة.

علارة على هذا كان الشعب يرحل على الدوام تحت التأثير الأجنبي الذي يعمه  
 تهديداً لهوية قومية على كل حال هشة فعلى عام ٩٠٠ ق.  
 م. كانت مصر تحكم ذلك البلد . ثم أصبح مستعمرة في إطار الإمبراطورية  
 الآشورية الجديدة. تلا ذلك احتلال من علكمة بابل الجديدة والفرس.  
 وحوالي سنة ٣٣٠ ق. م. أحل ألكندر الأكبر حيل الزيتون. وأخيراً جاء  
 الرومان.

كان ملك بابل تيودخنصر بالغ القوة فقد دمر أورشليم في سنة  
 ٥٨٧ ق. م. وبقي الفتة العالية إلى بابل.

ويقال أن معظم الباحثين المتخصصين في الانجيل أن الجزء الأساسي من  
 نص العهد القديم أنشئ بعد حل الترحيل الجماعي. ويقول بيرت دوجر ديتير

العالم المتخصص في العهد القديم من مدينة هايدلبرج أن حكاية الخروج  
 والأسطورة عن أصرطاطورية داود إنما هما «داعادة أسقاط لاحتلام  
 القوة العنصرية على الماضي».

بهذه النقطه يسلك أيضا الباحث كراوس (برلين) الذي يتعقب اثر  
 موسى. وأطروحة تقول إن مؤلف كتب موسى الحسة، ويقال له ياهوي هو  
 يهودي من جبل ما بعد فترة التفرق. يفتى على تاريخ شعب طابعا بطوليا.  
 ويسجن عليه الوحدة والاستعجاب. ويعتمد على خياله في هذا التاريخ إلى  
 الماضي.

التي تشبه إلى الماضي يأخذ دور المؤرخ: فمن الشوق العميق اخترع  
 الياهو تاريخاً جديداً لشعبه في عصور ما قبل التاريخ-شعب اختاره الله  
 لاحتلال الأرض المقدسة- شيء مثل كتاب دعائي يراد به التعويض عن اليأس  
 السياسي الحقيقي.

ويقول كراوس : لهذا الغرض بحث الرجل عن «شخصية تاريخية عالية  
 المقام» ليعد تشكيلها لتصبح الالعب الرئيسي في حكايته عن الخروج.

والأد اعان لفصله الجبالية يمكن أن يكون قد نقلها حرفيا عن العالم  
 الاسكندري مانيتو Manetho الذي يذكر الملك المختصب والنيرة  
 «أمين» ميسه في كتابه ذي الأجزاء الثلاثة عن تاريخ مصر.

وتكتسب فرضية الجبريلين قوة إثباتها من التفاصيل. فليس  
 بالانجيل سوى معلومات شحيحة عن شخصية موسى. فهو ينشأ  
 كطفل تينته واحدة من بنات فرعون. ويتزوج نوبية ثم يترك مصر هاربا بسبب  
 قتله أحد الأشخاص.

على العكس من ذلك نجد في الأساطير غير الانجيلية، وهي الأساطير  
 المتوارثة عن شخصية موسى عند العالمين اليهوديين اليونانيين فيقول  
 ويوزيفوس فلافيوس ، وأيضاً في بعض المصادر الرابنية، نجد رجل  
 سينا ظاهراً آمناً بشكل أكثر وضوحاً.

هناك نجد بطل الانجيل موصوفاً «كأمير مصري وعاش في القرن الثالث  
 عشر قبل الميلاد في كوش» (بالنوبة) حاكماً بالنوبة من الملك لمدة عشر  
 سنوات. وبسبب صراع شديد على العرش اضطر للرحيل من وطنه. وأحد  
 التفاصيل الخاصة بسيرة حياته تقول إن والدنا موسى ارتبطا بعلاقة قرابة (العمة  
 وابن الإخ أو ابن الاخت).

هذه الأوصاف التي تشبه ورقة بحث عن فاعل تتفق بكل دقة مع سيرة حياة  
 منتخب القانون والانقلابي الفرعون أمين ميسه . أعاد كراوس تركيب سيرة  
 حياة هذا الملك الفاضل اعتماداً على اثر مكتوب باليهودوغرافية عشر عليه  
 حديثاً.

«أمين ميسه يدير لسنوات عديدة «كتاباً للملك» الاقليم المصري الغنى  
 بالذهب كوش. ويقع الاقليم جنوب الشلال الأول عند أسوان.

« ويتزوج أميرة من كوش  
 « ولد أمين ميسه الفرعون سيثوس الثاني متزوج من خالته

Tachat.

بعد تنزوح الوالد (١٢٠٤ ق. م) يقوم الابن بانقلاب معتمداً على جيش  
 احتلاله النوبي ويخضع جنوب البلاد لسيطرته . ويوزع بتخصيب نفسه  
 على عرش عماده في طيبة  
 ولكن بعد صراع دام على السلطة استطاع الملك سيث الثاني الانتصار  
 على ابنه العاصي.

هل كانت سيرة حياة هذا الولد المتعشش للسلطة هي الأصل الذي استند  
 إليه الياهو في أضاف إليه في روايته التاريخية الخيالية؟ إن صح هذا يكون  
 العهد القديم حسب قول كراوس ليس سوى أدب- وأن كان أدبها  
 جيداً- إلا أنه ليس تاريخاً حقيقياً.

تتفق أعداد متزايدة من المعلقين المستنيرين على تاريخ الانجيل قاماً مع هذه  
 الاستنتاجات. وقد اتخذ اللاهوت اكتشافات جديدة وصرح بأن «العهد  
 هايدلبرج موقفاً حاسماً بناء على الاكتشافات الجديدة وصرح بأن «العهد  
 القديم يشبه الأسطورة ولا مجال لاستخدامه ككتاب  
 للتاريخ».



## شحاته هارون

### لا حيلة للمرء أمام العشق

د. رفعت السعيد



ما من مرة رأيت الحامى  
شحاته هارون الا وتذكرت  
أمرين:  
قول الشاعر العربي:  
أمر على الديار ديار  
ليلى  
أقبل ذا الجدار وذا  
الجدار  
وما حب الديار شغفن  
قلبي  
ولكن حب من سكن  
الديار.  
وقول كثر: «ليس من  
الصبب قبول الجديد، لكنه من  
الصبب جدا التخلص من القديم»  
لترسب في مناحي عقلنا.  
لشحاته هارون رجل  
ذاب عشقا في مصر و  
للمصريين، وقضى حياته كلها  
يقبل أعتابها وأعتابهم، لكنها  
هي وهم ظلت تدبر له ظهرها  
وظهرهم.. أليس يهوديا.  
ولا حيلة في  
العشق. فأنت يهودى وهذا  
حقلك، وأنت مصرى  
وهذا عشقك. وما أصعب أن  
تتمسك بالحق والعشق معا.  
خاصة إذا كان العشق ينكر  
عليك -في واقع الأمر- حقلك  
في الجمع بين الأمرين.  
وقاما كما قال كينز فتلك  
مصر قانونا وديتورا وقواعد  
للعمل تكفل للجميع حقوقهم  
وهم يهود. لكن الأوراق شئ  
والواقع المرير شئ آخر. فالقديم  
بقي مترسبا في مناحي العقل  
المصرى ليقرب بين المصريين  
بسبب من الدين.  
لا يعرف الشوق الا  
من يكاده.. ولا  
الصبابة إلا من يعانيها  
هكذا عاش شحاته  
هارون يعاني من شوقه  
وصبايحه وبرش كل شئ يبقى  
مصريا شامخا لعله أكثر  
مصرية من كثيرين يكثر من  
الثرثرة في مصر وبأسماها.  
الاسم: شحاته هارون  
سلفيره.  
تاريخ الميلاد: ١٩٢٠  
محل الميلاد:  
القاهرة  
المنهة: محام

الديانة : يهودى  
الوضع التنظيمي : عضو  
اللجنة المركزية لحزب التجمع  
منذ أواخر عديده عاشت  
الاسرة في مصر. جده زكى  
كرايم كان يهوديا متمسكا  
بدينه نبتى مميدا (عام ١٩٢٥)  
أسس معيد باعاده اسحق.  
الاب موظف في محلات  
شيكوريل.. وكان هو أيضا  
متدينا فأحضر له حاخاما ليدرس  
له الديانة اليهودية في البيت،  
وظل الفتى طوال الفترة من سن  
التاسعة وحتى الثالثة عشرة  
يحفظ التوراة على يدى الحاخام،  
لكن الأب يعرف قيمة اللغة  
العربية لمصرى يعيش وسيعيش  
في مصر فأحضر له شيخا  
معصا ليدرس له اللغة العربية  
في المنزل. وهو في هذا الحين  
طالب في مدرسة الفرير بباب  
الزوق. وتوقفت لتأمل شتاك  
خيط التسبيح «فتشاما كما  
احتوى الهلال في علم  
مصر على ثلاث نجوم..  
كانت أفكار الفتى  
تعشقل متشابكة مع  
الديانات الثلاث: في البيت  
حاخام وشيخ معصم. وفي  
المدرسة أباء، كاثوليك  
متشددون.  
وفي مدرسة الفرير يظل  
بعيدا عن السياسة (وإن كان قد  
أسهم عام ١٩٣٥ في تنظيم  
إضراب بمدرسة الفرير لعله الأول  
والأخير في مدرسة كهذه).  
لكنه يفتح ميدان السياسة أو  
بالدقة تقتحمه السياسة في  
كلية الحقوق. فكيف له أن  
يتبعد عن معارك السياسة وسط  
طلاب يتوقدون حماسا وثورة  
وانفعا.. طلاب من بينهم  
عبد الرحمن الشرفاوى  
ومحمد عوده  
وقيرهما الشرفاوى كان  
يستحبه على اللحاق به في  
ساحة مصر الفتاة طالبيه  
برنامجهم يطلع عليه، لكن  
تشددهم استبعد عن ساحتهم.  
وفي كما كان.. يميل نحو  
الوقد.  
وأسأله (في محضر نقاش  
أجرى في ٢٥-٤-١٩٧٤)

كيف أصبحت شيوعيا؟  
.. لكنه دوما يهدشك باجابات  
غير مترقمة.  
.. أول مرة سمعت كلمة  
شيوعية كانت عندما أخلت  
إلى مجلس تأديب الحقوق أنا  
ومحمد عوده .. الاستاذ  
الحق سأل محمد عوده هل  
أنت وفدى؟ فاجاب: لا. أنا  
شيوعى.  
وتبقى الكلمة بلا معنى  
ولا صدق. يتطلع الفتى..  
يعاول الانضمام لنادى  
المكابي ثم يتعبد، انضم  
إلى «عصبة مكافحة  
العداء للسامية» ثم  
تباعد. حضر اجتماعا صهيونيا  
ورفض .. التفتى بضابط  
الانجليزى اسمه «زاصيت  
هينز» كلمه كثيرا عن  
الاشتراكية والشيوعية  
.. لكن الأمر يظل غائما.  
تخرج من كلية الحقوق  
عمل محاميا .. والتقى بأحد  
زملاء أبيه في العمل هو  
ديفيد ناحوم (كان رئيس  
نقابة عمال المحال التجارية)  
تحدث معه طويلا عن  
الشيوعية.. وقابله مع  
هنرى كوريل. وانضم إلى..  
ج.م. (الحركة المصرية  
للتحرر الوطني)..  
كان مصرى صرغا ولهذا لا  
مجال لضمه إلى قسم الاجانب.  
وبقى شيوعيا مصرى مع  
المصريين.  
وسرعان ما يقبض عليه.  
في محل بيع بن في شارع  
سليمان باشا ثلاث ثلاثة  
رؤوس، تقابلت من بعضهما  
لتستمع إلى الهسمات المتبادلة  
.. راهم ضابط من البوليس  
السياسى تعرف على أحد  
الرؤوس «هنرى كوريل»  
قبض عليهم. وصارت نكتة فلم  
يجد الضابط مبررا للقبض  
عليهم سلوى أنهم كانوا  
ينهاسون.  
وبدأت  
الاعتقالات المتكررة بليلة  
في قنصلت كوتسكا ..  
وليال أخرى.  
دهش «الأب» كيف يعمل

ابنه بالسياسة سأله في براءة  
ميرودة أنت عايز تبقى وزير في  
بلاد المسلمين؟..  
وفي ١٩٤٦ قبض عليه  
في قنصلية الشيوعية  
الكبرى.  
وفي ١٩٤٨ اعتقل مع  
اعلان الاحكام العرفية.  
زوجته مارسيل «فرنسية  
الجنسية» كانت دوما معه.  
ساندته .. وقفت إلى جواره.  
ذات يوم وقبما هو مقبوض  
عليه عرضت عليها السفارة  
الفرنسية ان تسافر إلى فرنسا  
ثم يلحق بها زوجها.. لكن لا  
حيلة لها، ففرار الزوج معقل  
باعتاب مصر.. ولا حيلة للمرأة  
أمام العشق.  
\*\*  
ومنذ عام ١٩٤٨ تبدأ  
منظومة حياة جديدة. وغريبة.  
أن تتمص أن تكون مصرى.  
أن تتأصل كي تبقى مصرى.  
ان تحصل آمم ان تكون  
مصرى .. ويهوديا في  
آن واحد.  
ذات يوم فاض الكيل  
بالابنة «ماجة» مدرسة  
التربية الاجتماعية قالت  
«اليهود في المنطقة مغرولون زى  
الكلب الجربان» جرحها العبارة  
وجرحها أكثر-هى بعد في  
أولى اعدادى- إلى المدرسة لا  
تعرف الفارق بين  
ويين (اليهودية (الديانة) ..  
ويين إسرائيل (الدولة)  
ويين الصهيونية  
(السياسة). حبست دورمها  
وانسحبت من الفصل، المدرسة  
دهشت (ربا قالت العبارة عن  
جهل .. وبحسن نية) ورفضت  
ماجة أن تعود إلى الفصل إلا  
إذا اعتفرت المدرسة، واعتذرت  
لها المدرسة أمام الجميع.  
هكذا كان شحاته دوما  
وهكذا علم أولاده..  
«احرموا أنفسكم،  
يحترمكم الناس».  
ويتحفظ شحاته بأرشيف  
لرسائل ورتقيات ومقالات لا  
حصر لها.. يمكن كلها أن  
تتلخص في عبارة واحدة لا  
حيلة للعاشق في عشقه

«رجل يصمم أن يعاند التيار..  
وان يفرض على الجميع وضعه  
المزج مصري يهودي، يمتزج  
بخصريته ويتصمم بيهوديته..  
مصري- شيعي-  
يهودي- وتقدمه هذه  
التركيبة إلى مواقف  
معمّدة..»

في عام ١٩٥٦ وعلى أثر  
العدوان الثلاثي .. بوضع  
مكتبه تحت الحراسة .. ويقضي  
عليه (هذه المرة كيهودي  
فالشبيوعيون كانوا هناك في  
أصقاع بورسعيد يحاربون  
العدوان) ثم تنتزع الرؤية. يفرج  
عنه وترفع الحراسة.

وفي عام  
١٩٦٧.. وعندما تندلع  
الحرب مرة أخرى مع  
إسرائيل يرسل إلى نقيب  
المحامين تطوعه في  
كتيبة المحامين.. واضعا  
نفسه تحت تصرفها. ومع ذلك  
فقد اعتقل .. أيضا كيهودي  
ليفرج عنه بعد فترة.

كان قد وجه رسالة لحاسة أشهر  
جمال عبد الناصر.. يقول  
فيها «في إطار الصيغة الجديدة  
المطروحة اليوم على منطلقتنا  
الحركية المأثرة بين الاستعمار  
والحرمة والعنصرية الإسرائيلية  
من جهة ، وبين القوى الثورية  
من الجهة المقابلة، فما من شك  
أن للتقدميين من اليهود دورهم  
الايجابي وصكانهم بين صفوف  
القوى الثورية». وظل شحاته  
مصمما على أن يلقن عدد  
الناصر الدرسي. محتجا على  
التصيير بسبب من الدين ويقول  
في ذات الرسالة: «كيف  
يمكنني أن أعطي سبب:

-أنتي وغيري من اليهود  
محرومون من واجب الخدمة  
العسكرية.

-أنتي وغيري من اليهود لا  
أستطيع معاداة مصر إلا نهائيا  
بعد التنازل عن الحسيبة  
المصرية.

- نتي وغيري من اليهود  
محرومون من حق العمل في  
المؤسسات العامة..»  
ويعتقد أن أعقل سبب:

المناسبات- محاولة لتطويع هذا  
اليهودي المشاكس .. الذي  
يصمم على أن يغير المعادلة  
السائدة، ويشب أن الشيوعي  
يمكنه أن يجمع بين ولاه  
تام للوطن، وبين التمسك  
بديانته.

ويظل يخوض معركة  
الصعبة ليعلم حتى هؤلاء الذين  
يرفضون تعلم ما هو عاقل  
ومعقول. تقدم يطلب لتقابة  
المحامين ليقده بجندل المحامين  
أمام محكمة النقض.. ورفض  
الطلب لأنه .. ويرسل بريقة  
إلى عبد الناصر وقيلت  
التقابة جميع الطلقات باستثناء  
طلبي دون سبب إلا أنني  
يهودي، وليس هذا جرما  
ماتما..»

وترضخ النقابة  
\* ويواصل شحاته  
هارون معركة بأمل أن يفرس  
في التراب المصري قبيل  
معادلته .. العادلة.

وبعد حرب ١٩٧٣ يكتب  
شحاته هارون لقد قضى  
العمور نهائيا، وبما لا  
رجعة فيه على أسطورة  
«أن إسرائيل لا تهزم»  
ويقول: «إنه وإن كانت الدوائر  
الصهيونية الأمريكية في ركيزة  
إسرائيل الأولى فكريا ودينيا ،  
فانه يستحيل على هذه الركيزة  
حملها وبغيرها وبرغم ثقلها ،  
حل الولايات الأمريكية على  
تقديم ذلك القدر من التأيد  
والعون، لولا المصالح الاقتصادية  
الأمريكية الهائلة التي هي  
قطعا وبلا منازع المؤيدة  
الرئيسية لإسرائيل، فإذا صيغت  
هذه المصالح.. انتهى تأييد  
الولايات المتحدة  
لإسرائيل» (مجلة الطليعة-  
أكتوبر ١٩٧٤).

\* ويقتبص في يناير  
١٩٧٥، ويعتقد شحاته أنه  
قص عليه بسبب هذا  
المقال راجع: شحاته هارون  
يهودي القاهرة ص ١٥) وتثير  
الصحف (الحكومية) ضجيجا  
حول اليهودي الذي قبض عليه  
إثر المظاهرات الصاخبة،  
وتكذب قائلة «يهودي بين  
ومريرة

المتظاهرين» وعندما يفرج  
عنه يجرى معه صلاح حافظ  
حديثا

روزاليوسف ص ٢١٩  
١٩٧٥) -نستمع إلى شحاته:

«تعم أنا يهودي .. ولكن  
ونعم أنا يساري.. ولكن  
الصفة الأهم هي أنني  
مصري .. وفي حدود  
معلوماتي لا يشترط لكي أكون  
مصريا أن أغير ديني، وأغير  
معتقداتي السياسية..»

«ما من جهة في الدولة  
تجهل نشاطي داخل البلاد  
وخارجها ضد الصهيونية..»  
-أنا يهودي ضد  
الصهيونية تمام كما تكون  
مسلمة وترفض الاخوان  
المسلمين..»

-الصهيانية يعترضوني  
خائشا. وفي بعض البلدان التي  
أسافر إليها، يرفض بعض  
اليهود مقابلي لأنني اردد هذه  
الافتكار..

«لن أترك مصر، ولو  
قطعا رقبتي، إنها وطني، حتى  
.. وواجبي..»

«ثم تكون كامب ديفيد  
ويرفض شحاته: «اتفاقيات  
كامب ديفيد ليست في  
رأيي سوى سلام أمريكي  
بشرط  
الصهيونية الحاكمة في  
إسرائيل»، وبالتالي فانها  
-في اعتقادي - ضد مصالح  
الشعبين  
والفلسطيني.

(مجلة القيس الكويتية  
أكتوبر ١٩٧٤).

\* ويظل شحاته هارون  
حاملا لواء الدفاع عن الوطن  
وعن مستقبل المواطنة.. مذكرا أنه  
لا يدافع عن نفسه وزوجته  
وبناته واليهود المصريين وحسب  
وإنما يدافع عن العقل المصري  
والضمير المصري الذي يعين  
عليه أن يتخلص من كل  
الافتكار الرجعية وغير الانسانية  
التي تفرق بين المصريين بسبب  
من الدين.

وبالها من معركة  
صعبة .. وطويلة ..  
ومريرة

وفي ١٠ يناير ١٩٧٦ يعث  
إلى أنور السادات ببرقية  
يطلب فيها «بالفا، كافة  
الإجراءات والقرارات -السرى منها  
والعلني- التي تقر في المعاملة  
بين اليهود وغيرهم من المواطنين.  
وان يضع حدا للتصرف المؤبد  
حينا والمختنق حينا آخر، التي  
تفرضها عليهم بعض أجهزة وزارة  
الدخيلة عما أشاع الرعب في  
نفوسهم. وان يضع حدا للمللات  
والأحداث الاذاعية والتلفزيونية  
التي تحقر وتسم في الدين  
اليهودي. ان يهود مصر جزء منها.  
كرامتهم من كرامتها وأملهم من  
أملها مهما ادعى السفها.  
والفرشون..»

«وعندما بدأ تعيين عدد من  
الافرة الاقبا في عضوية مجلس  
الشعب.. أبرق مطالبا «بتعيين  
يهودي»

ويواصل شحاته هارون  
معركته مثل البطل الأسطوري  
الافريقي «سيمبلا» لكنه يحمل  
على كاهله ثلاثة صخور ثقيلة .  
وليس حجرا واحدا.. عشقه لمصر  
والغرام بيهوديته، قسكته  
بمعتقدده يحملها معا. يصمم  
عليها معا.. ويحاول أن يصعد بها  
معا نحو المستقبل.  
ورغم صعوبة المرتقى .. حاول  
.. ولم يزل.

وعندما يتأسس مشر  
اليساري في أبريل ١٩٧٦ يكون  
من أوائل مؤسسيه «ويواصل معه  
رحلته الشاقة والمجهدة في أن واحد.  
ليعلم المصريين كيف تكون  
المصرية دعيا لا بصدأ .. بل بتناق  
دوما.

وليعلم أن اليسار هو  
رمز لمستقبل بكلل للانسان  
حقه المطلق في الاعتقاد  
وأنه أيضا حافز لنضال لا يهدأ من  
أجل الوطن.. والانسان.

ويواصل شحاته هارون  
رحلته البهيرة.. معنا .. ليلهننا  
كيف يكون الصدود.. وكيف  
يكون اليهودي.

# الجنس في محاكم التفتيش

## لا نسهر حنا صادق

بالسحر مهر قطعاً ساحر وأن التعذيب هو الطريقة الوحيدة الناجحة والناجحة في إثبات التهمة، فمن سيحترف بدون تعذيب بممارسة السحر؟ وأن التهم لا حقوق له، ولا تعطي له فرصة مراححة من اتهامه، وأن الرجم بأن سبب الاتهام هو الانتقام أو القبرة أو الطمع لا تلتفت إليه، وأنه يجب استعمال طرق خاصة لتخليص المتهمين من الأبالسة قبل إعدامهم.

بهذه الوثيقة غت الأشجار الحبيبة لمحاكم التفتيش في كل أنحاء أوروبا وأمدت إلى أمريكا «سالم» كما سيأتي فيما بعد، بل وعكس الزعم بأنها كانت الجذور الفلسفية للمكارية التي سادت الجو السياسي في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، والتي كان ريجان أحد عملائها.. ولكن هذه قصة أخرى.

أصبحت هذه العملية (مطاردة الساحرات Witch Hunting) وسيلة سريعة للربح. فقد كان المتهمون وأقاربهم مكلفين بدفع مصاريف المحاكم ومنها مصاريف رجال الأمن المكلفين باستخراج الأدلة، ومصاريف مشروبات الحرس، ومصاريف استحضار الشخصيات في التعذيب، بل ومكافآت أعضاء المحكمة عن كل ساحرة تدار.

كانت المعالجات مشحونة بالجنس. ولا عجب، فقد كان الجانب الأكبر من المدعين والقضاة من الرهبان المحرومين جنسياً. ورغم أن «وثيقة المطرقة» لم تفرق بين الذكور والإناث، فإن الأغلبية الساحقة عن حوكمو كانوا من الفتيات والنساء. وكان من إجراءات المحكمة الروتينية إزالة شعر العانة وفحص الأجزاء التناسلية الخارجية للمتهمات.

وانشرت مهن جديدة لكسب العيش. فقد

المواد: «الحضون» وكان من بجامع الرجال بدعي باللاتينية Succubus وجمعها -Sucubi (في المرد: «السقوبة»). وقبل في وصف هذه العملية الجنسية القردة بأنها هي السبب في «الكابوس». وهو ما يسمى بالانجليزية Nightmare وكلمة Mare تعني بالانجليزية «مهرة» ولكنها في الأصل تعني «عقريت يضغط على التام»، مما يدفعنا أيضاً للتساؤل عن علاقة لقوية بين Incubus و«كابوس».

وقد تصاعد هذا الاهتمام بالحياة الجنسية للعقارات، حتى أصدر البابا انوسنت الثامن Innocent الذي جلس على كرسي البابوية في الفترة بين ١٤٨٤ - ١٤٩٢، بياناً بابويًا (Bull) قال فيه:

لقد وصل إلى سمعنا أن الذكور والآثام من البشر لا يتمتعون عن إقامة علاقات جنسية مع الحضونات والسقوبات، وإذا استمرت هذه الظاهرة فإن الكوارث ستحيق بالبشرية». ثم أوصى انوسنت بتكوين «لجنة من أبنائنا هنري كرامر Henry Kramer و«جيمس سبرينجز James Spring للبحث والتفتيش في هذا الموضوع. وطلب منهم كتابة تقرير منفصل عن الظاهرة وعلاجها. فكتب السادة كرامر وسبرينجز تقريراً بعنوان مطرقة السحرة Maleus Maleficarum وهي وثيقة وصفت بأنها وثيقة في تاريخ الجنس البشري\*.

تقول «المطرقة» أنه إذا اتهم إنسان

لا أعلم كيف مر ما كتب عن الأبالسة وسلمهم دون أن يشير حواراً جاداً مسئولاً حول ما صرنا إليه.

لا أفهم كيف قرأنا هذا الكلام عن «إحليل» إبليس (وهي كلمة جميلة تستحضر من تراثنا لتضيف إلى ثرونا اللغوية) الذي يصنع مع «إحليل» الروح في الزوجة دون أن تفكر في مناقشة حمرة عن هذا الاكتشاف البيولوجي المخيف الذي عمود المكتشفات الجديدة في الهندسة الوراثية ونقل الأعصاب..

لا أستطيع أن أعي كيف عمت اجيزة الاعلاء والتعليم عن هذا الخطر الجسم، جبل الثلج الضخم، من المخافات والدجل الذي تظهر قمته فندلنا على طبعه. ولا أظن أن العصر الذي نعيشه يسمح لنا بأن نتجاهل ما يحصد هذا الجيل من خطر على أمتنا لقومي بل وعلى وجود وجود أمتنا.

وليس لي الفارئ العرير. وقد بلغت من لسن أردنه. أن اطلب منه ان يشركي همومي. وأن أقص عليه ما حدث في أوروبا في القرن الخامس عشر، كما رواد عالم الفلك كارل ساجان في كتابه الأخير.

كانت تنتشر في أوروبا في هذا الوقت أفكار متعددة عن عالم العقارات. وعن حياتهم الجنسية، فقبل مثلاً ان بعضه كان بجامع لسا، وأن بعضه الآخر كان بجامع لرجال، وأن من بجامع الرجال كان أحياناً يأخذ السائل المنوي للذكر ويتحول إلى مجامعة النساء، فيضع هذا السائل فيهن. وأن نسل هذه العملية يكون من السحرة والساحرات.

وكان من بجامع النساء من هذه العقارات

يسمى باللاتينية Incubus وجمعها Incubi (أي



فى مقال نشر بصحيفة قومية قال الكاتب أن العالم البريطانى سى . بى . سنو C. P. Snow قد طالب بدمج ما سماه الكاتب «ثقافة العلوم الانسانية» و«ثقافة العلوم الطبيعية». وحقيقة الأمر أن لورد سنو فى محاضراته الشهيرة فى كامبردج فى أواخر الخمسينات، وفى مقالاته فى السنداي تايمز، وفى طبقات متعددة من كتابه الشير قد طالب بدمج ما أسماه «الثقافة العلمية» بما أسماه «الثقافة الالهيية» وتحدث بالتفصيل عما اقترحه من فروق بين ثقافة العلماء وثقافة الأدباء وطالب بأنه مثملا لا يعتبر الجراح والمهندس مثقفا ما لم يكن قد سمع الموسيقى العالمية وزار متاحف الفنون التشكيلية وقرأ الأدب العالمية، فانه يجب ألا يعتبر الروائى أو الفنان التشكيلى مثقفا ما لم يعرف أهم أوجه التقدم فى العلوم.

وهناك فرق كبير وهام بين «الأدب» و«العلوم الانسانية» مثل علم الاجتماع وعلم الانثروبولوجى وعلم اللغويات وغيرها التى تدخل جميعا بدورها فى مجال العلوم. هذا وقد سبق مناقشة هذا الموضوع بالتفصيل الدقيق الصحيح فى عديد من المقالات والكتب والمحاضرات وكان منها مقال فى اليسار فى نوفمبر ١٩٩٢ بعنوان «المهمة الفائقة عن مؤسساتنا الثقافية».

\*Carl Sagan: The Demon-Haunted Word, Ballantine Book, New York.



بالولايات المتحدة (وقد سرد فى مقال فى اليسار فى أغسطس ١٩٩٥) وهو ما كان موجيا أساسيا لمرحبة أوجين أوينيل الشهيرة «الموتقة» التى كتبها تعليقا على المكارتية. فقد نفذ حكم الاعدام شنقا فى ٣٧ سيدة أدينت بالسحر، ونفذ فى السيدة جيلز كورى (الدانة بنفس التهمة) حكم الاعدام شنقا بين حجرين من أحجار الطاحونة. وبعد أن هدأت الهستيريا الجماعية بستين أعترف المحلفون بالخطأ وأعترف الشهود بالكذب فى الشهادة، وأقيم نصب تذكاري للضحايا وعوض أهلهم ماديا.

فى أعماق النفوس البشرية يمكن وقود الرغبات الجنسية المكبوتة مع أفكار محاكم التفتيش وهناك دائما من يمتنى إشعالها علينا أن نحتفظ بهيظتنا لاختصاصها.



ظهر فى إنجلترا «الشكاكون» Prickers فقد انتشر زعم بأن الساحرات توجد على أجسامهن «علامات الشيطان» وهى عبارة عن «وحمة» إذا شكت بدموس لا توجع ولا تدمى. واتسع مجال النشاط «الشكاكون» وإدعاءاتهم وازداد عددهم، وكانوا عادة يعملون إلى استعمال شبكة خفيفة لا تدمى ولا توجع ولكنها تكفى للدانة، وعلى حبل المشقة اعترف مجرم انه تسبب فى اعدام ٢٢٠ امرأة فى إنجلترا واستكلندة بكافاة تبلغ ٢٠٠ شلن. عن القلعة

وكان الجميع طبعيا يعترفون، وكانت كل معترفة تعترف أيضا على غيرها، فتزايد عدد المتهمات بمتابعة هتمسية، وقد عدد من تم اعدامه على المحرقة بما يزيد عن مليون امرأة. وكان أسلوب الاعدام هو الحرق.

ولم تتوقف عمليات الاعدام على الساحرات فقط بل امتدت إلى كل من يعترض على عمليات الاعدام. فالاعتراض على الاعدام يعنى الاعتراض على الكنيسة، والاعتراض على الكنيسة يعنى تأييد الطغرات، وهو كفر يستحق من يمارسه الاعدام.

وفى عام ١٤٩٥ مات أنوسنت بعد عدة محاولات لاثقاذه حياته بنقل دم (تسبب فى وفاة ثلاثة أولاد) وبارصاعه من ثدى أم مرضعة، واكتشف بعد وفاته أنه ترك عشيقته وعدة أطفال.

واستمرت محاكم التفتيش بعد أنوسنت، ولم تتوقف على الساحرات، فقد كانت الهرطقة جريمة أفظع. وفى القرن السادس عشر حاول المفكر ورجل الدين الانجليزى وليام تيندال William Tin-dale ترجمة الانجيل (المعهد الجديد) من اللاتينية إلى الانجليزية. وكان هذا سببا فى ثورة السلطات الكنيسية، اذا أنه تمكن رجل الشارع من قراءة الانجيل وتفهمه فانه سيصبح فى استطاعته اقامة علاقة مباشرة مع الرب، فتفقد الكنيسة سلطتها عليه. وهكذا طورد تشدال فى جميع أنحاء أوروبا حتى قبض عليه وعذب ثم أحرق.

وتكررت محاكم التفتيش فى كل أرجاء العالم وامتدت ستين وستين. وكان من أفظعها ما حدث فى الفترة بين مارس وسبتمبر ١٦٩٢ فى مدينة «سالم»



فن

من

الحارة الشعبية أتمى صلاح أبو سيف ، وبالحارة الشعبية بدأ أولى تجاربه الحقيقية مع السينما ، عندما أتت له الفرصة لأن يشارك في صنع الفيلم الرائد «العزيمة» (١٩٣٩) لكمال سليم ، وسوف يكون لتلك الحارة وجودها القوي المؤثر في معظم أفلام صلاح أبو سيف ، سواء تلك التي تتناول عالم الطبقات الدنيا أو تلك التي تضع في بؤرة اهتمامها عالم الطبقة المتوسطة. لأن وعى الفنان الشاب بدا واضحا منذ بداياته الأولى بقضايا الظلم الاجتماعي والصراع الطبقي ، عندما تلاقى على نحو حميم ذلك المحزون الانساني في وجدان الفنان ، من خلال نشأته في العقد الثاني من القرن في إحدى حارات حي بولاق ، وميله للانضمام في أوائل الأربعينيات لبعض الجماعات الفنية اليسارية ، مثل «الحزب والحربة» ، حيث التقى مع كامل التلمساني وسعد نديم وحلمي حليم ، لكن في قلب ما يبدو من هذا الانتماء بين التجربة الحياتية والاختيار السياسي ، كانت تكمن بذرة القلق الفني ، التي تدفع الفنان لشد لشدت عن حل للمعادلة الصعبة بين ما يريده الجمهور الذي تربي على إبهار السند البولويدية ، وما يسعى إليه الفنان من التأثير الجمالي والفكري التقدمي على الجماهير.

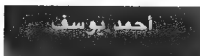


كتاب: صلاح أبو سيف محاورات هاشم النحاس

## رحلة في وجدان السينما المصرية

(٢-٢)

«جسر ووترلو» دي السحرة المفرقة في البولودراما ، وهو يعترف في كتاب هاشم النحاس بأنه لم يكن يرحب كثيرا بفكرة الاقتباس ، لكنه رأى أن لك هو الوسيلة الفاتحة للحصول على فرصته الأولى للاخراج ، لينأكد لديك ما كان يتمتع به صلاح أبو سيف من نزعة «عملية» واضحة ، تدفعه في أحيان كثيرة إلى تقديم بعض التنازلات المحسوبة (لذلك لم يكن غريبا أن يتوقع من الآخرين أن يقدموا مثله تنازلاتهم) ، لأن هدفه الدائم الذي لم



السوداء (١٩٤٥) ، متجاوزا كل الخطوط الحمراء ، التقليدية في السينما المصرية على مستوى الشكل والمضمون معا ، حتى لو انتهت تجرسته إلى نزوع من البثوث التجارية الدرع ، بنما يبدأ صلاح أبو سيف في العام التالي بفيلم «دايما في قلبي» المتنس عن

لقد ظلت بذرة هذا القلق تنمو وتكبر على الدوام خلال رحلة صلاح أبو سيف الفنية التي تجاورت المحسن عاما ، لكن التأمل لمصادفه لغنى يؤكد على أنه كان يضع الجمهور دائما في حسابه ، مما كان له اثر يحالي أحيانا أو سلبي أحيانا أخرى على أعماله ، لأنه كان يفضل في أغلب أفلامه - ألا يحاضر بالصدوم مع الدوق السند للجماهير. لذلك لم تكن غريبا أن يبدأ الفنان السريالي اليساري كامل التلمساني في راحته مع السينما بفيلمه الأول «السوق

الحارة

والظلم

الاجتماعي

والصراع

الطبقي

في سينما

أبو سيف



فيلم رها وسكينة

فيه أن يقدم معالجته الخاص لها، وهو ما يبدو واضحاً في فيلمه «مف. ص. مرات عنقر وعيلة» (١٩٤٨)، الذي لم يكن في ظاهرة إلا إعادة لما يسمى بنمط الفيلم البدوي وحكاياته عن بعض القصص الشعبية العربية! والذي برع فيه نهازي مصطفى). لكنه هذه المرة «تغيرت. لفكرة من صراع بين العرب والعرب إلى صراع بين العرب والاجنبي... وتم طرح الكثير من الشعارات القومية التي ظهرت فيما بعد وكثر استخدامها في أعمال فنية أو على الساحة السياسية». وإن كان صلاح أبو سيف يذكر أن تلك كانت هي التجربة الأولى لتجريب محفوظ في كتابة السيناريو، إلا أنه لا يشير بوضوح إلى حقيقة تأثير الروائي الكبير في هذه الرؤية السياسية ذات التوجهات القومية. (هل تذكر ما قاله في سياق آخر: «كانت أفكارى تختلط مع أفكار نجيب محفوظ وسيد بديوي. بحيث يصعب في حالات كثيرة تحديد من صاحب الفكرة بيننا؟») لكن ما يبدو واضحاً على

وحتى «قواعد اللعبة» (١٩٣٩). «الشاعرية ذات التوجهات الراديكالية الفوضوية عند فيجور في-صفر في السلوك» (١٩٣٣). من الناحية الأخرى، ظلت السينما المصرية مفتقرة إلى هذه الجرأة الإبداعية، مما يفسر لك بدايات صلاح أبو سيف المتراضعة، حتى أن فيلمه الثاني «المنقمة» (١٩٤٧) يأتي فاتراً، خالياً تماماً من الروح المصرية، فقابله الصحفيون والنقاد بنقد عنيف، يقول عنه صلاح أبو سيف في حوار مع هاشم النحاس: «كان لهذا النقد أثر كبير في نفسي، يمكن القول بأنه يمثل نقطة تحول في تفكيري».

### من ظلال السياسة إلى الجنس

لا تنتظر على أية حال أن يأتي هذا التحول بين عشية وضحاها، وإن كان صلاح أبو سيف قد بدأ في البحث عن صيغة جديدة قد لا تباعد كثيراً عن تقاليد السينما المصرية وأنماطها، في نفس الوقت الذي حاول

يفج بظنيره أبداً كان أن يترك بصمة مؤثرة في تاريخ السينما المصرية. وإنك لتنتظر إلى تاريخ هذه السينما من خلال تاريخ صلاح أبو سيف. فتكتشف أنها كانت- وما تزال للألف الشديد- تعمل بقانون «التجربة والخطأ» (هذه إذا كان ثمة اعتراف شجاع بارتكاب أية أخطاء)، فهي منذ بداياتها الأولى لم تعرف المؤسست الانتاجية القوية بالمعنى المتكامل للكلمة، وهو ما يعبر على أية حال عن هشاشة كامنة في فكر الرأسمالية المصرية، وعندما تقارن السينما المصرية بالسينما الفرنسية- على سبيل المثال لا الحصر- التي واجهت مثلنا حرباً شعواء من صناعة السينما في هوليوود، نحسوف نجد عندهم تجارب مبكرة رائدة، تفتح الدروب الجديدة الرحيبة أمام الفنانين الحقيقيين، مثل سهرابالو لوى يونويل وسلفادوردالي في فيلم «كليب أندلسي» (١٩٢٨). وواقعية جان رينوار وما «من» انقاذ بودو من الغرق» (١٩٣٣)

أية حال هو أن تجربته في الانتاج المشترك مع إيطاليا في فيلمه «الصرع» (١٩٥٠) أكدت أنه استطاع أن يقدم لقصة الحب التقليدية ذات الطابع الفلكلوري الذي يرضى «المرواجات» تنويعاً متميزاً يشير بذلك - شديد إلى مسألة فلسطين واغتصاب حقوق شعبها للأش - ولسب غامض . فان كتاب هاشم النحاس وحواره مع صلاح أبو سيف لا يحاكي هذا الفيلم الوقت الملائم أو المساحة الكافية لتأمل المضمون السياسي، وروى كان صلاح أبو سيف نفسه قد نسي -؟ ما قدمه من خلال هذا الفيلم من رؤية واضحة تجاه الصراع العربي الصهيوني (١).

وربما كان على صلاح أبو سيف أن يمضي السنوات الأولى من حياته الفنية في تحارب قد تنبئ أحياناً عن اهتماماته الحقيقية، لكنه كان مضطراً في البداية إلى تأكيد إمكاناته الفنية حتى تتاح له الفرصة لكي يدخل إلى العالم الذي يعرفه ويتبنى إليه ويتمنى أن يعبر منه: عالم الحارة الشعبية. وإن عكست افلامه الأولى عن هذا العالم بعضاً من التناقض بين التواهي والأخماز، فقد كان غريباً أن يبدأ هذه الافلام بفيلمه «لك يوم يا هالم» (١٩٥١)، المكتسب عن رواية «تيريز وراكان» لأميل زولا بعد قصيرها مات في المائة كما يقول صلاح أبو سيف ، «نذير يؤكد على أن الفن الجديد في الفلم هو واقعية الأسلوب واستعراض الحياة الشعبية التي أحباها وأعشقها» . يأتي هذا التصغير من خلال تحويل المكان في ارواية الفرنسية من عالم سائقي الاثاحات في الحارات الفقيرة بدمية ليرن، إلى «حمام شعبي» في قلب مدينة القاهرة (سوف يعود إليه صلاح أبو سيف بعد عقدين من الزمن في «حمام الملاطيلي» . لكن تأثيراً أروع لرواية «تيريز وراكان» يمكن أن نلصقه في فيلم معاصر مثل «غافريت الأسفلت» . ولقد كان غريباً - ودالاً في أن واحد - ألا يختار صلاح أبو سيف للاقتباس رواية «واقعية» وإقفا رواية سمتى إلى المذهب «الطبيعي» الذي يعبر البشر من سياهم الاجتماعي، ويتعامل معهم كأنهم حيوانات تجارب ، لا تتحكم فيها إلا الغرائز البدائية الأولى، التي تأتي في مقدمتها غريزة الجنس».

### سينما وقودها الفن والتجارة

لقد ظل هذا التناقض بين ما يعلنه صلاح أبو سيف- ويؤكد بعض النقاد - عن انتمائه

للواقعية والرؤية «الطبيعية» التي تنسلل إلى أفلامه، كأمناً تحت السطح ولا يعلن عن نفسه بوضوح، وربما جاء هذا التناقض تعبيراً عن إحدى السمات الغالبة على معظم فئاتنا السينمائيين وهي محاولة التعريف أو التلغيف - غير الواضحة - بين العديد من الأساليب الفنية، وربما أيضاً بين رؤية سياسية لا يمكن للرؤية الواقعية أن تجمع بينها. وقد يكون ذلك ناجماً في بعض الأحيان عن افتقار للفن في مجال النظريات الجمالية السينمائية، أو لعل أيضاً تجسيد للرغبة في الاسماك بالعصا من متصفها، لانصار الجمهور والتفتين، ومعارلة الحكماء والمحكومين.

إنه قد تسامح أحياناً عن اهتمام صلاح أبو سيف بمعالجة «الجنس» في العديد من أفلامه، التي تتراوح بين العنق والحلق، بدءاً من «لك يوم يا هالم» و«الأسطى حسن» و«شباب امرأة» - البنيات والصيف» (وهو يقول عن هذا الفيلم الأخير: «اخترت القصة الأولى، قصة جميلة وفيها علاقات حسية أغرتني بالتعبير عنها».. ولكنه انتهى إلى اخراج الجنسية الحثيئة، ليستخرج منها أيضاً ظلالها الجنسية). وحتى حمام الملاطيلي و«سقطت في بحر الصل» - بدافع صلاح أبو سيف عن اهتمامه بالتعبير السينمائي عن الجنس يقول: «في ذهني أن المشكلة الجنسية والمشكلة الاقتصادية هما أساس كل المشاكل في المجتمع، مشكلة الجنس في مصر تكاد تفقدنا معظم فئاتنا البشرية، والمخالات الجنسية المريضة التي ذكرتها في فيلم «حمام الملاطيلي» هي سبب للاحتقار جعلها السبب لا النتيجة) المؤس في مجتمعنا .. لكنه يعترف بما يشبه الاعتذار: يمكن كثرتها شوية.. يمكن لبجيبة هاشم النحاس بعينه التقديرة الواقعية» ملخصاً التناقض في الرؤية الفنية والسياسية، والتواهي والأخماز : «هنا ما استفز النقاد.. أدركوا بهذا التطويل في المشاهد الجنسية أنك تجاوزت الخط الفاصل بين الفن والتجارة».

**الفن والتجارة** . كلمتان لا تعبران فقط عن أزمة فيلم «حمام الملاطيلي» وإنما تثيران إلى أزمة عميقة الجذور والفروع في صناعة السينما المصرية ونحن لا ندعو بأية حال إلى الصدام بين الفن والتجارة خاصة مع «السينما» التي تتميز بين الفنون جميعاً بأنه لا بد لها ألا تسعى لهذا الصدام، لكننا نعود إلى التأكيد مرة أخرى إلى أن

التناقض بين الفن والتجارة الذي تجده في السينما المصرية يعود من جانب إلى شاشته وقصر نظر مؤسستها الانتاحية، كما يعود من جانب آخر إلى أن تاريخ هذه السينما ما يزال يفتقر إلى ادراك أهمية العلاقة الجدلية بين التلغيف والممارسة، ولتنامي تجربة فيلم «الأسطى حسن» (١٩٥٢) الذي يعتبر اليوم واحداً من كلاسيكات السينما العربية، ويصفه الكثيرون على أنه ينتمي إلى السينما الواقعية ، لكنه في الحقيقة ينتمي بدوره إلى السينما الطبيعية التي تحول الصراع الطبقي إلى علاقة جنسية خالصة تشهوها الملامح الميودرامية الصارخة والتواهي السينمائية اللاذعة (انظر عدد «اليسار» - سبتمبر ١٩٩٦)، ولتقول تلك الملاحظة شديدة الذكاء من الفنان والنقاد هاشم النحاس عن فيلم «الأسطى حسن» : «ولكن هناك إلحاحاً على الدعوة الأخلاقية إلى أن القناعة كنز لا يفنى».. بل إن به دعوة للاستكانة للفقر والرضا به، قالفقراء، مضطامون ويحزبون بالعفة، وحياتهم أفضل نفسياً بتعاونهن، والمخطئ الوحيد فيهم هو الذي لا يرضى بالفقر ولا يؤمن بالقناعة، أما الاغنيا فلا تلاق لهم، وحياتهم يفسدها التهم وسيطرة الشهرة، بل قضى ملاحظة هاشم النحاس على مدى أكثر عمقا حين يقارن في سياق تال بين «الأسطى حسن» و«شباب امرأة» ، فعلى الرغم مما يبدو على السطح من اختلافهما، هناك أوجه تشابه بين (الفيلمين) : الشاب الفقير والمرأة القادرة التي ترتفع في برائتها وتدفق عليه من أمواليها، لكنه يسترد رعيه في النهاية.. (كما أن) انقاذ الشاب (في الفيلمين) يأتي على يد العشيق السابق المعجوز».

إن هذا الحوار الجليلي الحلال بين «النقاد» هاشم النحاس، والفنان صلاح أبو سيف (وهو الحوار الذي يتخلى شيتا فقيشنا عن علاقة التلغيف والاستاذ) يكشف عن جوانب خفية من وجدان السينما المصرية، هذه السينما التي تتناقض أحياناً - بوعي أو بدون، - حين ما تتحدث عنه وما تصنع، ففيلم مثل «الأسطى حسن» لا يضع الصراع الطبقي في سياقه الاجتماعي والسياسي الصحيح، بقدر ما يقدم «التيمة» التي تلج على صلاح أبو سيف في العديد من أفلامه للعلاقة الغرائزية بين الرجل والمرأة.. كما أن النقاد هاشم النحاس يلاحظ أن فيلم «الطريق المسدود»

## تساؤلات حول الواقعية

وهكذا كان على صلاح أبو سيف وغيره من فنانينا السينمائيين المبدعين- أن يعيشوا دائما أرن الحرف من الفشل التجاري، وقد تركتهم الصناعة الهشة لبواهجها مصائرهم وحدهم، وإتنا إذ نحاول أن نلقى الضوء على التناقضات في مسيرة هذا الفنان صاحب التأثير على تاريخ السينما العربية، فإن مسعانا الحقيقي الذي نؤكد عليه هو أن نلقى ضوءاً أكثر قوة ووضوحاً على أن السبب الأصيل لهذه التناقضات يعود إلى غياب الرؤية الصحيحة لضرورة وجود مؤسسات سينمائية صناعية راسخة واقتصاد العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة داخل المؤسسات الأكاديمية وخارجها، والافتقار إلى المرأة في مراجعة الكثير من المسلمات المفلوطة حول تاريخنا التي يحملنا نلوك مصطلحات مثل «الواقعية» أو «الفانثازيا» دون أن ندرك لها معنى.

ولعل أهم ما في مقدمة هاشم النحاس للكتاب هو محاولته الخاصة

(١٩٥٨) يبدأ بعبارة «المخطئة لا تولد معنا ولكن المجتمع يدفعنا إليها» كما جاءت في رواية إحسان عبد القدوس: لكن صلاح أبو سيف يفقد معالجة أخلاقية تنفرد إلى عمق التحليل والرؤية. حتى أن «النهاية في الفيلم جاءت على عكس الشعار الذي رفعته في البداية، وكان من المفروض أن تغير الشعار كأن تقول مثلاً: «رغم أن المجتمع السيئ يدفعنا للجريمة، إلا أنه من الممكن للفرد أن ينجو من تأثيره ويحافظ على ثقافته». أو أن نحافظ على النهاية الموجودة بالرواية حتى تتسق مع الشعار الذي حافظت عليه».

إنها إذن محاولة التوفيق أو التلقيق على مستوى المصنوع، حتى يكاد هذا الفيلم أو دات أن يعقد رؤيته السياسية الواضحة رغم ما يبدو من انتمائه للواقعية، وهو التلقيق أيضاً على مستوى الشكل، الذي يجعل هاشم النحاس يتساءل: «لماذا الأغنية أصلاً في فيلم اجتماعي واقعي (مثل «الأسطى حسن)» بالإضافة إلى استخدام ثلاث قصصات؟»، ليجيب صلاح أبو سيف في وضوح: «لأضمن نجاح الفيلم تجارياً ووصله إلى الناس... كان نجاح الفيلم يهمني مادياً لأنني وضعت فيه كل ما أملك»

لتقديم تعريف للواقعية، فالسمة الأساسية لها كما يراها هي «العقلانية في تفسير العلاقات والعواطف... لذلك كانت هي أيضاً السمة الداخلية العميقة التي تربط بين كل أفلام صلاح أبو سيف وتحميها طابعها الخاص.. وفي كل الأحوال كانت أفلامه مرآة صادقة لأنفسنا نرى فيها عيوبنا وتثير فيها الرغبة للتغيير والحلم بعالم أفضل»، لكننا نرى أن تعبير «العقلانية» ليس إلا تعبيراً قضااضاً. لعل هاشم النحاس يحاول به عن قصد أن يتمسك بالدر الأكر من «الليبرالية» حتى لا يقع كما يتصور- في فخ رؤية سياسية بعينها. كما أننا من جانب آخر لا نرى أن هذا التعبير ينطبق على «كل أفلام صلاح أبو سيف» وهو ما اكده هاشم النحاس نفسه في سياق محاوراته حول أفلام مثل «الأسطى حسن»، «شباب امرأة»، «والطريق المسدود»، «وحام الملاطيل»، فهذه أفلام لا تدعونا على نحر جاد عميق إلى «الرغبة للتغيير والحلم بعالم أفضل»، والأدق أن نقول إن المضمون السياسي والاجتماعي في العديد من أفلامه ينتسج بتروخ من محاولة التوفيق أو المروافة، أو لعلها في أفضل

فيلم البداية





## صلاح أبو سيف

### حكاياتي

### السينما

### المصرية

### والعربية

### الأول

الطريف بين صلاح بين صلاح أبو سيف  
وهاشم التحاسن يكشف عن جانب من  
واقعية الفنان الكبير الذي يقول لم اتقن  
بنفذه «ريما وسكينة» من هذه الناحية، لأنني  
عندما درست الموضوع لم استدل من خلال  
الدراسة على الأسباب، وفي اضاءة كاشفة  
يرد هاشم التحاسن : «عدم عبورك على  
الأسباب لا يعني عدم وجودها»، «والعمل الفني  
ليس نقلاً للواقع، وكان من الممكن ان تضيقها  
من خيالك اذا لم يصفك الواقع»، فيعيد  
صلاح أبو سيف على التأكيد: «لو وجدت  
أسباباً اجتماعية للجرعة في «ريما وسكينة» لما  
ترددت عن ذكرها...».

من جانب آخر ، فان تأمل فيلم «ريما  
وسكينة» -وأفلام أخرى لصلاح أبو  
سيف- يؤكد أن الواقعية عنده كانت بعيدة عن  
التضيق الأسلوبى بقدر ما كانت احساساً فطرياً  
يشبه اشتاقية الفن الشعبى الذى يجمع بين  
مختلف الأساليب ويخلط بينها سعياً للتأثير  
فى المتلقى، فإذا كانت أهم أفلامه تنفجر إلى  
جوهر واقعية المضمون، فانها تلجأ إلى  
أساليب تنتمى إلى «التعبيرية»-نفويض  
الواقعية فى النظرية والممارسة السينمائية-  
وهو ما يلاحظه هاشم التحاسن دون أن يغير  
لديه تساؤلات حول هذا التناقض ، فهو يشهد  
فى سياق الحديث عن مشهد قتل الفنانة  
في «ريما وسكينة» بامكانات استخدام  
قطعات المونتاج الإيقاعية والاضافة التعبيرية  
(لاحظ أنه لم يقل الاضافة الواقعية) وإيقاعات  
الموسيقى المصرية الحادة خلق جو مشحون  
بالترتيز يزداد تدريجياً حتى يصل إلى  
قوته. إن هذا التناقض الأسلوبى

يعكس خطأ فى المفاهيم بين  
الواقعية والتعبيرية- ما يزال يترك اثره  
الفاقد حتى على بعض أكثر نقادى اقترابا من  
الجدية- فاللجوء إلى المونتاج على نحو مفرط  
، والاضافة التعبيرية ذات الاضواء والظلال  
الحادة، والكادرات المائلة التى لا تبدو لنا من  
وجهة نظر احدى شخصيات الفيلم بل وجهة  
نظر المخرج نفسه، كل ذلك لا يترك للمتفرج  
فرصة لتأمل المضمون الواقعي- جرعة القتل  
بقدر ما يتلاعب بالمترج وأحاسيسه ويوجدانه  
. لاحظ أيضاً أن صلاح أبو سيف يبدى فى  
الكتاب إعجاباً وتأثراً عميقين بالمرح  
التعبيرى الألمانى كريستز لانج ، بينما لا  
يأتى على ذكر أحد المخرجين الواقعيين).

الأحوال تدعو للتفسير بعد أن يكون التغيير قد  
أصبح حقيقة واقعة، ولك أن تقارن على  
سبيل المثال بين نزعتة «الاصلاحية» فى  
أفلامه التى قدمها قبل ثورة ١٩٥٢ ، ونزعته  
الثورية فى أفلامه بعدها، وهى الأفلام التى  
تدور وقائعها فى الأغلب فيما يسمى «العهد  
الباوند» ، دون أن تشير إلى أية تناقضات  
سياسية واجتماعية فى الواقع الراهن.  
فالواقعية تسمى إلى لقاء الضوء على  
الحاضر حتى لو اتخذت الماضى موضوعاً لها.  
والجوه الحقيقي للواقعية -كما تنصرون-  
بعيد كل البعد عن الحديث عن صراع أزلى  
أبدى بين الفرائز كما يبدو فى بعض أفلام  
صلاح أبو سيف ، فالعلاقات الانسانية  
بكل مستوياتها المادية والروحية هى فى جدل  
دائم من التأثير والتأثير مع السياق  
الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والفكرى.  
كما أنه لا توجد «وصفة» شكلية جاهزة  
للاواقعية ، بل على العكس فان أفلاماً لصلاح  
أبو سيف مثل بين السماء والارض أو  
«البداية» تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن  
الواقعية ، لكنها كانت أكثر اقتراباً من  
جوهرها إذا ما قارنتها بالواقعية الشكلية أو  
السطحية فى «شباب امرأة».

وعلى الرغم من أن هاشم التحاسن  
يصف أفلام «صلاح أبو سيف بالواقعية  
أو العقلانية ، إلا أن عينه الناقدة تلتفت  
جانبا ملتفتاً للواقعية والعقلانية على السواء.  
فى فيلم «ريما وسكينة» : «ظهر كل من  
ريما وسكينة عصبانته فى الفيلم وكأنهم  
مجرمون بالسليقة، الشر فىهم بالطبيعة، وهو  
ما يتناقض والتفسير الاشتراكي للجرعة الذى  
تؤمن به ويرد الجرعة إلى البيئة المحيطة  
والظروف الاجتماعية والاقتصادية، (لذلك)  
... أخذ عليك التفاد عدم ذكر أسباب الجرعة  
فى «ريما وسكينة» بينما راعيت ذلك  
فى «الوحش» ، حيث ربطت الجرعة بحزنها  
الاقتصادية التى تزلها وتساعد على غوها.  
مثل الصالح المشتركة بين الفنان والمخرج،  
وجن وبيرورافية العمدة وخوف الأهالى ،  
هل كان هذا التحول نتيجة لاقتناعك بالنقد  
الذى وجه إليك فى «ريما وسكينة» ؟ ..  
إذا تخاضعنا عن أن «الوحش» نفسه يفتقر  
إلى جوهر الواقعية لأنه يتحدث عن الماضى  
الذى انقطعت صلتها بالحاضر بعد أن  
جاءت الثورة» بعصر جديد، فإن الحوار

### الحسن الشعبى، والنكتة المصرية

من الغريب أن صلاح أبو سيف سول  
يصل فى بعض أفلامه التالية على نحو  
فطري إلى بعض الملامح الأسلوبية الناضجة  
للاواقعية والتي يأتى «الميزانين» فى  
مقدمتها، فإذا كان المونتاج التعبيري اللائح  
يقصر على المترفج تفسيراً محدداً عندما  
يحاصره فى عالم ضيق خائف، فان  
الميزانين-فى أغلب الأحوال- يتبع للمتفرج  
أن يفهم ما يراه على الشاشة بطريقته، كما  
أن اتصال المكان والزمان فى اللقطات الطويلة  
يوجد بقدر أكبر من الواقعية. انظر مثلاً إلى  
المشهد الذى يصفه صلاح أبو سيف من  
بداية فيلمه القاهرة ٣٠ : «سعاد  
حسنى وعبد العزيز مكبوى يتكلمان عن حلم  
مستقبلهما بينما فى الخلف اعلانات عن  
يانتصب المراساة ونجد طفلين يجمعان  
السجائر». وإذا كان قد أرجع تفضيله  
للميزانين فى فيلم «القاهرة ٣٠» فى  
كتاب «يوميات فيلم» (الذى كتبه هاشم  
التحاسن) إلى رغبته فى استغلال مهارة  
الممثلين الذين يتنمون إلى المسرح ويكن لهم

خروفاً، كما يبدو دائماً في خلفية الصورة إعلان عن كوكاكولا بانها «كبيرة ولذيذة» وكأنه إشارة للبطلة الشهوانية التي بلغت منتصف العمر . كما يصنع صلاح أبو سيف نوعاً من التشبيه بين البغل الذي يدر في الطاحونة، والبطل الذي يغني عليه أن يردى العيش الجنسي للمرأة. وفي فيلم «القاهرة ٣٠» يقترب مثل هذا المجاز من الرقة والشفافية، عندما يرفع محبوب يده إلى أعلى كأنه يستسلم لشئ غامض، لتكتشف أنه يقف أمام «الترزى» الذي يأخذ مقاساته لاعداد بدلة جديدة (في إشارة للزمن بين الانحدار الأخلاقي والارتفاع الاجتماعي)، لكنه يضيء إلى الفجاجة والعطلة في المونتاج بين اللقاء الجنسي بين محبوب وأحدى العاهرات، وميد تساب من مزرب. وإن أردت اقتراباً من هذا التناقض في المعالجة والرؤية، كما يظهر بوضوح في فيلم «البنات والصف» يمكنك أن تتأمل رقة نقطة المياه المناسبة من حنفية المطبخ في إيقاع رتيب، والزوج الكهل وهو يتقلب في السرير بالليل وقد استحوذت عليه صورة الحادامة، ولكن -وكما يقول هاشم النحاس في حوار: «عندما دخل عليها حسين رياض المطبخ وهي نائمة، فوجئنا بصورتها تتحول من وجهة نظره إلى دجاجة محمرة، فمن أين جاءت هذه الدجاجة ؟ هذا ما اعتبره رمزاً مقحماً» أو تعبيراً أديباً وليس سينمائياً، ثم أنني أرى أن المشبه هنا أقوى من المشبه به». ويحب صلاح أبو سيف: «أنا لا أشعر أنها مقحمة، وأريد أن أقول أنه يفكر فيها كما لو كانت دجاجة، فيقول الناقد: هذا تعبير أدبي، فلا يجد الفنان إجابة سوى «والم لا !!!» والحقيقة أن ما لم يقله صلاح أبو سيف أو هاشم النحاس أن التشبيه يكاد أن يكون مأخوذاً من فيلم شارلي شابلن «البحث عن الذهب»!

كم هو حوار ساخن وحصب ذلك الذي أداره هاشم النحاس مع صلاح أبو سيف، حوار قد يفسر لك الانقطاع بين الممارسة والنظرية في السينما العربية، لكنه يوضح أيضاً أن من الممكن أن يتحدث التواصل بينهما، في السبسا وحارسه على 'السوا'.

انذكر الآن أنني أضفت شيئاً للسيناريو أثناء التصوير، إلا أنه يلتقط بعض الحركات التلقائية للممثلين خلال التنفيذ، ويوافق عليها إن رآها متفقة مع السياق . مثلاً فعل مع عض «لوازه» الممثل حسن حسين في «السقامات» ، أو في رد فعل طفلة بريئة تنفض القبار عن ملابس أمها (سعاد حسني) عندما تقع على الأرض في «الزوجة الثانية».

لقد كان هذا الحس الرفيع ينبع من عين الفنان الفاحصة التي تلتقط التفاصيل الصغيرة، ومن تلك التفاصيل كان يتألف السطح الواقعي لأفلامه، ويشير صلاح أبو سيف إلى تجربته خلال بعض قصيرة في باريس عام ١٩٣٩، حيث أشار على أحد المخرجين الفرنسيين بأن يلاحظ الفرق الدقيق بين الطريقة التي يسمح بها سائق التاكسي أنفه، والطريقة الناقضة تماماً إذا ما أدت بحس الحركة امرأة رقيقة . وهو ما أشار إليه أيضاً في حديثه عن أول أفلامه «داها في قلبي» . عندما كان للممثل محمود السباع لازمة هي أن يشعل عود الكبريت ويظل يتأمله إلى أن ينطفئ». وهو الأمر الذي تجدد في أداء الممثلين في أفلام مثل ربما وسكنية و«الروحش» . إنه نفس الاحساس الفني الرفيع بأن «تكوين الصورة في» بين السماء والأرض» كان يقتضى معاملة خاصة، فحشر أربع عشرة شخصية في مكان ضيق يقتضى عدم ظهور أي لقطة لشخص وحده حتى لو كانت لقطة قريبة لأحدى الشخصيات.. وذلك لتأكيد الموقف الذي يجمعهم وتأكيد المكان في كل لحظة، وإلا فقد المحدث مصداقيته. (يمكنك أن تقارن بين ذلك الحس الأخرى الفطري بضرورة التأكيد على الجو العام، واقتداد ذلك في فيلم مثل إشارة مرور بحري بشاردة).

عديدة هي الحوارات الجميلة في فن صلاح أبو سيف، بعيداً عن إطلاق مصطلحات فنية في غير سياقها، لكن أن أردت أن تضع يدك على أكثر أدوات صلاح أبو سيف تأثيراً وقسراً، فهو ذلك المذاق الشعبي الفصيح في حيك النكتة أو القافية . لكنها هنا قافية بصريّة إن حار التعبير، قد تنتمي إلى ما نسميه النظرات السينمائية «المجاز» أو «التورية»، وإن كنا نرى أنها كانت أكثر بساطة وتلقائية من أن تستند إلى مفهوم نظري واع. ففي فيلم «شباب امرأة» ترى تحية كاريوكا تسحب شكوى سرحان لكي يتزوجها، وفي الخلفية امرأة تسحب



حفظ الأذور لنظيرة، فانه سحب عن ذلك في «محدرات...» على نحو أكثر وضوحاً وبصفاً. «إنه ليس فيلم حركة وليس فيلماً كوميدياً يقتضى التقطيع السريع والحركة السريعة، ولكن الحركة موجودة في الفيلم داخل اللقطة ذاتها التي تنتقل-من خلال حركة الكاميرا- بين الاحجام المختلفة ولذلك تتطلب هذه الطريقة الممثلين الأكف، الذين يعملون معاً».

إن هذا الحس الفني الفطري المرحب هو ما كان يميز صلاح أبو سيف بحق، ويجعله- وهو لدى لم يضع الجمهور أبداً حرج حبيبته -يستحق أن يكون «حكواتي» السينما المصرية والعربية الأولى بلا منازع . فهو أقدر المخرجين على أن شد انتباهك إلى ما يحكي، يستعين على ذلك كما يشير هاشم النحاس- بحس الممثل اختياراً دقيقاً، والمناقشة الطويلة معهم خلال مرحلة الإعداد، لكنه يترك الممثل يؤدي الدور بمفرده الخاصة، فعلى الرغم من أن صلاح أبو سيف يؤكد على أن طريفته هي أن «كل شئ يجب أن يكون مدروساً ومحدداً قبل التصوير، ولا



## يمين \* شمال

### يحيى السيد التجار دمياط

#### عجايب

\* أعلن للاستاذ ابراهيم  
سعد استعدادي للتبرع بكل  
أعضاء جسمى تجاهبا مع حملته  
العظيمة ما عدا المرارة لى  
يكل أسف قد انفتحت.  
\* يقولون إن مشروع  
توشكا له فوائد عظيمة للشعب  
المصرى.. ربحا.. ولكن المؤكد أن  
له فوائد على الشركة الأجنبية  
التي ستنفذ محطات الرفع وربها  
على من سيتعاقد معها كذلك.  
\* لا أدري كلما سمعت  
الدكتور حسين كامل يتحدث عن  
استراتيجية التعليم المستهدفة  
في المرحلة القادمة ينقبض قلبي  
فقطا سعا من الكابيت  
المجهرى عن استراتيجيته  
للتعرض بالكرة وهذه هي  
النتيجة.

\* تردد الصحف دوماً  
عبارة نظام البشير - الثوابي  
أليس من اللائق للنظر أن القيمة  
هناك اتسمت لرجلين أما في  
عالمنا العربى فالقيمة لا تسع إلا  
لزعيم الملهم فقط.

\* قبل أي مباراة للفريق  
القومى يؤكد أن دعوات ٦٠  
مليون مصرى وراء الفريق والغريب  
أن الفريق يهزم فاما انه لا يوجد  
ولا دعوة سالحة فى الستين مليون  
أو دعوات الحصور أقوى من  
دعواتنا- لماذا لا تجرب دعوات  
التطريز.

\* حلقة واجه الجمهور التى  
استضافت فاروق جعفر كانت درسا  
لنا فى الوطنية حيث أكد الكابيت  
أن كل ما يعمل وما يفكر فيه هو  
من أجل مصر ونحن بالقطع

معاش رس الاستماع بالعبوة  
(دولى) وفى زمن الاستماع  
عاشا تعاسة انتخابات  
الحليات. وسياسات تنبهاه  
وعدم تفعيل التغيير الزواى..  
الخ.. وبين هذا وذاك أداء ٤٤  
مليون بريطاني وهم يختارون  
حكومتهم الجديدة.. بدون تفكير  
جان.. أو تصويت للموتى.. أو  
الاستماعة بالبطيخة وحاملى السنج  
والسيف.. الخ.. والسنياروي  
المصرى فى ظل ما يسمى التعددية  
الحزبية مصمم على منع التمثيل  
الشعبى القوي.. ومنذ انتخابات  
عام ١٩٧٦ ومشاهدتى لأخراج  
الراحل عبد السلام الزيات  
من قبيل دمياط إلى اليوم الذى  
فكرت فيه ترشيح نفسى فى  
انتخابات الحليات.. يا قلى لا  
تجن.. وما تحدث به المستشار  
مصطفى الشراقى رئيس لجنة  
الفرز لانتخابات محليات كنية  
أبريل ليلة ١٩٧٦/٤/٨.. قليل  
بوضع النقاط فوق الحروب.

يصعد عدد من المستقلين منهم  
شخصى.. لكننا فى دمياط.. كما  
فى أنحاء مصر أصبحنا نشاهد  
اندفاع أهل المال نحو السلطة..  
فهل ذلك يرجع لتحقيق الانتقال  
من عالم الشبكات إلى عالم  
السياسة.. وأصبح فى زمن  
الحصصه كل صاحب ثروة  
مرشحا طبيعيا للانتخابات  
وتحقيق النجاح.. فهل حقا  
نعاش نظام ديمقراطى.. ومواد  
تقول عن حزب حاكم عاجز عن  
توفير الثقة لنفسه ولا يحفظها  
إلا بأليات التزوير.. وهل نحن  
نحولى للبعد.. والحزب الوطنى  
ومنتمين إلى أسياد.. لتتم  
حالة التدهور إلى ما ل نهاية.

بنتسه لاجلديه والساليب  
الترسب والتهود بالقوة العسكرية  
الاسريفة وبسباب شهاه  
العارة فى التندد أو تضع  
نظام شون اوسط جديدا ليس  
كما نجله شمون بربر بنعمه  
وربنا الصديبة الأوائل ونهاقت  
صعدته من الميرولي والمطعين  
ولكن نظام معدل تكون فيه  
لاسرائيل العله والقوة والمكانة  
أهم موافق كهذه هل هناك أمل  
فى موقف أمريكى أكثر عدلا من  
قضايا..؟

السيان الطبيعى للاحداث  
بؤكد أن أمريكا لا تتعلم أبدا من  
أخطائها وتحافظه والى لى  
تصر مواقفها أبدا وذلك لأن  
الراعى الأمريكى المراجع ينشئ  
بالكامل كافة الجمع الإسرائيلية  
وينص على مشرع قرارات فى  
الأمم المتحدة لإدانة إسرائيل أن  
الرهان ويوسع كل البصر فى السلطة  
الامريكية وتصورى أن ٩٩/ من  
أوراق الحل فى أيدي أمريكا  
تصور خاطئ ليس فى صالح  
القضية العربية ويجب أن تنوع  
مصادر قوتنا وأن تعطى الفرصة  
لأطراف أخرى لها رين ومصالح  
لتنوزع مع الطرف الأمريكى ويجب  
أن تتوزع داخليا ريس نظاما  
اقتصاديا لا يحد ولا مصادر  
ضخومات الطبقات الفقيرة ولا يتبع  
أنى ثمة لنا قاعدة مصالح  
لعدائنا داخل وأوطاننا

### عبد الحميد القحاح- المنصورة كله بالتزوير

من تعاليد العصرة بل  
العربية.. إقامة الهرجات  
والتحرك بالآغانى.. والسبلات..  
كأننا معاش التقدم العالمى  
البناء.. ولم لا.. ونحن أيضا

لظروف خارجة عن  
إرادتى توقفت زاوية  
مين\*شمال العددين  
الماضين، واختفت من  
على صفحات اليسار،  
وإن تعادوا الظهور هذا  
العدد فأنها مدينة للقراء  
باعتذار من تغيبها دون  
سابق انذار أو اعتذار،  
وبشكر لكل الأصدقاء  
الذين لم تتوقف رسالتهم  
رغم ذلك، وضررونا بمودة  
غالية لجعل الاحتجاب  
مرة أخرى ذنب لا غفران  
له.

### الراعى المراجع

أمريكا لا تنسى أبدا مصادرها  
ولا مصالحها كما لا ينسى العرب  
بأصحابها، ربهنا مصلحتنا  
ومصحة ربهنا إسرائيل عن أى  
مصالح أخرى فرغم الثالث  
السالى بين مصر وأمريكا  
ومحاولة كسر الجمود فى العلاقات  
بين البلدين فى الستينات وتغيير  
الهيكل السياسى والاقتصادى  
المصرى ليتواءم مع النظام العالمى  
الجديد إلا أن أمريكا لا ترضى إلا  
أن تربط مصر مصالحها بالكمال  
باصطفى الامريكية حتى لو  
تعارضت هذه المصلحة مع مصالح  
مصر الوطنية والقومية وأن  
تنعاضى عن أى مطالبات أو  
مرعات استقلالية أو تنسوا أنى  
مكالمه لها فى مصفحتها، فأمريكا  
له موقف ثأرى من النظام  
الانجليى العربى وتعتبره نظاما  
مناوئا لصالحها ومصالح أتباعها  
فى المنطقة ويحاول من خلال  
مفاوضات السلام الثانية وس  
خلال مشاورات متعددة الأطراف  
وباستخدام أساليب الترغيب

بقبل يضطو قرائه ومحبيه بالبقاء ومواصله الكتابة في اليسار ،وتحت نشر الخطاب ليتأكد أحد يوسف أن قراره بالاستمرار كان صائبا.

## أين الحرفيون؟

تتتم مجلته العزيرة اليسار بصفتها «صوت المستعفيين في الأرض» بقضايا الفلاحين من خلال مقالات نصيرهم الكبير الأستاذ عريان نصيف، وكذلك تهتم بمشاكل العمال بمقالات الأستاذ محمد جمال إمام، أما المثقفون فيكتفيهم ما يكتبه الأستاذة حسين عبد الرازق وأمينه القاش وصالح عيسى

أما الحرفيون وهم أيضا المستعفيين في الأرض وخاصة في هذا الوقت فإن اليسار العزيرة لا تعطيهام اهتمامها. ثانيا: هل نوافقونا على فريحتي بمقد الاتفاق الأخير بين روسيا والصين، فقد كنا نتمنى أن يتم ذلك الاتفاق فيما قبل بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية، ولكن على الأقل فن الاتفاق الأخير يكرس حائط الاحتكار الدولي الذي تحاول أمريكا إقاعته حول العالم حتى تنفرد بقيادته في السياسة والاقتصاد.

## عبد الفتاح ياسين عططا

### المحررة:

شكرا للصديق عبد الفتاح على رسالته، «وعتبه على قسبة قضايا الحرفيين عن صفحات اليسار في محله وسوف تسمى في الأعداد القادمة لتدارك». ولا جدال أن التقارب الصيني الروسي مكسب، على العالم العربي أن يفرسه ويحسن الاستفادة منه لصالح قضائاه.

### المحررة:

شكرا الكاريكاتور طه محمد ، ونشر رسمه قفح عين X شمال أبوابها لتلقى الابداعات المائلة من أصدقاء اليسار.

مذ فترة ليست بالقليلة لإغراقها في الساحة والبعد عن مشاكل المجتمع الحقيقية .. وحينما بدأت المراقبة على قراءة مقالاتك النقدية في اليسار بدأ الايمان يتسلل ثانية في نفسي بدور السينما.. تصوريا

استاذ أحمد. لقد عاودت المراقبة على دخول السينما متحلا في ذلك مشقة السفر إلى المدينة البعيدة عن قريتي الصغيرة أراظ على مشاهدة الأفلام التي تتناولها قلمك.. وفي بعض الأحيان أشاهد الفيلم قبل كتابتك عنه وأسطر مقالا مترامعا عنه وحينما تكتب عنه أقارن بين مقالك العظيم ومقالى المتواضع وأسعد سعادة كبيرة حينما تلتقي أفكارنا في بعض الأحيان وأتعلم منك حينما تختلف زويتك عن كتابتى.. أبع هذا تركنا...! ليس من الانصاف أبها تركنا...! أرجوك لا تتوقف عن الكتابة في اليسار.

## محمد أحمد فرحات النوفية

### المحررة:

هذا خطاب وصل من الصديق محمد فرحات عقب إعلان النالمة الفنان أحمد يوسف رغبته في التوقف عن الكتابة، وقيل أن

\* من يضبط أرقام الحكومة فعندما يفت المسؤول الكبير ليقول إن التضخم انخفض والبطالة في الحد الأدنى ومعدل التنمية وصل ٤٪ عملا يبدأ أن الكلام معلوش جرم أخشى أن يأتي اليوم القريب فلنأجل أننا أقوى اقتصاديا من دول أوروبا وواحد واحد منها حاحة. \* انتخابات إيراى الأخيرة تدل على أن هناك رجال سياسية وشعب متحضر

## المهندس: عادل خليل

### المحررة:

شكرا للمهندس عادل خليل ونحية لقدرته على الكتابة الساخرة. ولكن أين قرأت هجوما للعلمانيين على الاسلام والرسول عليه السلام ؟ ومن هم الذين نشوه؟ وفي أي مطبوعة؟ وهل تعرف أن بوسع المرء أن يكون علمانيا ومؤمنا في آن واحد؟

## إلى أحمد يوسف

حسنا نشر أستاذنا/ حسين عبد الوازق خطاب اعتزالك عن الكتابة النقدية في المجلة.. تزاو كياتي لأنى سوف أفقد شيئا عزيزا تعودت عليه وليس هناك ثمة مبالغة في قولى هذا.. فلقد قاطعت السينما وكفرت برسانتها

نصدقه والدليل أن الرجل لم يطلب غير عشرين ألف جنيه فقط لا غير راتباً شهرياً للتدريس. \* السلام خيار استراتيجي عند العرب فقط أما عند اليهود فهو خيار بلدى.

\* يردد المسؤولون الكبار أنه لا زيادة لأى أعما، على الشعب في المرحلة القادمة ونحن الذين نكتوى بتار الأسعار نعرف مدى صدق هذا الكلام- ألا يعلم المسؤولون أن الكذب حرام والكذب في الديمقراطيات الحق يعنى انتحار السياسى الكذاب.

\* المطربون الشبان جعل منهم الاعلام أصحاب «مقامات» مع خلر أصواتهم من أى مقامات. \* واحد تنويرى لدرجة مفرقة كتب صفحة كاملة يشيت فيها أن مجتمع الصحابة في المدينة كان لا مؤاخذه يتابع نسوانا. \* يوجد قانون علماني في تركيا يحكم بالسنن على كل من يكتب منتقدا كمال أتاتورك فما بال علمانيونا يشجعون الهجوه على الاسلام والى على الله عليه وسلم باسم حرية الفكر يبدو أنهم عندهم عصى ألوار.

\* كل المسلمات وكل الأغاني والأحاديث تتكلم عن الحب فما بال حياتنا أصبحت كرة في كرة.



## اليسار ..

## وحركة الجماهير

### عيد الغفار شكر

من طرح شعار تأجيل نفاذ القانون لابتد من المطالبة باسقاط القانون ، في حين أن القضية عند حزب التجمع لم تكن مجرد شعار أو مطلب وحيد . بل هي سياسة متكاملة تتضمن عدة إجراءات لحل هذه المشكلة . فحزب التجمع تعامل منذ سنوات طويلة مع هذه المشكلة ليس فقط باعتبارها مشكلة تخص المستأجرين بل هي مشكلة مجتمعية تمس مصالح **المستأجرين والملاك وتؤثر في الاقتصاد الوطني والاستقرار الاجتماعي** ، لأن توتر العلاقة بين المستأجرين والملاك وتعرض المستأجرين لظلم فادح أو تجاهل مصالح الملاك سوف يؤثر على الانتاج الزراعي واستقرار المجتمع . من هنا فقد طرح حزب التجمع سياسة متكاملة لحل هذه المشكلة تجمي مصالح المستأجرين ولاتجاهل مصالح الملاك وتضمن المصالح العامة للمجتمع أيضا . وطوال السنوات العشر الماضية استمر حزب التجمع في طرح هذه السياسة في برامجه الانتخابية وعلى صفحات الأهرام وداخل مجلس الشعب أثناء مناقشة مشروع القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٢ وطرح مشروع قانون يصادق من أجل تجديد طوول الدورات البرلمانية السابقة ، وتتلخص سياسة التجمع تجاه هذه المشكلة في :

- ١- استمرار العلاقة الإيجارية الحالية للأرض الزراعية وعدم طرد المستأجرين في أكتوبر ١٩٩٧ طالما أنهم يؤدون التزاماتهم القانونية .
- ٢- إعادة النظر في القيمة الإيجارية للأرض الزراعية دوريا وزيادتها على ضوء الزيادة الفعلية في صافي العائد الزراعي .
- ٣- إنشاء صندوق لإقراض المستأجرين لشراء الأرض من المالك بسعر السوق وسداد منها فورا مع تقسيطه بسعر فائدة منخفض على أجال طويلة .
- ٤- توفير أراضي مستصلحة مساحات كافية قبل اتخاذ أي خطوة وتحرير المستأجرين بين هذه الأراضي وبين الاستمرار في الأراضي المؤجرة . ولأن تنفيذ هذه الإجراءات لا يمكن أن يتم دفعة واحدة بل يتطلب فترة زمنية يتم خلالها حل المشكلة فقد رأى حزب التجمع أن **علم إنهاء العلاقة الإيجارية الحالية يمكن أن يتخذ قانونا شكل تأجيل تنفيذ القانون**

الأستاذ نبيل الهلالي في مداخلته بمجلة اليسار ( عدد

يوليو ١٩٩٧ ) قصة بالغة الأهمية بالنسبة لعلاقة فصائل اليسار المصري ببعضها ، وأثر هذه العلاقة على نضالنا الجماهيري ، وذلك بمناسبة ما أثر من خلاف حول الموقف من قضية العلاقة بين المالك والمستأجر في الأرض الزراعية . وفي هذا الصدد طرح الأستاذ نبيل الهلالي مجموعة من الآسس والمقارعة التي يراها ضرورية لتنظيم هذه العلاقة بين فصائل اليسار المصري وهي:

- ١- إن تعدد الاتجاهات في صفوف اليسار المصري في شأن هذه القضية أمر طبيعي ومن حق أي حزب أو فصيلة يساري أن تتخذ الموقف لدى تلبية قضاياه .
- ٢- مهما تباينت المواقف والاتجاهات داخل صفوف اليسار ، نضل هناك أرضية مشتركة واسعة قتل حدا أدنى متفقا عليه بين الجميع ، من واجبت جميعا الحفاظ عليها وتوسيع رقعتها من خلال الحوار والنقد لمسال واتخاذها نقطة انطلاق للنضال المشترك .
- ٣- علينا الحذر من تحويل حركة العالين إلى ساحة للترشق بالاتهامات أو المزايدات بين فصائل اليسار لأنها تهدد مصداقية اليسار ككل في نظر الفلاحين .
- ٤- خطأ تشكيل أي لجان شعبية ينتهج استبعاد وليس من حق أحد في صفوف اليسار أن يستبعد أطراف يسارية أخرى عن الاسهام في معارك التحرير .
- ٥- أن سعى أي قوة يسارية للوحاد أو الانسداد في الحركة الجماهيرية لا يجر اعتباره محاولة للفرق على حركة الجماهير ، ومن محذور على قوى اليسار سط وحاشيتها على حركة الجماهيرية أو ادعاء قنيتها لمفترضة لهذه الحركة .
- وهي اعتقدني لشخصي أن هذه الأسس والمقارعة ينبغي أن تكون اسس للعلاقة بين مختلف الفصائل اليسارية في مصر ، وليس فقط في مجال العلاقة الإيجارية للأرض الزراعية بل في مجال الحالات وبصفة مستمرة ، لأن احترام هذه القواعد سوف يحب اليسار المصري كثيرا من المشاكل الجانبيه التي تستنزف قواه في معارك فرعية تؤثر كثيرا على فاعليته الجماهيرية ويحد من تصاعد نفوذه السياسي .

وفي هذا الصدد دنا بهمني أن أشير إلى بعض الملاحظات الهامة أولا، ماأثر اليه الأستاذ نبيل الهلالي من فواعد وأسس تحكم علاقة فصائل اليسار ببعضها لن يتحقق للقاء بل يحتاج إلى جهد مضط من الجميع وإلى استصرايه تكني لاتنح الآثار الإيجابية المطلوبة . وهو مالى يتحقق من بوافر مسعة أو اليه لانساض الحوار وببذل الأراء والمعلومات بين مختلف أقسام اليسار المصري . وإذا لم تكن أوضاع اليسار المصري ناضجة لتأسيس شكل جهري أو إطار للعمل المشترك فليس أقل من أن نتفق على صيغة لاستمرار الحوار داخل اليسار حول الموقف من مختلف القضايا والتطورات السياسية ، حتى ولو تم ذلك من خلال مشرد دورية يكسب فيها الجميع ، أو من خلال لقاء دوري كل ثلاثة أو أربعة شهور متقدم إليه كل الأطراف برزنتهم للتطورات الحاربه وموقعهم منها . إن هذه الصيغة كتيبة لأنها ، النفضة القائمة حاليا بين مختلف أقسام اليسار المصري وغيباب المعلومات الكافية التي تمكن من لحكم السليم على من قف الأضراب الأخرى

إن العلاقة الإيجارية للأرض الزراعية مثال واضح للأثر السلبي لعدم انظام الحوار بين أقسام اليسار المصري وماترتب عليه من عزز الأضراب الأخرى عن نهيم الموقف الخفي لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي إن فهم الأستاذ نبيل الهلالي ، الذي يطرخ الخلاف مع حزب التجمع على أنه مجرد طرح شعار بدلا من شعار حيث يقول في مداخلته أنه بدلا

أثار

بدون وجود قيادة سياسية على شكل حزب سياسي أو تنظيم سياسي له أبعاد جماهيرية مرتبط بالمجاهير . فالوعى الطبقي لا ينشأ تلقائياً في صفوف الجماهير ولكن تعميقه في صفوفها يحتاج عملاً مستمراً تقوم به قيادات جماهيرية على امتداد الوطن من خلال حركة منسقة يتولاها الحزب السياسي أو التنظيم السياسي . أى أن بناء حركة جماهيرية مؤثرة للفلاحين والعمال المصريين يتطلب ثلاثة شروط:

- الحزب السياسي أو تحالف سياسي.

- الوعى.

- أشكال جماهيرية ملائمة لتنظيم حركة مختلف الفئات الاجتماعية في إطارها.

ومناعبه اليوم من ضعف في الحركة الجماهيرية للطبقات الكادحة هو نتيجة لانقضاء هذه النظرة إلى العمل الجماهيرى في صفوف اليسار وانشغال الكثيرين بآليات من هو أكثر ثورية على حساب العمل المشترك بين قوى اليسار وعلى حساب الجهد المنظم لنشر الوعى في صفوف الجماهير وابتكار الأشكال التنظيمية الملائمة لحركتها ، وسبادة منتج إطفاء الحرائق في العمل الجماهيرى اليسارى الذى يسارع إلى التعامل مع المشكلة بعد تفجرها . لقد هزم اليسار جماهيريا في مصر في أكثر من معركة لأنه لم يوفر شروط الانتصار فيها مسبقا ولن ينجح مستقبلا في كسب أى معركة جماهيرية مالم يخطط منذ الآن لتوفير الشروط الثلاثة للحركة الجماهيرية للطبقات الكادحة ( القيادة السياسية ، الوعى ، الأشكال التنظيمية الجماهيرية الملائمة ) . كذلك فإن انقضاء اليسار المصرى لتخطيط العمل الجماهيرى والنضال السياسى من خلال مراحل تتدرج الأهداف الاستراتيجية إلى أهداف مرحلية تتناسب مع الأوضاع الملحوسة والجيومات المتغيرة ودرجة التنظيم الجماهيرى المتخلفة تساهم أيضا في إضعاف تأثيره . لقد عانىنا طويلا من منطق إما أن نحقق كل شيء وإلا فانتنا لن نحقق شيئا . ويتعين علينا أن نراجع خبراتنا السابقة وأن نحسن ترجمة الأهداف الاستراتيجية إلى أهداف مرحلية وأن نتعلم كيف نتقدم خطوة خطوة نحو أهدافنا النهائية وكيف نراكم خبراتنا ونطور امكاناتنا معركة بعد معركة.

وفي إطار هذه الرؤية للعمل الجماهيرى وشروطه الضرورية نرى اختلاف مع مذاهب إلى الأستاذ نبيل الهلالي من أن الفلاحين المستأجرين لديهم امكانيات أكبر من الصحفيين والمعلمين لتحقيق نصر مماثل لما حققه المعلمون والصحفيين ، لأنهم كنفلة بشرية تقتل مع أفراد أسرهم سبعة ملايين مواطن الفاعرة هنا ليست بالعدد بل بالكيف . فماذا فعلنا منذ سنوات لتطبيق وتوعية المستأجرين لكي يكونوا جاهزين لخوض معركة مظفرة ؟ اليسار المصرى كله بما فيه حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى لم يبدل الجهد الكافى وبالتالي فإنه ليس من حق أن يصور الأمر وكأن الانتصار وشيك ولجرحه طرح شعار مقابل شعار.

فهل يمكن أن نستفيد هذه المرة من خبرتنا في التعامل مع قضية العلاقة الإيجارية للأرض الزراعية ونضع أسسا لعملنا الجماهيرى المستقل حتى ولو لم نحقق النتائج التى نستهدفها من هذه المعركة وإلا نعد بعض قوى اليسار المصرى إلى حالة اليأس الشتى التى تنتابها كلما أخفقت في تحقيق أهدافها في إحدى المعارك الجماهيرية؟ الحوار المنظم بين جميع الفصائل والمستمر مهما كانت تطورات الأحداث هو الآلية التى يمكن أن تساعد على تطوير فعاليتنا الجماهيرية والتي تستطيع بالفعل أن تضعا معركة بعد أخرى في موقف أفضل وإذا لم تبدأ الآن فانتنا سوف نعود مرة أخرى إلى مثل هذا الوضع في أى معركة جماهيرية قادمة . فلنشد نضالنا من أجل استمرار العلاقة الإيجارية الحالية للأرض الزراعية وعدم طرد المستأجرين وقرسى في نفس الوقت أسس علاقة صعبة مشرة للمستقبل.



نبيل الهلالي

خمس سنوات أخرى يتم خلالها تنفيذ باقى الاجراءات بما فيها شراء المستأجرين للأرض المؤجرة : ولكن أقسام اليسار الأخرى التى لم تهت بهذه المشكلة عمليا إلا بعد تفجرها نظرت إليها فقط من زاوية استمرار العلاقة الإيجارية ولم تهتم بباقى جوانب المشكلة فكان من الطبيعى أن ترفع شعارا وحيدا يدور حوله كل نضالها وتعتمده مقياسا لثورية هذا لطف أو داء ، رغم أن لاتفاق قائم بين الجميع على المطلب الأساسى وهو عدم إنهاء علاقة الإيجارية للأرض الزراعية . وخرى الشهير بحزب التجمع في بعض الكدسات رغم أنه تنحى الموقف الأصعب والأكثر تكاملا.

من هنا نرى أقترح أن يدور النقاش أساسا حول رؤية اليسار لحل مشكلة الأرض المؤجرة في مصر بما يضمن الحد الأدنى من مصالح كل الأطراف . ومن الأفضل أن تتب هذه القضية داخل اللجنة القومية للدفاع عن المستأجرين من من خلال اتحاد الفلاحين الذى تنفقا ما مع الأستاذ نبيل الهلالي في ضرورة تحويله إلى مضمة حصرية مفتوحة للجميع وليس مجرد كسب على محدود التأثير . إن نقضية أكثر بكثير وأشد تعقيد من أن نحترلها في صورة مناظرة بين سعر التناحل أو الانسقاط ولاهليل على طرح سياسة متكامله لحله.

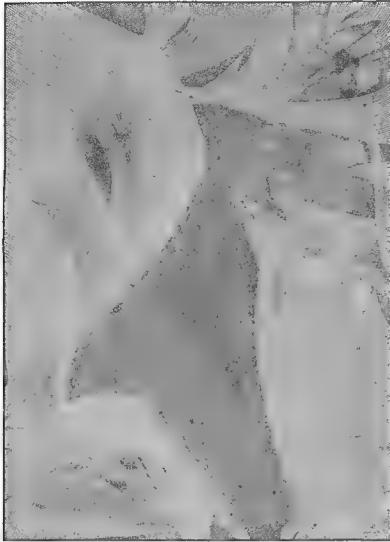
ثانيا : أما سحاحا ، في مداخلة الأستاذ نبيل الهلالي بشأن النضال الجماهيرى وتأكيد على أن أسس حزب ألا بعدد نقته في قدرة النضال الجماهيرى على عصر التوازن السياسى ، فهو نشر قضية دامة يسقى أن نقف امامها طويلا وهي

متى يستطيع النضال الجماهيرى أن يغير التوازن السياسى القائم ؟ وماهى الشروط الواجب توافرها في الحركة الجماهيرية لتكون قادرة على لصق والتأثير ؟

لقد أهمل اليسار المصرى حولا هذه القضية ، وسدت نصورات حاضنه حوله في صفوف أوسمه وسعه من اليسار المصرى تعتمد أنه يكفى وجود مشكلة دادة وضرر شعار راضى لكي يلبس الجماهير حوله وتناضل معك حتى الموت . وغاب عيب أن الحركة الجماهيرية المؤثرة القادرة على الضغط يجب أن يكون حركة واعية منظمة وهو أمر لا يمكن أن يتحقق

# فن تشكيلي

بينالي دوبروفينيك  
الدولى ..  
وإعادة إكتشاف  
فن " المتوسط "



المصغر وأحمد فؤاد سليم



حصلت مصر على الجائزة الكبرى بينالي دوبروفينيك الدولي الثاني والذي افتتح في ١٥ يوليو بمتحف الفن الحديث بكرواتيا.

فاز بالجائزة الفنان فاروق وهيمن عن عمله المركب 'المومياء' والمنفذ بخامات متعددة من الاستنسلاتيل وشاشة تليفزيون والقماش المطبق وشبك معدني . يبلغ ارتفاع العمل ٢٠٥ متر × ١٦٠ سم . وينقسم إلى خلقية ومومياء منفصلة ومثبتة على أرضة

القاعة في منتصف العمل . تبلغ قيمة الجائزة أربعون ألف شلنًا نمساويًا أى خمسة آلاف مارك ألماني.

أشادت لجنة التحكيم بالجناح المصري في المؤتمر الصحفي .. يشارك في الجناح الفنان أحمد فؤاد سليم والفنان قرغلى عبد الحفيظ .. وكان من المقترض اشراك الفنان أحمد نوار الذي اعتذر لأسباب تخص وجوده في موقع المسئولية.. كانت مفاجأة لى حين

وصلت السفينة التي تقلني من مدينة يوكا بكرواتيا إلى مدينة دوبروفينيك . فقد رأيت أحمل مدينة على الأرض ، جزيرة من المرتفعات المحصاة . على بحر الادرياتييك . المدينة كلها هي عمل دنى مفتوح .. وهي في مجملها شارع وحيد يمتد من المدينة الجديدة حيث المطار ويصل إلى المدينة القديمة حيث الميدان الذي به الكاتدرائية ومسرح المدينة والسينما وأيضاً مبنى المحافظة والقاعات الفنية الخاصة ،

وأيضاً المطاعم والبارات .. وبعد هذا الميدان مركز التقاء كل من يوجد في دوبروفينيك من أهل الحى أو الأجانب . يبلغ عدد سكان دوبروفينيك ٨٠.٠٠٠ نسمة . يصل هذا العدد إلى مليون ونصف نتيجة السياحة.

أكثر السياح يأتون من إيطاليا . ألمانيا والنمسا . شعب دوبروفينيك محب للحياة ، رغم أن الحرب قد تركت آثارها على وجوههم إلا أنهم يصرون على مواصلة الحياة

**تفكيك العلاقة الثنائية \***  
**الضدية** بين الهندسي والعرضي  
 ، ويضيف الطبيعة "nature"  
 " كعنصر ثالث ، يعمل على  
 ابتكار تفاعلات بنائية جديدة  
 بين العناصر الثلاثة ، وفي  
 مرحلة لاحقة يتخذ الفنان وجود  
 العناصر المباشرة ويستعير المثير  
 من خواصها وتتحوّل اللوحة  
 إلى إشارات وعلامات موحية ،  
 يوجد بينها حركة وإيقاع يضبط  
 بنية العمل.

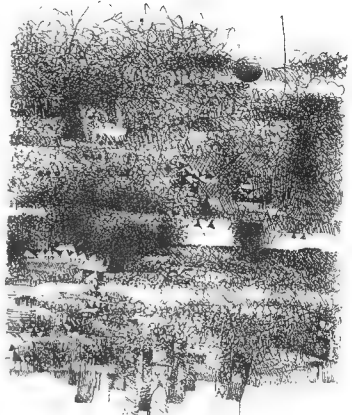
وبينما كان مبحث "سلم"  
 في الـ "caligraphy" مع  
 تحويله وتحويره بما يصله  
 بحجرات الفن العالمي المعاصر ،  
 نجد فرغلي عبد الحفيظ  
 (١٩٤١) وقد شغل مصعب  
 مصر - شأنه ببلدة "فيروط"  
 وأبرزه تصور وانفعالات الفن  
 القروني الذي اتخذه كمصدر  
 إلهام في تجرّبه الفنية . شغلت  
 العروسة - وهي إحدى علامات  
 التراث المصري القروني  
 والشعبي والإسلامي - مساحة  
 كبيرة في تجرّبه الفنان ، مع  
 ابتكاره حلولاً جمالية للعلاقة  
 بين العروسة والحامات الطبيعية  
 مثل الجريد والقش والطيني ، ثم  
 كانت التجربة التي أعلن فيها  
 الفنان أن الطاقة "رحب" هي  
 مصدر إلهامه ، ومسع . ع  
 لديه في اكتشاف أبعاد جديدة  
 للتعبير الفني.

في نفس الوقت نجد أن  
 الفنان "أحمد نوار" (١٩٤٥)  
 ، وقد بهرهت "الطاقة" ولكن  
 من منظورها العلمي ،  
 والتكنولوجي ، وتأثيرها على  
 الحياة الاستثنائية ، فتجد أعماله  
 التصويرية والمركبة ، تحمل  
 رموزاً ودلالات صناعية  
 لتسعى إلى الكمال أو الاكتمال  
 بقدر ما تسعى إلى التفاعلات  
 القائمة بين العناصر ، وتنعكس  
 تلك الأعمال إستيعاب الفنان  
 لثقافته وتراثه في إطار  
 اتصالها بما يجري حولها .  
 ولاستطيع هنا أن نتجاهل تأثير

وثلاثين دولة في الدورة الثانية  
 .. يؤلّ البيتالي مايقرب من  
 عشر مؤسسات خاصة شركات  
 ويتوكّ إلى جانب مشاركة  
 الدولة ممثلة في محافظة المدينة  
 ووزارة الثقافة . تقوم فلسفة  
 البيتالي على تأييد وتأكد الفن  
 الذي يكشف عن لغة الـ "Mediterranean"  
 أي لغة  
 " المتوسط " باعتبارها لغة خاصة  
 وهو يحاول بذلك أن يختلف عن  
 بيتالي فينيسيا . وإن كان  
 يشترك في نفس الفكرة مع  
 بيتالي الاسكتلندية والذي  
 أنشئ في الخمسينيات في مصر  
 . وحقق وحوداً قوياً حتى  
 الثمانينات ثم توقفت في الدورة  
 السابقة . نحن نقرأ لها  
 عام ١٩٩٥ . ر غل هنا مقدمة  
 الكتاب كما شرحت في كتاب  
 البيتالي وبها عمل الفنان أحمد  
 نوار قبل اعتدائه عن العرض  
 هذه هي المرة الأولى التي  
 تشارك مصر بفنانها في  
 بيتالي كرواتيا الدولي ، لذلك  
 حرصت لجنة الفنون التشكيلية  
 على أن يمثل ترشيحها فنانون  
 لهم إسهامات في الحركة  
 التشكيلية المصرية في الإبداع  
 وعلى مستوى الحركة نفسها منذ  
 الستينيات وحتى الآن.

يشترك مجموعة الفنانين  
 المعارضين في أن فيه يعبر عن  
 لغات منفردة في قصبة  
 التحديث ، وعلاقتها بالتفكيك  
 في الذات ، فحين نتأمل أعمال  
 الفنان أحمد فؤاد سليم  
 (١٩٣٩) والتي وضعها بـ (سليم)  
 بدأت تجربة سليم  
 أواخر الستينيات بالبحث في  
 الكلاسيكيات ، وقد تحول هذا  
 المثير في أعماله إلى أسلوب  
 فني يسعى لإيجاد حلول جمالية  
 للتفاعل بين العرضي والهندسي  
 ، متجاوزاً الحلول الفنية  
 "decorative" باكتشاف  
 علاقات التفاعل من داخل  
 التصوير .

في الثمانينات أضاف سليم  
 عنصراً جديداً يعمل على



فرغلي عبد الحفيظ أسكتش أبيض وأسود

" you have to be  
 a Jewish or a homo  
 sexual...!!

عود إلى بيتالي  
 دوروفيتيك الدولي الثاني ،  
 والذي بدأ ممارسة بعد أن توقفت  
 الحرب يكراتب .. وضع فكرته  
 الناقد والكيبور "أنطون  
 كارامان" وهو مدير متحف  
 الفن الحديث ببيروينسك عام  
 ١٩٩٥ . شارك فيه سبع دول  
 في الدورة الأولى ثم تسع

واستعدوا أوضاعهم الثقافية  
 وسط أوروبا ، لا يصعب وقتنا  
 في التحجب على الدمار الذي  
 أصابه ، فهم شعب قوى  
 الإرادة عاشق للحبة والفضعة  
 والفس

محتضرون حديثهم لأن في  
 سؤالي .. من نحن ؟.. وهذا  
 نريد... وكيف نخترق " حزام  
 قوى الضغط" والذي يسيطر  
 عليه إما الشراذ أو البهرد ..  
 فهم يرددون هذه القولة ..

To Be a" Power



أحمد نوار بدرسته وإقامته بأسبانيا في السبعينيات ، وأثر تفاعله بالفن العالمي ، خاصة وأنه قد رسخ وجوده واسمه كفن متفاعل مع ما يحدث على الساحة الأسبانية فشارك في معارض جماعية وأقام معارض خاصة بل وكان أحد فناني قاعة خاصة بـ **مابوركا** تعرض أعماله جنباً إلى جنب مع أعمال الفنان العالمي **سورا** "Saura" ورويدا "Rueda".

نمده نوار في أعماله الفنية على الشكل التقليدي لإبراز العلاقة بين الفن العالمي والتراث المصري ، فقد تجاوز الأثر والأنساق المألوفة وتعامل مع الفكر الفني مجرداً على اعتبار أن ما يستجبه هذا الفكر هو بالضرورة محصلة ما اختزنه الذهن من تراثنا المصري وما تفاعل معه من خبرات عالمية ومعلومة . اعتمد تجربة "نوار" الأولى على تكثيف حدة التعارض بين ما هو حشدي متشأ في المثلث والمستطيل وأنصاف الدوائر ، وما هو عضوي بوجود " طائر " كعلامة تلازم تجربة الفنان ، ومهما كان تأويلنا لتلك الرموز وهي بالضرورة تأويلات أدبية عن شاعرية العنصر العضوي وإشارته إلى التوتر ، والأسل في الحرية ، أو السلام في بعض الأعمال ، وكذلك الآلية الهندسية المنظمة ، والدقة وسيطرة العقل المنظم داخل العنصر الهندسي ، إلا أن العلاقة البصرية هي المثير عند نوار.

ويختلف نوار عن سليم في تناول العلاقة بين الهندسي والعضوي فبينما يؤكد سليم في استخدام مفرداته تلك على الحركة والارتفاع في خدمة

التصوير نجد نوار وقد أثارته فكرة القوس والنظام داخل التصميم .

كما نجد نوار قد أضاف وسائط مجسمة تعكس عالم المعلوماتية مثل أجزاء من الكمبيوتر ، والالكترونات ، والحاسبات الالكترونية ، وكذلك أشباح العنصر الصوتي كوسيط يلعب دوراً رئيسياً في العمل ، تلك الإضافات أثرت التجربة ، وعملت على تخليق علاقات مرمكية ، وتطرح قضايا تخص الذاكرة والمعرفة كل هذا يجعلنا نؤكد على وجود لغة فنية خاصة لأحمد نوار و أسلوباً متفرداً يسعى لكونية وعالية واعية.

ومانقولُه عن نوار وتواصله مع التكنولوجيا الغربية الحديثة . ينقلنا إلى أعمال الفنان فاروق وهبه (١٩٤٧) الفنان السكندري الذي نشأ في مناخ فني تميزت به مدينة الاسكندرية من حيث الانفتاح على الثقافات الأوروبية ، والاحساس بالحرية في الإبداع ، مضافاً لذلك دراسته بألمانيا وانفتاحه على الفكر الفني الحديث .. نجد

فاروق وهبه وقد شغف بالفن الفرعوني كمصدر الهام ، وقد ظهر ذلك في أعماله الفنية منذ بداية تجربته وحتى الآن.

وهنا نعود للفنان **فرغلي** **عبد الحفيظ** الذي تمثل العروسة إحدى علامات تجربته ، نجد أيضاً **فاروق وهبه** يتخذ من العروسة في شكل مومياء فرعونية عنصراً أساسياً في تكوين لوحاته وأعماله المرمكية ، يختلف **فاروق وهبه** عن **فرغلي** في أن مومياءاته منفردة بالألوانيوم الجلفن والقصدير ، وهو بذلك يتجاوز مع التكنولوجيا والعالم المصنوع من خلال مادته فنجه . يضع أسطوانته من الليزر بدلاً من رأس المرمية ، وكذلك شاشته التلفزيون ، ومومياءاته إما مثبته مع الخلفية المنفذة أيضاً بخامة الألومنيوم والاستنسليل أو منفصلة عن الخلفية .. ومع البرودة التي تعكسها مادة الألومنيوم وكذلك لونه وملامسه يتضح اختلاف مفهوم استخدام العروسة بين الفنانين ، **فاروق وهبه** يوجد بأعماله علاقة مادية

فاروق وهبه ، تجهيز في الفراغ



محسوسة لتفاعل الثقافات والتواصل مع التاريخ ، وهو هنا يختلف عن نوار الذي يقدم انطباعه الفكري والذهني لهذا التفاعل بين الحل والعالى .. بتعظيم المرجعية العلمية والتكنولوجية العالية. بينما يذهب **فاروق** لمفهوم معاكس بنقده لتلك المرجعية العالمية بإبراز أثرها السلبي على التراث الانساني ، وذلك من خلال العلاقات البصرية التي تعكسها لوحته وهي علاقات ، أحداها مباشرة بقصع عنها العمل ، والآخرى مستبظنة توحى بها الفكرة ، فبينما نجد صورة العالم المصنوع في العمل ، توحى لنا المومياء صورة أخرى لحضارة انسانية تقاعدت مع الطاقة الشاعرية الكامنة في العنصر البشري ، كلا العالين يناقش الآخر ، وهو هنا يتحد مع **فرغلي** في جانبه المرمي بينما يمثل هذا الجانب حالة الانصاح والباشرة في تجربة **فرغلي** الذي ينتهج بها في وجودها مع الطبيعة والواقع المعاشي.

فما سبق نجد أن هؤلاء الفنانين يجتمعون على مبحث خاص بمدى مواصلة تجاربهم الفنية بما يجري في العالم مع ظروفنا التاريخية ، والثقافية . إلى جانب دورهم في إدارة أمور الحركة التشكيلية المصرية من القرنين **أحمد نوار** للمركز القومي للفنون التشكيلية ، و**رئاسة أحمد فؤاد سليم** لجمع الفنون بالزمالك ، وإدارة **فاروق وهبه** لآلاتيه الاسكندرية ، و**رئاسة فرغلي عبد الحفيظ** لكلية التربية الفنية ، إلى جانب دورهم الأكاديمي في بث الوعي الفني لدى جيل من الفنانين الشباب الذين ينشئون بمحور ثوري في حركة الفن التشكيلي المصري في السنوات القليلة القادمة.

# مشاغبت



دفاتر

البقالين..

وحسابات

المؤرخين

بعض المؤرخين، كالبقالين، يقيمون ظواهر التاريخ طبقا لدفتر الوارد والمتصرف ولقانون الربح والخسارة. ورصيد الزمادات، ويتبعون منهج الشكك ممنوع والزعل مرفوع والرزق على الله.

وهؤلاء البقالون المؤرخون، هم أصحاب نظرية أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، هي محاولة «صغيرة»، فعندما بدأت لم يكن تحت الاحتلال البريطاني من أرض مصر سوى أقل من ١٠٪ من أراضيها هي مساحة القاعدة البريطانية وتوابعها في مدن القناة، وكان كل جنبة مصرى يساوى جنبتها استرلينيا وخمسة دولارات أمريكية.. وعندما انتهت بوفاة زعيمها جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠، كان ٢٠٪ من أراضي مصر، وهي مساحة شبه جزيرة سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلي، وكان الجنبة الاسترلينى قد أصبح يساوى ثلاثة جنبتها مصرية، ارتفعت الآن إلى ستة، وأصبح الدولار يساوى جنبتها ارتفع الآن إلى أكثر من ثلاثة.

وبحساب البقالين فإن قرار تأميم شركة قناة السويس كان قراراً أحقاً وخاسراً، إذ كان الهدف منه، هو أن تسترد مصر ٣٥ مليون جنبة، هي حصيله تشغيل القناة، فكانت النتيجة أن خسرت مئات الملايين من الجنبتها، فضلاً عن أنها اضطرت لإغلاق القناة، فلم تخسر كل إيرادها فحسب، بل وتحملت كذلك جانباً من نفقات تطهيرها، وبحساب البقالين فإن محطة أو محطتين من محطات الكهرباء، التى تنشأ اليوم، تنتج من الكهرباء، قدر ما ينتجه السد العالي.

الأرومة والمحتد والأصل، كأساس للصعود لسيدها بقم أخرى مثل العمل والتعلم والموهبة والمجهود..

\*\* وهي التى أكدت فكرة المساواة فى الحقوق والواجبات، ووجهت ضربة قاسية إلى مشاعر الاستغلال من ناحية والتجبر من ناحية أخرى.

\*\* وهي التى رسخت فكرة مفهوم التزام الدولة بكفالة حد أدنى من العدالة الاجتماعية.

\*\* وهي التى حولت مصر من دولة زراعية إلى دولة صناعية، وانشأت الفصل الصناعى من الطبقة العاملة المصرية، إذ لم يكن فى مصر قبلها صناعة لها قيمة وكان العمل فى الزراعة والخدمات هو الغالب على تكوين طبقتها العاملة.

\*\* وهي التى وضعت المرأة المصرية، على بداية طريق التحرر، وأضحت أمامها قرص التعلم والعمل، وانشاعت قيمة متحررة فى التعامل معها كمواطنة وليس كأمة.

ولما أكثر الذى يمكن أن تعدده فى وصيد يوليو.. لو أننا بحثنا فى دفاتر المؤرخين، وليس فى دفاتر البقالين.

صلاح عيسى

أطلقتها فى أنجا.. الأمة.

بدفتر الوارد والمتصرف ونوتة الزمادات، سيبدو قرار تأميم قناة السويس قراراً خاسراً مائة فى المائة، لأن ما أنفق على البضاعة بلغ أضعاف ما درته من إيرادات.. أما الحساب المضبوط، بدفاتر التاريخ، فيقول أن قرار التأميم كان تحدياً جسوراً للقرى العظمى، وأن الصعود فى حرب ١٩٥٦، والمقاومة ورفض الاستسلام على الرغم من عدم توازن القوى ومن الهزيمة العسكرية، قد خلق فى الأمة روحاً جسورة، واعطاهم الثقة فى أنها مسئلة حقاً، وخلق دوائر من ردود الفعل، تجاوزت مصر إلى الأمة العربية، التى نهضت لتحدى علاقات التبعية وترفض الأحلاف، وتجاورت الاثنين إلى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

بحساب المؤرخين، لا البقالين، فسوف يبقى من يوليو جوهراً، حتى لو تحول ما أنشأته من مبان، إلى أخلاق..

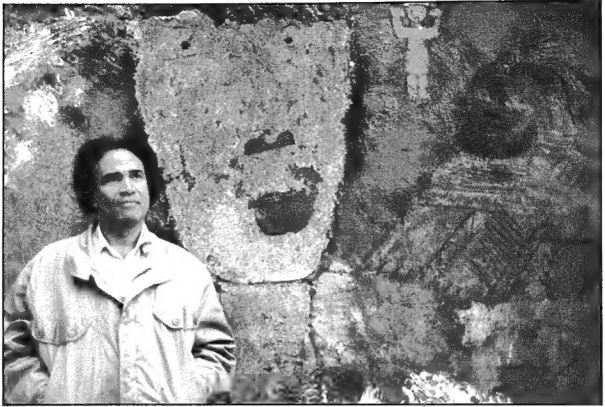
\*\* فهي التى أكدت معنى استقلال الإرادة الوطنية، بحيث لم يعد هناك حاكم يجسر على التفرط فيها، أو مواطن يقل بهذا التفرط..

\*\* وهي التى طمعت الهرم الطبقي الجديد الذى كان قائماً قبلها، والذي كان يعول دون تغيير صفة الناس إلى تحت.. إلى الناس إلى فوق.. وإليها يعود الفضل فى القضاء على فكرة

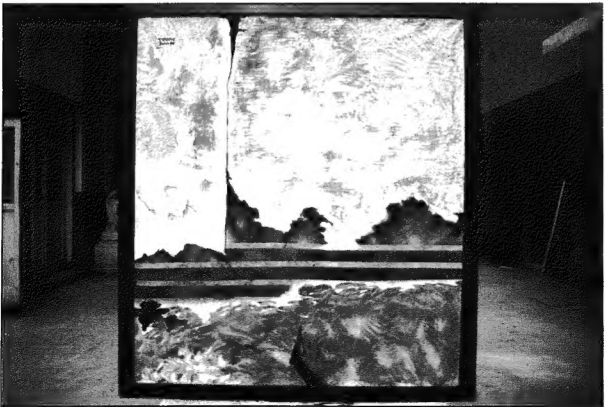
الحسية إذن خسراته.. والرصيد نفذ.. ويوليو أفلست..

وهذه القاعدة البقالية فى تقييم الظواهر التاريخية، تكفى لسبح كل ما هو مجد فى كل ما هو تاريخ، ولو أخذنا بها، لكان معنى ذلك أن محمد على لم يفعل شيئاً لأن الجيش الذى أسسه، ووصل به إلى مشارف القسطنطينية قد هزم.. لم سرح بعد ذلك، ولأن المصانع والمدارس التى أنشأها قد أغلقت فى عهد خلفائه أو تحولت إلى خرده أو خرائب، ولأن معظم ما تحقق من مجد قديم، قد تحول اليوم إلى حجارة وانقاض، فلم يكن من انتصارات ومسيحى الثانى الحربية، سوى قتاله الحائر بين ميدان رمسيس ومسقط رأسه فى ميت رهينة، ولم يبق من صلاح الدين الأيوبي، سوى قلعة القاهرة، ولم يبق من سعد زغلول سوى منزله وضريحه..

ثورة ٢٣ يوليو-بحساب المؤرخين لا البقالين- لا تقيم بما أنشأته من مبان أو ما وضعت من تنظيمات، إذ المؤكد أن وقتاً سيأتى تتحول فيه هذه المباني إلى أنقاض، أو تدرج فى كشف الأماكن الأثرية، وتستبدل فيه هذه التنظيمات بغيرها.. أمة المهمل، عند تقييم الحصيله النهائية، فهو فى الروح الجديدة، التى



فرغلي عبد الحفيظ .. أمام أحد أعماله الكبيرة ( تحدث تحولات برأس أبو الهول )



أحمد فؤاد سليم ١٩٩٧ .. زيت علي توال ، وسائط متنوعة ،  
عجائن ، تقنيات ، حرق ، كولاج



فاروق وهبة